العميد الصيدلي عمر محمود عبد الله

الطب الوقائي في الإسلام




الطب الوقائي في الإسلام

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة

عراق - موصل - شارع النجفي . هاتف : ٧٦٤٨٣٨ ص.ب : ٤٦٢ . تلكس : ZAHRA 298064



Preventive Medicine In Islam

العميد الصيدلي عمر محمود عبد الله



الاهداء

الى الشباب المسلم ليعرفوا جانباً من معجزات الرسول (ﷺ) وقيمة الرسالة التي حملها الى الناس.

الى المسلمين كافة لينعموا بالوقاية من المرض ويلتزموا باسبابها.

الى الناس عامة من غير المسلمين ليدركوا عظمة الاسلام وحقيقته من منابعه الصافية العذبة: القرآن الكريم، والحكمة النبوية، لا من واقع المسلمين اليوم وسلوكهم - فيؤمنوا به قبل ان تفوتهم الفرصة، فيضيعوا ويموتوا على غير دين الاسلام.

العميد الصيدلي

عمر بن محمود بن عبدالله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبين لهم أنّه الحق، أولم يكف بِرَبِّك أنه علىٰ كل شي شهيد﴾.

سورة فصلت /٥٣

تقديم

بقلم. ابراهيم النعمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله خاتم الانبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه، ومَنْ دعا بدعوته وآهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدين!

وبعد:

فان القرآن الكريم كتابُ هداية، أنزلَهُ العليمُ الحَكيم على قلب محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه؛ لينقذَ به الدنيا المعذبة، ويهديَ الانسانيةَ الغارقةَ في بحر من التيه من الظلمات الى النور. وعاشَ الرسولُ الكريمُ صلوات الله وسلامه عليه مع صحابته في ذلك الجوِّ الذي يحفهُ الأيمانُ العميقُ من كلّ جانب. وكانت الآيات ينزلها العليم الخبير على الرسول الكريم بوساطة سيدنا جبريل فيداوي السقم الذي ضرب أطنابه في تلك الامة الغارقةِ في ضلالتها الى الاذقان، فيوضح للناس الهدىٰ المستقيم ويأمرهم باتباعه، وكان الانسانُ العربيُّ - آنذاك - بمجرد سماعه لأيات من القرأان يُدرك شيئاً مما ترمي اليه، لذلك لم يسأل الصحابةُ الرسولَ ﷺ عن تفسر القرآن الكريم اللهم إلاَّ آيات قليلة استعصى فهمها على افراد منهم. وتقدَّم الزمن، وتقدمت معه وسائلُ الحضارة، ومن ذلك: تقدُّمُ العلوم الطبية. ونحن لا نعجب من ذلك؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ كلامُ الله، وهذا الكون خَلْقُ الله، ولا يمكن في أية حالةٍ من الحالات أنْ يصطدم كلامُ الله مع ما خَلَقَه الله. لذلك عُنِي كثيرٌ من علمائنا بالاشارات العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم، وقد أوصلها بعضهُم إلى ثمانمائة آية أويزيد. ولا زالت تلك الدراساتُ قائمةً علىٰ قدم وساق..!

ومما ينبغي أن نُنَبِّهَ إليه هنا أنَّ القرآن الكريم يُفَسَّرُ بالحقائق العلمية لا بالنظريات؛ اذ النظريات عرضة للتبديل والتغيير والزيادة والنقصان. أما الحقائق العلمية، فهي ثابتة لا تتغيَّر ولا تتبدَّل. ومع ذلك، فان القرآن الحكيم لم يتحدثْ في قضايا الاستشفاء الطبيَّة حديثاً صريحاً إلاَّ في آية واحدة هي آيةُ الاستشفاء بالعسل، قال الله تعالىٰ:

﴿وأوْحَى ربُّكِ إلىٰ النَّحْلِ أنِ آتَّخِذي من الجبال بيوتاً ومن الشجرِ ومما يَعْرِشُونَ، ثمَّ كُلي من كلِّ الثمرات فآسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ من بطونها شرابٌ مختلِفٌ ألْوانُه فيه شفاءٌ للناس إنَّ في ذلك لآيةً لقومٍ يَتفكَّرون﴾
سورة النحل /٦٨ - ٦٩

إنَّ هذه الآيةَ تُعْتَبَرُ - بحق - معجزةً من معجزاتِ القرآن الكريم، وهي تدلُّ على أنَّ هذا القرآن مُنَزلٌ من عند الله، فقد وَجَدَ جهابذةٌ من العلماء أمراضاً وقَفُوا أمامها عاجزين، وآتجهوا الى عَسَلِ النحل، فَوَجَدوا فيه دواءاً ناجحاً من حيث أخفقت الادوية الاخرىٰ. !

وحين أجرى العلماء تجاربَهم على العسل وجَدُوا فيه ذخيرةً عظيمةً كاملةً من العقاقيرِ الشديدةِ الفعَّالية علاجيةً ووقائية: فهو يحتوي على علاجاتٍ مبيدةٍ للجراثيم ومضادة للعفونة. فهذا الجراحُ العالميُّ (البرت شوبنزر) الحائزُ على شهادة (نوبل) نجحَ في مستشفاه بـ(الغابون) كُلَّ النجاح؛ اذا آعْتَمَدَ في شفاء الجروح على شاشٍ مُعَقَّم مغمس بالعسل. وهناك كثيرٌ من الاطباء تَحَدَّثوا في العسل وفوائده، فذكروا أنَّ الدراساتِ الحديثةَ أثبتتْ أنَّ له فوائدَ كثيرةً على الجلد؛ اذ يُنشطه ويُخَفِّفُ من تجعداته وخشونته، وله - أيضاً - تأثيرٌ كبيرٌ في شفاء أمراض العيون، وبخاصة التي تصاب بحروق مختلفة. وللعسل فوائدُهُ المهمة في معالجةِ أمراض الهضم، والأفات الكَبدية المختلفة، والنزلات الشعبية، والتهابات المجاري التنفسية العلوية، وقصور القلب، ويعتبر من أفضل المهدئات للجهاز العصبي، وله أثرٌ جيّد في شفاء أمراض الدم.

ولقد أجرىٰ عددٌ من العلماء تجاربَهم في معالجة كلِّ مرضٍ من الامراض الآنفةِ الذكر بالعسل؛ فتبيَّن لهم أنه علاج ناجح كلَّ النجاح!

ولقد أجرىٰ الطبيب الجراثيمي (ساكيت) Sackett من كلية الزراْعة بـ(فورت كولورادو) اختباراً علمياً عن تأثير العسل في الجراثيم، فقام بزرع جراثيم لامراضٍ مختلفة في مزارعَ من العسل الصافي، ولكنْ ماذا كانت النتيجة؟

لقد ماتت الجراثيمُ كلُّها في ساعاتٍ قليلة، وإلى مدةٍ أقصاها عدة أيام.

«لقد ماتتْ جراثيمُ الحُمَّىٰ النشية (التيفوس) بعد ٤٨ ساعة، وماتتْ

جراثيمُ الحمى التيفية بعد ٢٤ ساعة، وماتتْ جراثيمُ الالتهاب الرئوي (المكورات الرئوية) في اليوم الرابع، وكذلك بعض الانواع الاخرى: كجراثيم الباريطوان والجنب والخراجات الناجمة عن المكورات العقدية والعنقودية. أما جراثيم الزحار العصوي، فقد قضي عليها تماماً بعد عشر ساعات» (١)

واذا كانت هذه الآيةُ قد أشارت اشارةً واضحةً الى الاستشفاء، فاننا نجدُ في القرآن الكريم آياتٍ كثيرةً تدعو دعوةً عامةً الى الطهارة كقوله تعالى:

﴿ويسْألُونَكَ عن المحيض قُلْ هو أذىً فَاعتزِلُوا النساء في المحيض ولا تقربُوهنَّ حتى يَطهُرْن﴾ سورة البقرة /٢٢٢

﴿إنَّ الله يُحِبُّ التَوَّابِينَ ويُحِبُّ المتطهرين﴾ سورة البقرة /٢٢٢

﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسِلُوا وجوهَكُمْ وأيديَكم الى المرافق وآمْسحُوا برؤوسكم وأرْجُلَكم الى الكعبين وإن كنتم جُنُباً فاطَهّروا﴾ سورة المائدة /٦

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ولْيُوفُوا نذورهم.﴾ سورة الحج /٢٩

﴿يا أيها المُدَّثِّر، قُمْ فَأنْذِرْ، وربَّك فَكبِّرْ، وثيابَك فطهِّرْ﴾ سورة المدثر /١-٤

أما أحاديثُ رسول الله ﷺ فهي كثيرةٌ في هذا الأمر: فقد أفرَدَ (الامام البخاري) جزءاً من صحيحه للطب، فوق الأحاديث الاخرى التي رواها المحدِّثون في الطب الوقائي والعلاجي.

إن اشارات الرسول ﷺ في الطب الوقائي واضحةٌ كُلَّ الوضوح في قضايا كثيرة، ومنها إشارته، بل دعوته الى استعمال السواك: فقد أورَدَ المحدِّثون أحاديثَ كثيرةً تدعو المسلمَ الى استعمال السواك، وهي من الاحاديث الصحيحة كقوله صلوات الله وسلامه عليه.

«لولا أنْ أشُقَّ على أمتي لأمرتُهُمْ بالسواك معَ كُلِّ وضوء» رواه الطبراني باسناد حسن.

«لولا أنْ أشقَّ على أمتي لآمرتُهم بالسواك مع كُلِّ صلاة» رواه البخاري

(١) العسل فيه شفاء للناس للدكتور محمد نزار الدقر ص٦١ الطبعة الثانية. الناشر: المكتب الاسلامي

ومسلم.

«السواكُ مَطْهَرَةٌ للفم مرضاةٌ للرب» رواه النسائي وابن خزيمة.

ولقد استجابَ الصحابةُ الكرامُ رضي الله عنهم لما دعا إليه الرسول الكريم؛ فأخذوا بهذه السنة الحسنة، وظَلَّ المسلمون يعملون بها إلى يوم الناس هذا. وبَعْدَ أربعةَ عَشَرَ قرناً من أحاديثِ الرسول الكريم في استعمال السواك وجَدَ الاطباء فوائد لا تحصى في استعماله تتعلق بالطب الوقائي..!

ولم يكتف أطباء الاسنانِ والمتخصصون في علم العقاقير بذلك، بل جَعَلُوا مقارنةً بينه وبين استعمال الفرشاة والمعجون معاً؛ فتبيَّن لهم بعد دراساتٍ كثيرة أنَّ السواك يفوق ذلك كله، يقول الدكتور (محمد سعيد الجريدلي) رئيس قسم النُسج المرضية للفم بجامعة القاهرة:

«إنَّ السواكَ يفوقُ من الناحية الكيمياوية والميكانيكية الفرشاة والمعجون بمرات عديدة»[(٢)].

وقال الدكتور (كينيت كيوديل) أمامَ المؤتمر الثاني والخمسين للجمعية الدولية لابحاث الاسنان في (اتلانتا) بأمريكا:

«إنه لوحظ أنَّ الذين يستعملون السواك يتمتعون باسنانٍ سليمة، وأنَّ بعض الشركات في بريطانيا والهند تصنع معاجين أسنان تُدْخِلُ فيها موادَّ مأخوذة من السواك، وان هناك تجاربَ علمية تجري في (جامعة واشنطن) لدراسة القيمة الطبية للسواك»[(٣)].

ولقد ذَكَرَ كثيرٌ من الأطباء هذا وأمثاله، بعد أن تبيَّن لهم أنَّ الموادَّ التي جَعَلَها الله في السواك قادرةٌ علىٰ قتل الجراثيم من غير أن تؤدي الىٰ اضرار باللثة، وان المواد التي في السواك لا يحتويها أيُّ معجونٍ كان؛ اذ وجِدَ بالسواك - بعد أن قام كثير من العلماء ببحوثهم العلمية - «الكثير من المواد الفعالة التي يحملها بين أليافه من مطهرات كالسنجرين، ومواد قابضة تقوِّي اللثة كالعفص، وزيوت عطريةٍ حسنة النكهة تطيب بها رائحة الفم، وكلوريد الصوديوم، وبيكربونات الصوديوم، وكلوريد البوتاسيوم، واكسالات الجير،

---

(٢) السواك والعناية بالاسنان للدكتور عبدالله عبدالرزاق ص١١ الطبعة الاولى ١٤٠٢/ الدار السعودية.

(٣) السواك ص١٨٧ -١٨٨

ومواد عديدة تجلي وتُنَظِّفُ الاسنان. . ».[4]

ومما يفخرُ به كلُّ مسلم أنَّ الاسلام في أوَّلِ شروق شمسه على الوجود دعا إلى التعقيم، وحذَّر من التلوث بالمكروبات وصدق عيسى ذلك مصطلح (الطهارة)؛ لتكونَ البيئةُ التي يعيش فيها الانسان بعيدةً عن المكروبات أو المواد الحاملة لها كيلا يصابَ بها؛ فحذَّر من النجاسة، ودعا الى الوقاية منها وإزالتها اذا وجدت. ولقد نصَّ فقهاؤنا - رحمهم الله - على حرمة النجاسة بعد البيان المجمل الذي أشار إليه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ففصَّلَ الفقهاء فيه. فذكر الامام مالك - إمام دار الهجرة - أن الماء الطاهر يصيرُ متنجساً اذا تغيَّرَ أحدُ أوصافه الثلاثة: الطعم أو اللون أو الرائحة؛ فانَّ أيَّ تَغيرٌ كان في وصف من هذه الاوصاف، دليلٌ على وجودِ مكروبٍ حيٍّ فيها.

على ان الاسلام - فوق هذا - نصَّ نصاً صريحاً على المواد النجسة التي تقوم بحمل المكروبات فمن ذلك: الغائط والبول والدم والقيء ولعاب الكلب.

ولم يكتف الاسلام بذلك، بل تحدَّث في المكروبات والطفيليات: فدعا المسلم إلى أن يقلِّم أظفاره؛ إذ المكروبات كثيراً ما تعيش تحت الاظفار: كالتيفوئيد والدزانتري. ولقد دعا الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - الى الوضوء فقال:

- «اذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه، فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فاذا غَسلَ وجهَهُ خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرجَ من تحت أظفار يديه، فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه، ثم كان مشيُه الى المسجد وصلاته نافلة» رواه مالك والنسائي وابن ماجة والحاكم

ولم يكتف الرسول ﷺ بهذا، بل جعل الطهارة نصفَ الاسلام فقال:

---

(٤) السواك ص١٣

«الطهورُ شطرُ الايمان . . » رواه مسلم.

فأين هذا مما كانت عليه أوربا في عصورها الوسطىٰ من ظلام دامس في المجال الطبي؟! ولندعْ أبا الحسن علي الحسني الندوي يروي لنا ما كانت عليه اوربا قال:

«. . وكانوا يَعُدُّون طهارة الجسم منافيةً لنقاء الروح، ويتأثّمون عن غسْلِ الاعضاء، وأزْهَدُ الناس عندهم وأتقاهم أبعدُهم عن الطهَارة وأوغلُهم في النجاسات والدنس، يقول الراهب اتهيني: إنَّ الراهب انتوني لم يقترف اثم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب ابراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة، وقد قال الراهب الاسكندري بعد زمن متلهفاً: واأسفاه! لقد كنا في زمن نعد غسلَ الوجه حراماً فاذا بنا الآن ندخلُ الحمامات». (٥)

ويقول الدكتور شوكت الشطي في كتابه (رسالة في تاريخ الطب):

«وكان الغربيون في القرون الوسطىٰ أقل تذوُّقاً للنظافة من الشعوب المتوحشة. ويمكننا إيجاز ما كانوا يعملون لوقاية أسنانهم من ذلك: المضمضة بالبول، كما كان شائعاً عند نبيلات الرومان. وكانوا يفضِّلُونَ البولَ الآتي من اسپانيا، فاذا لم يتيسّرْ استعاضوا عنه ببول الثيران. وقد كان ذلك شائعاً في القرن السادس عشر». (٦)

فاللهم لك الحمد على نعمة الاسلام وكفى بها نعمة!

إن مفهومَ الحجر الصحيّ لم يعرفه العالم الا في أواخر القرن التاسع عشر، بينما تكلَّمَ فيه من لا ينطق عن الهوىٰ قبل أربعةَ عَشَرَ قرناً. وهذه معجزةٌ من معجزات الرسول الباهرة فوق معجزاته الكثيرة، فقد قال ﷺ:

«لا يُوْرِدَنَّ مُمْرِضٌ على مُصِحّ» رواه البخاري.

وقال وقد سئل عن الطاعون:

«اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه، واذا وقعَ بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» رواه البخاري ومسلم.

وعن عمر بن الشريد عن أبيه قال: «كان في وفد ثقيف رجل مجذوم؛

---

(٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي ص١٨٥ الطبعة الحادية عشر ١٣٩٨هـ / دار الناشر: دار السلام - حلب - بيروت.

(٦) السواك ص١٧ -١٨

فأرسلَ إليه النبي ﷺ أنّا قد بايعناك». وفي رواية: «إرجعْ فقد بايعناك» رواه مسلم.

وروىٰ الامام مسلم في صحيحه: «أنَّ عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بِسَرْغ - وهي قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز - لقيه أهل الاجناد: أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه. فأخبروه أنَّ الوباء قد وقع بالشام.

قال ابن عباس: فقال عمر. أدْعُ ليَ المهاجرين الاولين؛ فدعوتهم، فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام.. فنادىٰ عمر في الناس: إني مصبحٌ علىٰ ظَهْرٍ فأصْبِحُوا عليه. فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدرِ الله؟.

فقال عمر: لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة! نعم نفرُّ من قَدَرِ الله إلىٰ قَدَرِ الله. أرأيتَ لو كانت لك إبل فهبطت وادياً له عُدْوتان: إحداهما خصبة والاخرىٰ جدْبة ألَيس إنْ رعيتَ الخصبة رعيتَها بقدر الله، وإنْ رعيت الجدبه رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علماً سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: [إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وَقَعَ بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه]. قال: فحمد الله عمرُ بنُ الخطاب، ثم انصرف».

لقد أصبح واضحاً - كل الوضوح - إن الاستعمار عمل جاهداً في البلاد التي ابتليت باستعماره أن ينزع من المسلمين أي أثر كان من آثار اعتزازهم بدينهم وما يَبْعثُ علىٰ الفخر به. ولقد صار يغض من قيمة الحضارة العملاقة التي أرسى قواعدها وأقام بنيانها المسلمون في فترة زمنية ليست بالقصيرة؛ فصوَّب كثيراً من سهامه نحو التراث الاسلامي؛ ليقيمَ حدِاً فاصلاً وحاجزاً مظلماً بين ماضي الامة الاسلامية وحاضرها.. ومهمة المسلم في هذا العصر كبيرة عظيمة. ان مهمته أن يقوم ببناء امته من جديد، أن يعطيَ جانب العقيدة كثيراً من اهتمامه، وإن يبرز - أيضاً - الجوانبَ الفكريةَ والعلمية في الاسلام، اذ ان ذلك يظهر جوانب مهمة من جوانب الاعجاز الاسلامي.

ولقد سرَّني كثيراً أن قام أخـونا الفاضل الاستاذ الصيدلي عمر محمود

بكتابة هذا البحث الممتع في (الطب الوقائي في الاسلام)، جَمَعَ فيه ما أشارت اليه آياتٌ من القرآن وأحاديث لرسول الله ﷺ في الطب الوقائي ، رابطاً بينها وبين أحدثِ الحقائق الطبية في هذا الأمر.

ان هذا البحث نافعٌ ومفيدٌ باذن الله ، ما أحوجَنا إليه والىٰ أمثاله في هذا الوقت! .

والله أسأل أن يوفِّقَ الاستَاذ المؤلف لكل خير، ويسددنا وإياه، ويجعلنا من عباده الصالحين الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله! وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين! .

ابراهيم النعمة
امام وخطيب جامع
الحاج ذياب العراقي
في الموصل

موضوعات الكتاب :

شملت الدراسة الموضوعات التالية :-

الاسباب الموجبة لتأليف الكتاب :

طالعني وأنا ادخل احدى المكتبات كتاب (إعجاز الطب النبوي). وهو كتاب أُلّفَ حديثاً في سلسلة كتب اسماها المؤلف الدكتور السيد الجميلي (الموسوعة الاسلامية الكبرى). وبعد قراءة الكتاب رأيت ان الكاتب تناول الآيات القرآنية وأحاديث الرسول (ﷺ) بنظرة سطحية بسيطة، لم تكن بالمستوى المطلوب من الفهم أو الشرح، والمقارنة أو التعليل لتتم الفائدة، والأخذ بالعبرة، ومعذرةً للاخ المؤلف، وهو مأجور لما بذل من جهدٍ. ونأمل ان يحفّز كتابه وكتابي هذا الاخوة القراء، والاطباء بصورة خاصة لتناول الموضوع والابداع فيه. وقضية اخرى نأخذها على الدكتور السيد الجميلي، هو أنه أقحم في الكتاب الذي هو (اعجاز الطب النبوي) الشيء الكثير من الطب العربي (الشعبي)، الذي لا يمتّ الى الرسول ﷺ، بصلةٍ، اللهم إلاّ ما أشار إليه الرسول (ﷺ) وهو جدّ قليل.

وقبل هذا الكتاب. كنت قد قرأت كتاب (الطب النبوي) لعبقري الاسلام ومجتهده المعروف بورعه وتقواه الامام ابن القيم الجوزية - رحمه الله - والحق انه كتاب جمع الكثير من آثار المصطفى (ﷺ) في الطب من حيث الوقاية والعلاج.

وتمت دراسة شيخنا الجليل ابن القيم لتراث المصطفى (ﷺ) مقارنة بمستوى الطب المعروف في زمانه، ولا يخفى على القاريء محدودية المعرفة الطبية والعلوم في تلك الفترة، فحددت معلومات تلك الفترة التأريخية فهمهم لاحاديث الرسول (ﷺ) وأسعفهم من التفسير الخاطيء لها التزامهم بحرفية النص وعدم تجاوز ذلك، وقد توفي ابن القيم سنة ٧٥١هـ - رحمه الله -. ونحن اليوم نعيش عصراً تطور فيه الطب والعلم، وتقدم تقدماً هائلاً، بحيث صار الطب القديم لا يصلح حتى ان يكون ابجدية للطب الحديث، إذ لم يتيسر للسابقين ما تيسر لنا من علم، وآلات وأجهزة لِسبرِ أغوار الانسان، وتكشف ما خفي منها ضمن علم التشريح، الى اكتشاف الاشعة، الى التصوير التلفزيوني، وليس آخر. هي أشعة الليزر، كل هذه المبتكرات في عالم الطب، قد أوضحت ما كان خافياً على الانسان، وما كان

يُعدّ من الطلاسم والأسرار.

لذا، فالطب النبوي بحاجة الى جمع وتحقيق من جديد، ودراسة مقارنة وفهم مبني على ضوء العلم الحديث، وما يستجد فيه.

وقد وفقني الله سبحانه وتعالى لتتبع آثار النبوة، فيما يتعلق بالطب الوقائي عند الرسول (ﷺ)، وتركت لمن هو اكثر مني كفاءةً، ان يتناول الطب العلاجي.

وقد اعتمدتُ كتاب الطب النبوي لأبن القيم الجوزية، كأحد المصادر المهمة في البحث، إذ أنّ احاديثه مخرّجه ومعلومة الصحة والنسب، ولم يأخذ ابن القيم الا بالاحاديث الصحيحة السند، وتجنّب الموضوعات والضعيفة. وليعلم كلُّ مَنْ يقرأ كتاب الطب النبوي، لابن القيم. أنَّ كلام النبوة شيء. وشرح ابن القيم له - كما قلنا - حسب علمه بالطب شيء آخر، فليس كل ما جاء بالكتاب هو منسوباً للرسول (ﷺ)، وانما هو شرح مسهب من كلام ابن القيم، أقول هذا، ليس لأهل الاختصاص. بل لعموم الناس الذين يقرؤون كتاب ابن القيم.

ونسأل الله تعالىٰ أن يتقبل منا، ويجعل جهدنَا خالصاً لوجهه الكريم.

«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنّا، واغفر لنا، وارحمنا، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين».

العميد الصيدلي

عمر محمود عبدالله

الموصل /مركز تأهيل الجرحى /٢

١٦ شوال ١٤٠٨هـ - الموافق ١٩٨٨/٦/١

قبل الطبع

بعد أن اكتملت صفحات البحث، دلّني احد الاخوة الأعزاء على كتاب في الطب الوقائي حديث الصدور، وكان الكتاب بعنوان (الطب الوقائي في الاسلام) للدكتور احمد شوقي الفنجري.

وقد تناولتُ الكتابَ بامعان، وطالعتُ بحوثه كلها، وكانَ فيه الكثير الكثير من الجديد الذي لم اكن قد ضمنتُهُ كتابي، فاستفدتُ منه في صياغة الافكار والمعلومات الحديثة، وعمدتُ الى نقل بعض الفصولَ منه كاملةً اومع بعض الاختصار الذي لا يخلّ بالمعنى، مشيراً الى ذلك، وقد بذل المؤلف فيه جهداً كبيراً، ويمتاز الكتاب بالشمولية، ويمتاز مؤلفه بعمق التفكير والرصانة الادبية، والعبارة السَلِسَة المقبولة.

إلّا أن معظم أحاديث الكتاب غير مخرّجة، نأمل ان يخرجها الاخ المؤلف في الطبعات القادمة، وذكرَ فيه بعض الاحاديث الموضوعة ايضاً.

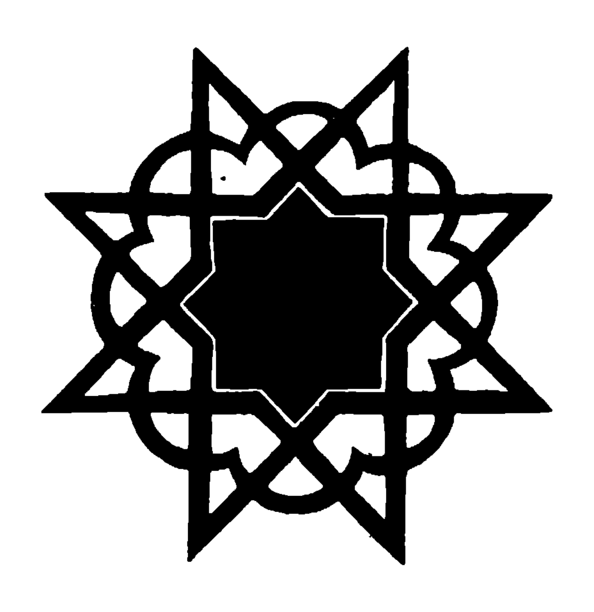
وقد أحجمت عن طبع كتابي هذا، بعد اطلاعي على كتاب الدكتور احمد شوقي الفنجري الّا ان كثيراً من الصالحين شجعني على طبعه لحاجة الناس عموماً في بلدنا العراق، اليه.

وقد حظي كتابي هذا بتضافر من جهود الاخوة الصالحين جزاهم الله عني خيراً.

الاستاذان غانم سعدالله حمودات وعبدالمنعم يحيى علي الشهواني قاما بمراجعته وتصويبه لغويا.

وقام الاستاذ ابراهيم النعمة بتخريج احاديث الكتاب ومراجعته. وكتابة المقدمة

وقام المقدم الطبيب ناطق محمد جواد النعيمي بمراجعته وحثني على نشره.



المقدمة :

ان الباحث المتتبع لما ورد من آيات في القرآن الكريم وأحاديث عن الرسول (ﷺ) مبثوثة في صفحات الكتاب والحكمة وهما تمام رسالة الله سبحانه إلى الناس كافة، ليجد الصورة الكاملة الوضاءة للانسان الذي أراده الله سبحانه أن يكون خليفته في الأرض.

فاوحى الله سبحانه الى رسوله (ﷺ) معالم الهداية الى الحق في كل نشاطات الحياة وفي مختلف مراحلها التي يمر بها الأنسان. فقد تكلم عنه ورعاه وهو جنين وطفل، وأوضح طريق تعامله مع غيره وهو رجل، ونظم علاقته بربه سبحانه.

وان كانت بلاغة التنزيل بهرت العرب بأعتبارهم أول شعب تلقى الرسالة فسجدوا لله مطيعين مؤمنين، فانّ معجزات الاسلام وحقائق القرآن التي تتكشف مع نضوج العقل والمعرفة والتقدم العلمي للأنسان، تجعلنا أشد أيماناً وقناعة بأنه (ﷺ) **﴿وما ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحي يوحى﴾** سورة النجم /٣. وأنْ هذه الرسالة أمر خارق للعادة لا يقوىٰ علىٰ بلوغ مستواها في الأداء والبناء والمعنى أحدٌ من البشر بل لابد أن تكون من صنع العليم الخبير بتفاصيل الكون وجزئياته وشموليته.

عنيت الرسالة الاسلامية بالأنسان، وعالجت مشكلاته وأعطت الأهمية البالغة لرفع الحرج ودفع المشقة عنه، وهناك جانب مهم أكدت عليه هو سلامته ووقايته النفسية والجسمانية من الأمراض والانحرافات، وذكر كل ما هو اساس وضروري لاستمرارية الحياة وديمومتها وسعادتها أيضاً.

لذا نجد القرآن الكريم في كثير من آياته أكدّ الجانب الوقائي لحياة الانسان من المرض وسلوكيته من الانحراف والتجاوز. والمحرّمات التي حددتها الشريعة الغراء إنْ هي الاّ عوامل هدم وتخريب في الكيان الانساني والحياة. ونجد حكمة الرسول (ﷺ) تتدفق لتوجيه الانسان ووقايته من المرض ليعيش صحيحاً في جسمه معافى في نفسه يستطيع تحمل أعباء التكليف الآلهي بعمارة الأرض وأستثمار خيراتها التي سخرها له والأفادة منها والتنعم بها والعيش الرغيد في زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من

الرزق بشكل ممزوج بالطاعة لله والعبادة له من غير ظلم وأستئثار وطغيان، وهذا مصداق قوله تعالىٰ:

﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ سورة هود / ١١

وليكون أنساناً متوازناً جديراً بأن يكون خليفة الله فيقيم العدل وينشر الخير.

﴿واذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة﴾ سوة البقرة / ٣٠

وهيا الله سبحانه للأنسان برسالة الأسلام كل ما يكفل طيب هذه الحياة وسلامتها، لذا نجد التحذيرات من أخطار المرض والتوجيهات الوقائية بارزة في هدي الرسول الأعظم (ﷺ) وهذا من كمال الرسالة التي جاءت منهج حياة كاملاً.

فنشاط الانسان مقيد بحدود الشريعة فلا ينحرف أو يطغى، ولأطماعه حدود لا يتعدَاها ونشاطات حياته كلها مبرمجة ومرتبة.

وقد جاءت التعليمات الوقائية في صفحات حياة الرسول (ﷺ) منسجمة مع اداء الرسالة متداخلة في العبادات، وعندما نقرأ كتب الفقه الاسلامي يتبادر الى أذهاننا أنها جزء من العبادات وقد أكدها الرسول (ﷺ) ومارسها طيلة حياته ولم يخالف فعله قوله. وكل هذه التعليمات كانت جديدة على الحياة لم ينتبه الأنسان إليها ولم يعطها حقها من الممارسة والتطبيق. وشهدت ممارسته (ﷺ) لتعليماته هذه نساؤه وأهل بيته وصحابته. فكان في سلوكه الأنسان القدوة وقد أجرىٰ الله سبحانه وتعالىٰ في سيرة حياة الرسول (ﷺ) احداثاً جساماً وتقلبات شتى وتعرّض لمصائب وظروف معاشية صعبة وشدائد قد لا تصيب كثيراً من الناس ليكون (ﷺ) المثل الفريد للأنسان في السلوك والتصرف المتوازن في كل موقف لأجيال المسلمين من بعده ولكل البشر انطلاقاً من عالمية الرسالة فقلَّ أن تقع حادثة لأنسان لم يواجه الرسول ﷺ مثلها أو أصعب منها وأوضح كيفية معالجتها ومواجهتها لمن بعده.

فلا يحار الانسان أن يسلك الطريق الصحيح لارضاء الله مهما تعقدت أمور حياتهِ.

وأردنا بعد توفيق الله سبحانه تسليط الضوء على الطب الوقائي باعتباره موضوعاً خاصاً فعملنا علىٰ تقصي الآيات القرآنية وأحاديث الرسول (ﷺ) لنقف علىٰ مجمل عوامل الوقاية من المرض والتي عاشت أجيال المسلمين منتفعة بها في ثوب حضاري جميل. فكانوا «خير أمة أخرجت للناس».

وهذا ما سنقرؤه في الصفحات القادمة ان شاء الله.

كان هذا كله قبل ألف وأربعمئة عام عندما كانت ملايين البشر في دياجير الظلام الفكري والعقيدي والتخلف العمراني والحضاري، إذ كانت قيمة الانسان بمصادر قوته لا بذاتِهِ كمخلوق كرمه الله سبحانه وجعل من هذِهِ الكرامة حصانة له وحرم أيذاءه.

ولقد انتفع المسلمون من حافز العقيدة للعمل علىٰ أن ينشئوا المنهج العلمي التجريبي وأن يفرقوا بين الطب والخرافة.

وقد أعترف الغرب بهذِهِ الحقيقة وفي مقدمتهم العلامة بريفولت في كتابهِ (بناء الانسانية) فضلاً عما أورده جوستاف لوبون في كتابهِ (حضارة العرب) وما أوردته الدكتورة زيغريد هونكة في كتابها (شمس الله تشرق على الغرب).[1]

والله سبحانه الذي خلق الكون وأبدع الحياة وأورث الانسان الأرض يعيش عليها لم يترك تنظيم الحياة هملاً وإنما جعل لها ضوابط من نفسها تستقيم بها حتىٰ كثرة النسل والانفجار السكاني جعل لها ضوابط بمجموعها يتولد التوازن المطلوب بين الولادات والوفيات شرط اتباع المنهج الالهي الطبيعي.

وقد وُجدَ أن المرضعات تنتظم عندهن الولادات بين ٢,٥ سنة و ٣,٥ سنة لكل حمل في حين تقل هذِهِ النسبة تسعة أشهر لغير المرضعات.[2] وفي الوقت نفسه يكون الابتعاد عن المنهج الالهي مدعاة لجلب الاخطار والامراض التي أحاط بها علمنا الآن. والتي لم يحط بها بعد.

إن تلقي الرسالة الالهية المتمثلة بالقرآن الكريم وحكمة النبوة الطاهرة على الوجه المطلوب من الالتزام والجدية لحريٌ أن يقي الانسان من الامراض

---

(١) الاسلام والدعوات الهداقة / أنور الجندي ص/ ١٣٠

(٢) كتاب : Maxcy Rosenan Preventive Medicinc P. 501.

الجسمية فضلاً عن الامراض الاجتماعية ويحقق له السعادة على مستوى الفرد والجماعة ويسعى العلم اليوم حثيثاً ليكشف جوانب غامضة علينا وكل يوم يكشف العلم لنا آية من عظمة الاسلام وحاجة الحياة اليه في سعيها الى السلامة.

وفي دراسة طبية لشرائح من النساء في مختلف بقاع العالم وجد أن نسبة الاصابة بأمراض سرطان الثدي تقل في النساء اليابانيات ولدى البحث تبين أن السبب هو كون المرأة اليابانية ترضع أولادها ١٨ شهراً الى ٢٤ شهراً وهذا ما نص عليه القرآن الكريم صراحة فقال سبحانه: ﴿**الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ (سورة البقرة /٣٣).

واليوم يعيش المجتمع الانساني في ضوء العلم ويتقدم علم الجراحة ونقل الدم وزرع الاعضاء وإكتشاف المضادات الحيوية والآلاف من الادوية التي ساهمت في تخفيف الآلام وحفظ الحياة.

وقد برز بشكل ملحوظ دور المعلومات والثقافة الصحية للفرد والمجتمع. إذ وجد أن وفيات الاطفال تكثر في الطبقات الجاهلة والفقيرة. [1]

من هنا تأتي أهمية توجيهات الرسول (ﷺ) في منح الفرد المسلم ثقافة تبعد عنه خطر المرض والآمه. والاصابة بالامراض لا تهدد الحياة وتنقصها فحسب بل تعمل أحياناً على تعويق أعداد كبيرة من المجتمع عن العمل والانتاج إذ يضطرون مع المرض الى ملازمة الفراش لمدة معينة مما يعتبر خسارة في الجهد والانتاج للمجتمع كله.

وإذا اعتبرنا مسؤولية الطب ليست العناية بصحة الفرد والمجتمع فحسب بل توفير السعادة التامة لكل أفراد المجتمع وهذا ما ينظر اليه الطب الحديث، كنا - نحن المسلمين - السبّاقين اليه بكل تأكيد.

وتعتمد صحة المجتمع فيما تعتمد عليهِ في أمور منها:

١- ثقافة الفرد الصحية والعامة.

٢- صحة الفرد ونظافتهُ والاعتناء بها والتركيز عليها.

٣- تصرفات الافراد الحياتية، فمثلاً ممارسة الافراد لانواع السلوك المختلفة مدعاة للامراض، فغالباً ما يؤدي الاسراف في الطعام والكسل

(١) كتاب: Maxcy Rosenan Preventive Medicinc P. 482.

والتدخين الى غرف الانعاش في المستشفيات اثر الاصابة بالجلطة القلبية.[1]

٤- صحة البيئة والمحيط الذي يعيش فيه الانسان ومجموع العوامل المؤثرة فيه. ولقد اهتمت الدول المتقدمة بالصحة العامة وبالطب الوقائي وتشكلت منظمات خاصة عديدة للعناية بالصحة العامة ونشر الوعي والثقافة الصحية.

إن تعليمات الرسول (ﷺ) الوقائية هي من دلائل نبوته أذ أن ما جاء بهِ من توجيهات هي قضية جديدة على العرب لم يشر اليها أحد قبله، أو يعنى بها وما نجد عليهِ بعض البدو اليوم من اهمال لهذا الجانب خير دليل على النقلة الكثيرة في أساليب الوقاية من المرض التي حققها الاسلام لاتباعهِ باستمرار ليمكنهم من أسباب القوة والعيش الكريم.

وكان الرسول (ﷺ) آخر رسول يتلقى رسالة من الله سبحانه. وآخر رسول يؤسس الدولة النموذج في حياة البشر، ويديرها بدستور دائمٍ شمل كافة نواحي الحياة ومنها الجانب الصحي ووقاية الفرد والمجتمع من الامراض. لذا لم تعد فرصة أخرى لغير المسلمين للدخول في طاعة الله على يد رسول جديد فهذهِ قافلة الانبياء أختتمت بمحمد (ﷺ) فليدخل كل البشر حضانته ويؤمنوا برسالته ليأخذ بأيديهم الى رضوان الله سبحانه وسعادتهم.

---

(١) Maxcy Rosenan Preventive Medicince P. 634.

الصحة والقوة

الصحة، هي رفع مستوى الانسان جسدياً ونفسياً وعقلياً، وتحسين احواله المعاشية، والوقاية من المرض ومكافحته وعلاجه، وقد أعلىٰ القرآن الكريم شأن القوة والصحة، فقال سبحانه وتعالى على لسان ابنةِ شعيب عن موسى عليه السلام:

﴿إنَّ خير مَنْ استأجرت القويّ الأمين﴾ - (سورة القصص /٢٦).

وان كانت الأمانة من سماتِ المسلم، فالقوة للمسلم مطلوبة في أوسع مفهوم لها من قوة الجسد وسلامته، ونباهة العقل وألمعيته، وقد أشادَ الله سبحانه بموسى عليه السلام بقوله (القوي)، (الأمين). لذا دعا الرسول (ﷺ) أصحابه للأخذ بأسباب القوة والصحة في أجسادهم، واعتبر سبحانه وتعالى القوة في الجسم سمة تفضيل مثل سمة العلم فقال: ﴿إنَّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (سورة البقرة /٢٤٧). وكذلك ﴿. وزادكم في الخلق بسطة﴾ (سورة الاعراف /٦٩).

وعلى المسلمين اليوم أن ينتبهوا للبسطة في الخلق هذه، وان يدرسوا أسبابها، فتحسين مستوى المعيشة يؤدي - حتما الى اكتمال النمو، وتحسين صحة الذرية، والاهتمام بصحة الأمهات الحوامل، والتزاوج من الاجنبيات (غير قريبات النسب). فان كانت المرأة من عائلة قوية البنية، فسيؤدي حتماً الى ولادة أطفال أقوياء البُنية، يحملون صفات الآباء والاجداد الجيدة، ويكون ذلك ضماناً لسلامة الطفل من الامراض والعاهات الوراثية.

وقد أكدّ الاسلام في توجيهاته على القوة في معانيها الواسعة كافة. فقد قال الرسول ﷺ (المؤمن القوي خير واحب الىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير). (رواه مسلم في صحيحه).

وهكذا اراد النبي ﷺ من المؤمن أن يكون قوياً في جسمه، قوياً في عقله، أبياً في نفسه، والقوة ملازمة للصحة والسلامة، والخور والضعف ملازم للمرض في الغالب، فحببَّ الرسول ﷺ لنا القوةَ وملازمتها، وهكذا حث على الأخذ بأسباب الصحة.

ولم يفهم المسلمون قديماً وحديثاً أن الله سبحانه وتعالى يفضّل

الصحيح من المؤمنين على غيره من المرضى أو المصابين بالعلل الدائمة أو الضعف الخلقي أو الوراثي، وحاشَ لله أن يكون غير عادلٍ في النظر الى عباده المؤمنين، ولكن للحديث معنى آخر، وهو أن يسعى المؤمنون جميعاً الى الأخذ بأسباب الصحة والقوة، وإذا تيسرت لهم السبل ان يسلكوها الى هذه الغاية، فاذا تساووا في فرص متكافئة من الامكانيات الجسمية والمالية والصحية، فعندها فقط، يكون الساعي لتحسين صحته، وكسب المال الحلال، وبالتالي زيادة قوته، أحبّ الى الله من المؤمن الكسول الخامل المتهالك الضعيف الذي بيده تغيير واقعه نحو الأفضل، فيخلد الى الأرض. فاقداً الهمّة. (١)

ومن قوانين الله سبحانه وتعالى الثابتة أنه لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم، والمجتمع الاسلامي هو مجتمع العدل وما يقتضيه من قوة في ارسائهِ، ومجتمع الحركة والعمل المثمر المنتج حتى العبادات أغلبها حركية، وما كان ولا أرادَ الله سبحانه أنْ يكون مجتمع كسالى ولا رهباناً يعيشون عالةً على جيوب وجهد غيرهم من البشر، فهم لا ينتجون ويستهلكون انتاج غيرهم.

واليد العليا المنفقة في الاسلام خير من السفلى، والمؤمن القوي الصحيح الجسم - بهذا المنظور - خير من الضعيف العليل. ونستمر مع الرسول ﷺ في تأكيده أهمية الصحة، حيث قال: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) (رواه البخاري). صدقت يارسول الله. ما أجلّها من حكمة. !

نعم. مغبون مَنْ ساءت صحته واعتلّ جسده، وخارت قواه، وتجرّع الألمَ ساعةً بعد ساعةٍ. ومغبون ايضاً من اشتغل بدنياه حتى استنفذت قواه ولم تُبقِ له فراغاً يتعبد فيه ويتدبر فيه معاني الكتاب وحكمة النبوة ويلتمس طريق النجاة.

وفي مجتمعنا اليوم كثير من الناس يقضي احدهم وقته ويفني عمره بين العمل والمتعة، وينشد المتعة بأيّ مكان وبأيّ اسلوب كان، ويستمر في هذه الدوامة، فلا يفيق منها حتى يموت.

(١) من كتاب احاديث في الصحة / د. نبيل الطويل - بتصرف.

لم يقف يوماً، بل لم يفرغ ساعة ليسأل نفسه مَنْ خلَقهُ؟ ولماذا يعيش؟ وما بعد الموت؟ وهل الدنيا هي غاية الطريق؟! وبتعاقب الليل والنهار ينصرم العمر، ويكون هو المغبون فعلاً، ومَنْ على شاكلته. والامراض بصورة عامة والامراض المتواطنة (Endemic disease) بصورة خاصة تستنزف المال الكثير والقوى البشرية للأمة وتضعف انتاجها في ميادين الحياة كافة.

وبدل ان تسخر الامة المالَ لحل مشكلات الحياة واتمام سعادتها، تتحول الى الصرف لمكافحة المرض ودفع غائلته عن المجتمع ولا يقدّر قيمة الصحة التي ذكرها النبي ﷺ إلاّ صاحبُ العلة التي تضنيه وتضعفه وتُسهره الليالي الطوال.

وإذا أزمنت العلة افقرت صاحبها وغيّرت طباعه، وعقدت نفسيته، واسبغت على أيامه جواً من عدم التفاؤل والحزن والتفكير بحاله وحال اسرته.(١)

فالمؤمنُ مدعوٌ إذن لحماية جسمه من العلل، وصيانته من الامراض وعدم التفريط به فيما يضره ولا ينفعه، ومعرفة طاقة الجسد، فلا يتعداها. وإن يعطي الجسدَ حقه من الراحة لاستجماع واستعادة قابليته ولياقته، ليكون مهيئاً لخدمة الانسان، وقد قال الرسول ﷺ:

• (ان لجسدك عليك حقاً) (رواه مسلم في صحيحة).

الاعتراف بالطب Recognition of Medicine

كانت بعثة الرسول ﷺ ايذاناً بانتهاء عصر الخرافة والتهافت والضعف البشري في كل مجالات الحياة، ابتداءاً من العقائد وانتهاء بالطب.

وكان الطب قبل بعثته ﷺ مشوباً بالسحر والكهانة والشعوذة، وكان المسيحيون في اوربا لا يستطيعون ان يقدموا شيئاً للمرضى والجرحى إلاّ أن يأتوا بهم الى الكهان والقسس، ليقرؤوا شيئاً لهم ويطردوا عنهم الارواح الشريرة أو يطلبوا منهم تجديد التوبة لأنهم اصيبوا بهذهِ الارواح الشريرة نتيجة معاصيهم.

كان هذا كل ما عليه المجتمع البشري من تقييم للطب. ثم ولد النور

(١) احاديث في الصحة / د. نبيل الطويل - بتصرف.

وكانت البشرىٰ، وبُعث الرسول (ﷺ) ليعيد الحق الى نصابه ويأخذ بيد الانسان الى الطريق الصحيح في ميدان الطب، وينقله من الخرافة والحدس الى العلم والتجربة، ويبين لهم انه رسول رب العالمين، ليخرجهم من الظلمات الىٰ النور، وان عليهم أن يأخذوا بأسباب العلاج من اهل التجربة من الاطباء، وانه ﷺ كان يتداوىٰ. فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة. . (أن العرب وغير العرب كانت تصف له الدواء فيتداوىٰ).

وأقرّ الرسول (ﷺ) موضوع العلاجَ والتداوي، واسنده الى أهل الخبرة من أطباء تلك الفترة كما سنرى، وان الطب العلاجي يتناول موضوعاً كبيراً متشعباً من التشخيص والعلاج لكل الامراض التي تصيب الانسان وصاحب الاختصاص فيه هو الطبيب.

وقد تداوىٰ الرسول (ﷺ) بما وصف له أطباء زمانه، واكدّ الطب الوقائي لحماية الانسان على انه جزء من الرسالة الكاملة لحفظ الحياة وسلامتها. واوضح الرسول عليه السلام ان المسألة العلاجية مرتبطة بقانون السببية، وان لكل مرض سبباً أو عاملاً مؤثراً أدىٰ الى حدوث الخلل في توازن ودفاعات الجسم، حيث قال (ﷺ) بعبارة صريحة أثرت في مسامع الأطباء والباحثين من العرب والاقوام التي دخلت الاسلام.

(تداووا عبادَ الله، فان الله تعالى لم يضع داءاً ألا وضعَ له دواءاً، غير داء واحدٍ: الهرم). رواه الامام احمد في المسند عن اسامة بن شريك، ورواه ابو داؤد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وقال عليه السلام: (لكل داء دواء، فاذا أصيب دواء الداء: برأ باذن الله) (رواه مسلم واخرجه احمد والحاكم).

وبهذا القرار فتح الرسول (ﷺ) آفاق العلم والتجربة والبحث امام العلماء والاطباء، للتوسع في الدراسة والبحث حتى شمل جهدهم كل الامراض التي تصيب الانسان.

ولا زال كلام الرسول (ﷺ) باعثاً حثيثاً يدفعنا للبحث عن أسباب أمراض لا زالت دون علاج نافعٍ يخفف عن الانسان ألمه ويعينه على الشفاء، وقد أكدّ النبي (ﷺ) هذه الحقيقة. حيث يقول:-

(ما انزل الله من داء إلا انزل له شفاء). (رواه البخاري ومسلم).

ومتى صحّ الحديث عن رسول الله (ﷺ) كان حقيقة لا جدالَ فيها، ويبقى فهمها والاستفادة منها، لان كلامه - عليه السلام - على وجه التحقيق لا الظنّ.

فهم القدر: -

ان الاخذ بالاسباب لا يعارض القدر والتسليم به، كما لا يقف الايمان بقدر الله حائلاً دون الاخذ بالاسباب، ولنفهم هذه المحاورة الممتعة بين الرسول (ﷺ) وبين الصحابي أبي خزامة، قال أبو خزامة. قلتُ يارسول الله: أرأيت رقى نسترقي فيها ودواء نتداوى به، وتقاة (وقاية) نتقيها؛ هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال (ﷺ). هي من قدر الله). (رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم).

فان كان المرض قدراً للمعرّضين للاصابة من جراء المحيط أو طبيعة العمل أو اهمال شروط الوقاية، فالتداوي قدر مثله يجب أن نأخذ به. وبهذا الكلام الرائع الحكيم وضع الرسول طريق العلم والاخذ بالاسباب. فالرقية هي الدعاء من الله سبحانه بالشفاء، وهي تفيد في علاج كل الامراض، وترفع من معنوية المريض، وتجبر نفسه الكسيرة، وتدخل الطمأنينة فيها، بدل هواجس الضعف والمرض، وتساعد الرقية في تحقيق التوكل على الله سبحانه، خالق الاسباب كلها، وفي التماثل للشفاء.

وان من الامراض ما يحتاج الى مبضع الجراح ومقصه، او معالجة أسباب المرض وتلافيها وتقويم ما انحرف من برامج عمل كل جهاز من أجهزة الجسم. بعد فحصها ومعرفة موضع الخلل فيها، استعانةً بما يتيسر من وسائل التشخيص الشعاعية والمختبرية والعلامات السريرية وظواهر المرض ومساعدة الجسم على الرجوع الى الحالة الطبيعية المتوازنة.

وهذا التوجيه النبوي يفيد ايضاً ان لا يهمل الانسان نفسه عن التداوي والسعي لطلب اسباب الشفاء له ولمن يعول، وأن يفهم حقيقة التوكل بعد الاخذ بالاسباب، فهو مأمور بها.

والتداوي يشمل الأخذ باسباب الشفاء من ناحية تناول العلاج، وكذلك

التداوي الوقائي (وهو ما يؤخذ من علاج وقاية من الامراض كالتلقيح ضد الامراض كالتايفوئيد والكوليرا والكزاز وشلل الاطفال. . وتناول الادوية قبل واثناء دخول المناطق الموبوءة بالمرض كتناول حبوب الوقائية من الملاريا (حبوب الكلوركوين)، او تناول حبوب (السلفا) للوقاية من مرض السحايا، وعلاج المرض مباشرة دون تأخير، قد يمنع عن الانسان مضاعفات المرض وآثاره الاخرى، مثل معالجة ضغط الدم المبكر قد يُجنب صاحبه الاصابة بالجلطة القلبية او الدماغية، ومعالجة مرض السكر قبل ان يتطور وتظهر مضاعفاته وهي العمى، أو بتر أصابع القدم، أو القدم والساق احياناً). [١]

ومن الوقاية مكافحة القوارض التي تنقل المرض وتتلف المحاصيل وكذلك الذباب والحشرات.

---

(١) مجلة التربية الاسلامية. /د. وجيه زين العابدين.

التلوث

١- فضلات الانسان .

٢- الماء .

٣- مصادر المياه .

٤- الطعام والشراب .

٥- تلوث البيئة .

التلوث : Polution

التلوث حلقة جديدة من حلقات العلم الحديث والطب الوقائي المعاصر، توصل اليه الانسان باكتشاف وصنع العدسات المكبرة، ثم المايكروسكوبات والمايكروسكوبات الالكترونية التي تكبرّ الاف المرات.

وبعد تطور علم الجراثيم والطفيليات Bacteriology & Paracitology

عرف الانسان هذه الكائنات الحية المتناهية في الصغر، ذات التأثير الخطر في صحته، وتمكن من فصلها وعزلها وتسميتها.

وعرف بشكل يقيني ابعاد التلوث وخطورته على الصحة الفردية، والصحة العامة.

وقبل هذه الطفرة العلمية الهائلة، كان الجهل والحدس يكتنف عقول الاطباء والعلماء في أسباب المرض. فهم يصفون، ويقاربون احياناً ويبتعدون عن الحقيقة احياناً اخرىٰ في كثير من كتاباتهم. وعند زيارة المصطفى (ﷺ) وتقصّي هديه، نجده قد طرق الموضوع بشكل مباشر، محذراً أمته من مخاطر التلوث بصورة واضحة، وبكلام العالِم بدقائق الامور التي لم تكن لتخطر ببال أحد من قومه.

فقد حدّد لهم مصادر التلوث وعلمهم طرق الوقاية منها، وهي :-

فضلات الانسان :-

اعتبرها نجسة (ملوثة)، ويجب على كل مسلم ان يتنظف منها، وتشخيصها بهذا الشكل المحدد، هو خطوه كبيرة في مسيرة الطب الوقائي على مستوى حصيلة البشرية كلها من التجربة المتراكمة.

وبهذا منع مصدراً ومستودعاً كبيراً للعدوى والتلوث ان يؤثر في الصحة العامة للفرد والمجتمع.

وأمر ﷺ المسلمَ ان يغسل مواضع طرح الفضلات من جسمه بالماء، ليزيل آثارها بعد التخلص منها. وهذا ما عبرّ عنه بالاستنجاء. كما علمّنا (ﷺ) ان نطهّرَ اجسامنا وثيابنا اذا تلوثت بشيء من الفضلات المذكورة، كما سنقرأ في موضوع النظافة - لاحقاً.

المـــاء: -

كان النبي (ﷺ) حريصاً على طهارة الماء ونظافته، ويفتخر المسلمون اليوم أنهم أول أمة حددت استعمال الماء بشروط على لسان الرسول (ﷺ).

فمن بديهيات الفقه الاسلامي، ان الماء الطهور، هو الماء الرائق الصافي المحافظ على طعمه ولونه ورائحته والخالي من الشوائب التي تغير واحدة منها.

وقد اعتبر الاسلام ماء الثلج والبَردَ والمطر هو أطهر المياه الصالحة للاستعمال البشري، إذ أنه مرّ بعملية تصفية وتقطير طبيعية من خلال التبخر، فهو خالٍ من الاملاح والشوائب والجراثيم.

قال سبحانه وتعالىٰ في سورة الانفال /١١ :

﴿وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به﴾.

وقوله تعالى في سورة الفرقان /٤٨

﴿وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً﴾.

ونجد هنا التناسق والتوافق بين ما وصل اليه الانسان بعد هذه الرحلة في رحاب العلم وآيات التنزيل من الخالق سبحانه للكون والحياة، والتي نزلت قبل الف واربعمئة عام لتقرر أن الماء الطهور هو المقطّر الذي لم يُلامس ويتلوث بغيره، لأن صانع الحياة ومنزّل الكتاب واحدٌ سبحانه جلّ في عُلاه.

مصادر المياه: -

حافظ الاسلام على سلامة المياه عموماً من التلوث حتى يستفيد منها الانسان، ويكون في مأمنٍ من الخطر على صحته.

يروي لنا جابر في حديثه ان النبي (ﷺ): -

(نهى أن يُبالَ في الماء الراكد والجاري) (رواه احمد والنسائي وابن ماجة).

وفي هذا التوجيه حِفظٌ لمياه الانهار والعيون والواحات والآبار وبرك الماء المتجمع من المطر، وكذلك الترع والسواقي التي تستغل للزراعة، وهذه مصادر المياه التي يستعملها الناس، قد جعلها الاسلام في مأمن من التلوث. فحرّم التبرز والتبوّل فيها الذي يصيب الانسان بافدح الاضرار، لأستيطان

الامراض والاوبئة فيها، كما هو حاصل عند كثير من الفلاحين الذين يعانون من الجهل بالدين والعلم، من تبرّزهم وتبولهم في الترع والسواقي الزراعية والذي يؤدي الى انتشار الاصابة بمرض البلهارزيا ومختلف انواع الديدان كالانكلستوما والأكسيورس.

(وقد قدرت نسبة الاصابة بهذه الامراض والديدان في بعض القرىٰ في مصر والسعودية والعراق والسودان واندنوسيا بخمسة وتسعين في كل مئة من سكان هذه القرىٰ). [1]

ولكي نأخذ فكرة عن جسامة الاضرار التي تسببها هذه الديدان والطفيليات للاقتصاد العربي والاسلامي تقرأ التقرير الذي اذاعته وزارة الصحة المصرية عن أثر البلهارزيا في مصر:

فقد قدرت هذه الابحاث ما يصرف سنوياً في مصر أو يضيع في شراء ادوية علاجية ورواتب اطباء لهذا المرض وفي شَغل أسرَّة في مستشفيات المدن والقرى، وفي تعطيل المرضى. من فلاحين وعمال وموظفين عن العمل، وفي تأخر صحة الجندي الحديث التجنيد، وعدم الاستفادة من طاقته قبل سنة كاملة من العلاج.

قدرت الخسارة السنوية في كل هذه المجالات مجتمعة بحوالي (٥٠٠) مليون جنيه مصري، تضيع من مصر سنوياً بسبب البلهارزيا وحدها). [2]

فكم هي خسارة العالم الاسلامي كلّه اذن في علاج المرض ومكافحته؟ وكم هي الآلام المبرّحة التي يعاني منها هؤلاء المرضىٰ المساكين..؟

وتبارك الذي بيده الملك، إذ يقول في سورة النحل /٩٧:

﴿مَنْ عمل صالحاً من ذكر او انثىٰ وهو مؤمنٌ فلنحيينّهُ حياةً طيبةً ولنجزينّهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

فمن نتائج الايمان:-

العمل الصالح النافع للانسان ومجتمعه.

والالتزام بتعاليم الاسلام الوقائية يوصلنا حتماً الى الحياة الطيبة الهنيئة والبعيدة عن المرض.

---

(١) تقل هذه النسبة اليوم في العراق كثيراً، ويكاد يكون نظيفا من البلهارزيا.

(٢) كتاب الطب الوقائي في الاسلام. /د. احمد شوقي الفنجري. ص٢٥٦ بتصرف.

حيث لا طيبةَ للحياة مع المرض والمعاناة من آلامه. والنظافة وحدها والالتزام بها تقينا كثيراً من الألم الذي نتجرعه مكرهين في حالة المرض.

ومحرّم في الاسلام البراز ورمي الاوساخ في الطرقات العامة، وكل مكان يستخدمه الناس لنشاطاتهم وتجمعهم وسيرهم.

وحافظ الاسلام على الماء اثناء الاستعمال في البيوت، عندما لم تكن هناك اسالة ماء كما نعرفها اليوم، وننتفع بها. حيث كان الناس يضعون الماء في قدور وأوانٍ فعلمهم الرسول (ﷺ) طريقة استعمال الماء والاستفادة منه وعدم تلويثهِ.

قال (ﷺ) في حديث يرويه ابو هريرة (رضي الله عنه):

(اذا استيقظ احدكم من النوم فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها فلا يدري اين باتت يده) (رواه الجماعة).

فاذا غمسها بالماء لوّثه كلَّهُ، وعليه اذن ان يصبّ الماء عليها لتُنَظَف.

وتأكيداً للوقاية من تلوث الماء والحفاظ على نظافته، نهى الرسول (ﷺ) عن شرب الماء ليلاً من إناء مفتوح غير مغطىً. قال رسول الله (ﷺ): (اوكئوا قُربكم واذكروا اسم الله وغطّوا آنيتكم واذكروا اسم الله) (رواه البخاري ومسلم). [1]

ومنَعَ الرسول (ﷺ) المسلمين من الشرب من مصادر الماء مثل النهر او الغدير مباشرةً بأن يتمدد احدهم على بطنه ويشرب الماء بفمه من مصدره، او كما يفعل السابحون في الانهار ما لم يغترف احدهم بيده فيرى الماء قبل ان يشربه، فلربما علق به ما يكدره، فيؤذيه ويمرضه.

قال ابن عمر:

(ان النبي (ﷺ) نهانا ان نشرب على بطوننا، ونهانا ان نغترف باليد الواحدة، وقال: لا يلغ احدكم كما يلغ الكلب ولا يشرب بالليل من اناء حتى يختبره، الاّ ان يكون مخمراً (مغطى). [2]

وعلمّ الرسول (ﷺ) اصحابه الطريقة الصحية والصحيحة لشرب الماء، فنصحهم ان يشربوا الماء على دفعات ولا يشربوا كالبعير شربةً واحدة طويلة

---

(١) الطب الوقائي النبوي ص٨٨ /د. محمود الحاج قاسم - الموصل ١٩٨٨

(٢) الطب النبوي لابن القيم ص١٧٨

فلربما خالط الماء الهواء اثناء الشرب والتنفس والعجلة فيغصّ في الماء ويدخل قسم من الماء الى الرئة مؤدياً الى الألم والاختناق والسعال المتكرر.

٤- الطعام والشراب: -

حرص الاسلام على الحفاظ على الطعام والشراب بعيداً عن مصادر التلوث وأسباب نقل المرض كثيرة منها: تلوث الاطعمة والمشروبات، وهو المدخل لكثير من الامراض وتسمم الطعام والذي يؤدي في الغالب الى التقيؤ او الغثيان والاسهال وفقدان السوائل، وربما الموت.

كل هذا وغيره ينتج من تلوث الطعام بالجراثيم وتكاثرها فيه، وافرازها للسموم التي تحدث الاعراض التي أشرنا إليها.

لهذا كله نجد الرسول (ﷺ) يأمر بتغطية اواني الطعام وربط أفواه القرب، وعدم تركها مفتوحة وخاصة في الليل.

قال (ﷺ):

(غطّوا الاناء واوكئوا السقاء، فان في السنةِ ليلةً ينزل فيها وباء لايمرّ بإناء ليس عليه غطاء وسقاء ليس عليه وكاء الّا وقع فيه) (رواه مسلم في صحيحه).

ونجد هنا ان الرسول (ﷺ) لم يلمّح فقط بل اشار بدقة الى ان الوباء ينتقل، وإن الطعامَ والشراب يتلوث بما تحمله الريح من جراثيم الأوبئة عامة، والأوبئة الموسمية، حيث قال: (ان في السنة ليلة..) اي هناك مواسم تنتشر فيها اوبئة معينة لمساعدة الاحوال المناخية من حيث الرطوبة والحرارة على تكاثر الجراثيم ونشاطها).

بركة الالتزام بتعاليم الاسلام: -

التزم المسلمون الاوائل بالشريعة الاسلامية فكانوا بالتزامهم جيلاً متحضراً متعلماً التزم بأسباب الوقاية من المرض، فاغناهم الله عن العلاج. وقد حفظوا الله في دينهم، حيث بنوا التزامهم هذا على التعبد لله والطاعة للرسول (ﷺ) وعدم التفكير في المنفعة المادية الحاصلة لهم فحفظهم الله في أجسادهم وأدامة صحتهم، واسعدهم في دنياهم. وهذا مصداق كلام الرسول (ﷺ): (احفظ الله يحفظك.) الذي يروية ابن عباس. (رواه الترمذي).

طريقة شرب الماء:-

ولما يحويه فم الانسان من جراثيم كثيرة لا يخلو منها فم واحد، وخاصة المرضى.

واذ يعتبر المريض ورذاذه احدىٰ وسائل انتشار المرض من السقيم الىٰ السليم.. أمر الرسول (ص) بألّا يشرب المرء الماء من فم السقاء او الأناء الكبير المُعد لتجهيز مجموعة من الناس مثل (الشربة) أو (الدولكة) أو (الترمس) أو (الجْليكان) - خشية انتقال الجراثيم من فم الشارب الى الماء ثم تنتقل لبقية الشاربين.

قال ابن عباس رضي الله عنه:

(نهى رسول الله (ﷺ) عن الشرب من في السقاء) (رواه البخاري).

ومَنْ ارادَ الشرب فعليه أن يأخذ بإناء اصغر قدر حاجته من الماء. وللقدح الصغير شروطه ايضاً، فقد نهى الرسول (ﷺ) عن الشرب من القدح المثلوم لصعوبة تنظيف موضع الثلمة ولما تحمله من اوساخ قد تخالط الشراب أو يحتمل ان تتسبب في جرح فم الشارب.

قال ابو سعيد الخدري:

(نهى رسول الله (ﷺ) عن الشرب في ثلمة القدح وان ننفخ في الاناء (سنن أبي داؤد).

ولما كان كلام الرسول (ﷺ) لا يصدر عن الهوى (الرأي الخاص، وانما هو الهامٌ من الله سبحانه العالم بدقائق الامور وهو خالقها وواضع اسرارها ﴿الذي اعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ﴾ سورة طه / ٥٠.

لذا لم نجد في تاريخ البشر والحضارات البشرية وبُناتها من القادة والزعماء مَنْ تدخّل في تفاصيل الحياة اليومية وشملَ بتوجيهه جوانب الحياة كلها، ألّا الرسول محمد (ﷺ) لأنه كان يتلقى النور الالهي من خالق الكون ومُبدع الحياة، فلم تَغِب عن بالِهِ قضيةٌ يحتاج الناس اليها ليعيشوا الحياة الطيبة التي ارادها الله الّا ذكرها.

التنفس في الماء:-

ولما كان الكثير من الامراض المعدية تنتشر عن طريق رذاذ التنفس واللعاب فقد نهى رسول الله (ﷺ) عن التنفس في الماء اثناء الشرب لئلا

يتلوث فيشرب السليم منه فيمرض لذا قال (ﷺ)

(لا يتنفس احدكم في الاناء اثناء الشرب أو ينفخ فيه) (رواه الترمذي).

وسنعود الى نظافة الماء ثانية في موضوع النظافة.

٥- تلوث البيئة: -

قال الرسول (ﷺ): -

(اتقوا الذرّ فان فيه النسمة).[١]

والذرّ، هو الغبار. والنسمة هي المرض.

والاوساخ والجراثيم تعلق بالغبار وتحملها الريح شرقاً أو غرباً، ولهذا كانت بعض الامراض موسمية، فهي تعيش في شروط حرارية معينة اذ تكثر في الصيف مثلاً لملائمة درجات الحرارة لها، مثل التايفوئيد والاسهال الصيفي عند الاطفال. كما ان الحصبة وشلل الاطفال يكثران في الشهر التاسع والعاشر من السنة

وكثير من هذه الامراض يحملها الهواء من المصاب الى السليم، واحياناً يتولّد من هذه الجراثيم انواع لها القدرة على الصمود في الاحوال القاسية. لذا نجد ان بعض الامراض يظهر كل مدة معينة مثل الكوليرا التي قد تظهر كل سبع سنوات.[٢]

ويستمر كلام الرسالة يغطي حاجة الانسان في كل وقت. واليوم نرى ان أكثر اسباب تلوث البيئة هو الذرّ (الغبار)، والذي فيه النسمة (المرض) والموت احياناً.

فسحبُ الدخان في المدن الصناعية، والمطر الحامضي الى الغبار الذري وتلوث الجو بالمواد المشعّة كالذي حصل من القنابل الذرية على

---

(١) ذكره الدكتور احمد شوقي في كتاب الطب الوقائي في الاسلام ولم أقف على تخريجه.

وذكره احمد محمد سليمان في كتابه القرآن والطب ص٩٣. وذكر أنه ورد في قاموس مختار الصحاح (والنسمة لها معان عدة من بينها:

١- الطير الخفاف السراع التي لا يمكن العين أن تستبينها لخفتها وسرعتها.

٢- الشيء الحي صغر أم كبر.

فاذا أخذنا الحديث باحد المعنيين تجلى لنا فيه دقة علمية معجزة ويكون معناه (تجّنبوا الغبار فأنّ يسبب وجوده في الهواء به كائنات حيّة صغيرة لا يمكن العين ان تستبينها تسبب اضراراً لكم) - أحمد محمد سليمان / القرآن والطب.

(٢) الطب الوقائي في الاسلام، د. / احمد شوقي الفنجري.

هيروشيما ونكازاكي، وتسرب الاشعاع من مفاعل شرنوبل وبقية المفاعلات النووية.

كما ان مخلفات الاحتراق من السيارت التي تملأ الشوارع في المدن ودخان السكائر الذي يضايقنا في كل حين.

ومخلفات المصانع والمواد الكيمياوية التي تُرمى في الانهار والبحار عوامل مهمة في تلوث البيئة.

فالحديث يصلح ان يكون لافتةً في كل منعطف، ليفهم الناس ان تلويث الهواء يحمل المرض اليهم. وان الحفاظ على نظافة البيوت والمساجد والمدارس والمعسكرات والمعامل، وكل ما يستخدمه الانسان ضروري لحفظ الحياة.

وصدق الله العظيم اذ يقولُ:

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ سورة الانعام /٣٨.

وقد أدرك العالم الغربي خطورة تلوث البيئة على الصحة العامة وخطورة الاشعاع، وتشكلت منظمات واحزاب تطالب بنظافة البيئة ومنع أسباب التلوث، ومنع رمي المخلفات النووية في البحار. كما قامت بعض الدول الصناعية بأنشاء معامل الصناعات ذات المخلفات القذرة في بعض الدول الفقيرة.

وبهذا جاءت حضارتهم لتلقي على الارض السلام!!

مثال ذلك ما حدث في الهند من تسرب الغازات السامة من أحد المعامل الذي أدّى الى موت المئات من سكان المدينة وأسر العمال الفقراء. لذا تعتبر كل التعليمات الوقاية والحذر من خطر التلوث وتعليمات الأمن المهني، شرعية المنشأ، اسلامية الطابع للحفاظ على سلامة الحياة.

وقد تمّ احصاء ما صُنِع خلال عشرين سنة من ١٩٥٠-١٩٧٠ من المواد الكيمياوية العضوية الملوثة للبيئة في العالم (عدا الدول الشيوعية). فتبين انها زادت من سبعة ملايين طن الى ثلاثة وستين مليون طن. ومن المتوقع انها بلغت سنة ١٩٨٨ ثلاثمئة مليون طن. وفي الغالب اتخذت شكل صناعات بلاستيكية ولدائن والياف مطاطية. (١)

(١) Applied PharmaCology - Anderew Wilson P. 560.

وفي سنة ١٩٥٢، وخلال فترة الضباب الكثيف في لندن، وصل تلوث الهواء مستوى غير اعتيادي مما أدىٰ الىٰ وفاة (٤٠٠٠) مواطن بسبب التهاب القصبات وأمراض الرئتين والقلب. (١)

كما ان ناتج دخان السيارات من مركبات الرصاص العضوية قد تسبب امراض الدماغ وتحطم الدماغ بالكامل، عند بعض الاطفال الذين يتعرضون لذلك. (٢)

ويؤدي دخان السيارات الىٰ تلوث البيئة باول أوكسيد الكاربون الذي يتحرر من مكان الاحتراق، وقد يكون مميتاً اذا تم استنشاقه في غرفة مغلقة (أو كراج مغلق).

والاستهلاك الرئيس لأول اوكسيد الكاربون إنما يتم من قبل بكتريا التربة التي تعيش عليه. (٣)

وقد قُدّر ما تقذفه المحركات في العالم أجمع بمئتي (٢٠٠) مليون طن سنوياً. وقد قدرت أيام العمل الضائعة بسبب مرض العمال وتمتعهم بالاستراحات المرضية في انكلترا وحدَها بثلاثين مليون يوم عمل سنوياً يكلف الدولة (٦٥) مليون باوند.

وتعزىٰ أسباب المرض الى تلوث البيئة. (٤)

---

(١) المصدر السابق نفسه
(٢) المصدر السابق نفسه ص٥٦١.
(٣) وهذا من اسرار التوازن في الحياة التي ابدعها الله سبحانه وحفظها كما جاء في المقدمة.
(٤) المصدر السابق نفسه

النظافة الشخصية

الطهارة

الايمان والنظافة

نظافة الجسم

غسل يوم الجمعة

نظافة المرأة

نظافة الأيدي

نظافة الأقدام

الفمْ والانف

وقاية الاسنان والاعتناء بها .

السواك

الرأس

كيف كان شعر الرسول (ﷺ)

الثياب

سنن الفطرة

نظافة المساجد والمحلات العامة

نظافة دور السكن

الطرق العامة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الارض الطاهرة

الشروط الصحية للدفن

النظافة الشخصية Personal Hygiene

علّمَ الرسول (ﷺ) المسلمين والعالم أجمع عادات النظافة في الحياة اليومية، فكفّل لهم بها الوقاية من الاصابة بالامراض وسلامة الجسم.

• **الطهارة:**

ــــ لم ترد كلمة الطهارة المرادفة لما نسمية التعقيم اليوم في اية دراسة طبية كانت او نظام او هيئة قبل تسمية الاسلام لها وتخصيصها.

فقد سمّى القرآن الماء المقطر النازل من السحاب ماء طهوراً، ولم يصف ماء البرك أو ماء العيون او الآبار، وانما خصّ بالطهر ماء المطر. قال سبحانه وتعالى:

﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ سورة الانفال / ١١

واول انسان استعمل كلمة الطهور والطهارة بهذا المعنى الاصطلاحي، وبالتحديد للتفريق بين المعقم والملوث، هو الرسول (ﷺ). اذ نجد وصفه لماء البحر الذي يحتوي على نسبة عالية من الاملاح في الحديث يرويه أبو هريرة رضي الله عنه:

(هو الطهور ماؤه الحلُّ ميتته). (رواه الخمسه).

فالطهور هو النظيف المعقم الخالي من الجراثيم. وعكس الطهارة كانت النجاسة. فكل شيء حامل للنجاسة نسميه بالتعبير الحديث العلمي (ملوّث). وبالتعبير الاسلامي (نجس).

وقد عدّد الفقهاء المسلمون بعد ذلك المواد الملوّثة والملوِّثة لغيرها النجاسات وهي: -

الغائط، البول، القيح، القيء، الدم، لُعاب الكلب، لحم الخنزير، الميتة، المتعفن من الحيوانات، والمني. (١)

وعلى المسلم ان يطهر جسمه أو ثيابه، أو الماء الذي يستعمله لشربه أو وضوئه من هذه النجاسات.

وشرّع الغسل للبدن والثياب بالماء الطاهر وتنظيفهما بالشكل المناسب،

---

(١) المني ليس نجساً. وانما يجب ازالته لان تركه يؤدي الى تفسخه، لأنه مواد دهنية وبروتينية تعيش عليها الجراثيم.

من آثار تلك النجاسات.

وقد سمّى القرآن الكريم هذه المواد الملوثة رجساً بقوله تعالىٰ: **﴿إلاّ ان يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزير فانه رجس﴾** سورة الانعام /١٤٥

وعلّمنا صراحةً ان هذا الرجس والتلوث يزول بالغسل بالماء الطاهر بقوله تعالى: -

﴿وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ سورة الانفال /١١

وأثبتت دراسات منظمة الصحة العالمية /قسم الصحة الوقائية /ان استعمال الماء النظيف في الغسل يزيل حوالي ٩٠٪ من المايكروبات.[١]

فالطهارة تذهب النجاسة، والرجس في المفهوم الاسلامي والتعقيم يزيل التلوث ويقتل الجراثيم بمنطق العلم التجريبي. والمراد واحد والسبق للاسلام.

الايمان والنظافة: -

المؤمن برسالة محمد (ﷺ) لابدَّ ان يكون انساناً نظيفاً مادياً بجسمه ومعنوياً بروحه وسلوكه.

ولا يوجد في المجتمع المتدين انسانٌ غير نظيف اللهم إلا الجهلة بالدين والحياة، الذين ورثوا الاسلام عن آبائهم، فهم مسلمون بالوراثة، أما حصيلتهم من الاسلام فلا تساوي شيئاً. للمؤمنين بخاتمة الرسالات الالهية للبشر. قال (ﷺ) مخاطباً اياهم: -

(الطهور شطر الايمان. .) (رواه الامام احمد والترمذي عن أبي مالك الاشعري).

وان الايمان بعد الاسلام، ويُعتبر درجة متقدمة، ومَنْ ارادَ المثول بين يدي الله سبحانه، فما عليه الاّ ان يتطهر ويتخلص من بُؤر الرجس (الجراثيم). والنجاسات (المواد الملوثة).

وربط الاسلام العبادة بالنظافة، فلا تُقبل من المسلم عبادةٌ ما لم يؤدِ شروط النظافة البدنية التي سنذكرها.

---

(١) الطب الوقائي النبوي / د. محمود الحاج قاسم - الموصل ١٩٨٨

وجعل الاسلام من النظافة نظامَ حياةٍ يومية لا يخالفه المسلم طوال حياته، بل يتطبّع عليه، فيصير نمط الحياة المميز للمسلم.

نظافة الجسم:

شرع الاسلام للمسلم ان يتوضأ خمس مرات في اليوم والليلة. قال سبحانه وتعالى: -

﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين، وإن كنتم جُنباً فاطهروا﴾ سورة المائدة /٧

فيغسل المسلم وجوباً الاجزاء الظاهرة من جسده، والأكثر استعمالاً وتعرضاً للتلوث من المحيط والعمل

وعلّمه قبلها الاستنجاء وهو غسل الفرج والدُبر جيداً بالماء وإزالة كل أثار النجاسات (التلوث) عنها.

وعدّ تلك الفضلات نجسة كما قلنا، فايّ ملامسة للجسم او الملابس مدعاة للغسل والتنظيف.

وشدّد في ذلك، فعدّ عدم التخلص من آثار البول مثلاً، مستحقاً لعقوبة الانسان بعد موته.

عن ابن عباس ان النبي (ﷺ) مرَّ بقبرين فقال:

(انهما يعذبان وما يعذبان بكبير، أمّا احدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة) (رواه الجماعة).

ونلاحظ هنا ان الرسول (ﷺ) استعمل كلمة الاستنزاه، فانها تعني التخلص التام والنظافة المطلقة.

ونستمر مع الاسلام وهو يعرض علينا منهجه في بناء الانسان النظيف، فيقول الرسول (ﷺ):

(طهّروا هذه الاجساد طهّركم الله) (رواه الطبراني عن ابن عمر).

وأمر الرسول (ﷺ) بغسل الجسد كله ولو مرة في الاسبوع، وهذا ما تعارف عليه المسلمون بغسل الجمعة. قال الرسول (ﷺ):

(حق لله على كل مسلم ان يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيها رأسه

وجسده). (رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة).

وقد عدّ الفقهاء المسلمون موجبات الغسل أودواعي الاستحمام وتنظيف الجسم كله.

سبعة واجبة.

سبعة عشر مستحبة.[1]

وان اول شيء يفعله مَنْ ارادَ الدخول في الاسلام هو ان يغسل جسمه كله حتى قبل ان يردد اشهد ان لا اله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله.

فالغسل هنا اشعارٌ بأنه انتقل الى مجتمع نظيف مادياً وروحياً. وغسل ادران الجاهلية المادية والمعنوية.

غسل يوم الجمعة:

أكدّ الرسول (ﷺ) غسل يوم الجمعة لتطهير المسلمين المجتمعين كافة من الاوساخ والروائح المنفرة والجراثيم المرضية، فقال (ﷺ):

(غسل يوم الجمعة واجب على كل مسلم).[2]

وقال (ﷺ):

(اذا جاء احدكم الجمعة فليغتسل).[3]

وربط الاسلام بين النشاطات الانسانية والنظافة، مثل اتيان الرجل زوجته، فقد اوجب الاسلام ان يغتسل الزوجان بعد المعاشرة الزوجية قبل الصلاة.

وأمر المسلم ان يغتسل بعد كل احتلام تظهر فيه آثار الافرازات على الملابس الداخلية، والاّ تقبل منهم صلاة دون الاغتسال، وعلّمهم كيف يغتسلون؟ وحبَب للمغتسل منهم ان يدلك جسمه ليزيل آثار الاوساخ المتراكمة على البشرة وافرازات الغدد العرقية، وان يصب الماء عليه لتنظيف اجزاء الجسم كافة، لا يترك جزءاً من جسمه حتى ينظفه.

وبعد هذه المقدمات لتعاليم النظافة نقول:

لم تعرف النظم الصحية ولا الطب الوقائي قديماً وحديثاً مثل هذا

(١) كتاب فتح القريب ص٨،

(٢) رواه مالك واحمد وابو داود والنسائي وابن ماجة عن ابي سعيد.

(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم والنسائي.

التركيز على النظافة في الحياة الاسلامية على مستوى الأفراد والشعوب وقد يسأل من زار الغرب اليوم ورأى الشعوب والمدن الغربية نظيفة ومرتبة وجميلة.

لماذا نجد هناك كل هذا الجمال والنظافة ونجد مدننا متسخة والشعوب كذلك.

الغربيون التزموا بتعاليم النظافة التي وصلوا اليها عن طريق العقل، ومن ثقافات الشعوب الاخرىٰ كالمسلمين مثلاً.

والمسلمون اليوم مثلهم كمثل من ورث عن أبيه مكتبة حافلة بكل المعارف والعلوم وهو يجهل حتى القراءة والكتابة. فماذ تستطيع ان تقدم له تلك المكتبة من أسباب التقدم!

انه الجهل أو التجهيل المتعمد بالاسلام وتعاليمه، تركُ المسلمين الوارثين لأعظم حضارة عرفتها الارض، يبدون لنا بهذا الشكل المتخلف.

ودليل قولنا هو هذه المقارنة: -

لو أخذنا اليوم ونحن نعيش السنوات الاخيرة من القرن العشرين عصر التقدم العلمي والطبي، رجلاً من عامة أهل الهند والآخر من جهلة اوربا والثالث رجلاً جاهلاً متديناً من المسلمين.. وندرس مظهرهم ونظافتهم.

عندئذ نرى الفرق الشاسع بين المسلم في نظافته ومظهره، والاوربي والهندي - غير المسلم - في قذارتهما واتساخ ملابسهما وجسميهما.

بل المقارنة الحية كل يوم بين الرجل كبير السن المتدين من المسلمين وكبير السن - غير المتدين - من المسلمين ايضاً.

فتجد الاول نظيفاً وقوراً، تُقبل عليه وتحدثه وتأنس به. والثاني تجده قذراً، منفرّاً برائحته، ومظهره، وان كلمته آذاك بكلماته ايضاً.

وترد علينا في مدينة الموصل قوافل الحجاج الاتراك المسلمين، فتشدّك إليهم نظافتهم وحسن مظهرهم، رغم كبر السن وفقر الحال، ويدخل علينا اوربيون شرقيهم وغربيهم، فننفر من رائحتهم الكريهة بانهم من رومانيا او بلغاريا او غيرها.

قد يبدو للقاريء المسلم انّ هذا الامر بدهي لا يستحق الاهتمام لكونهم مسلمين تعودوا النظافة ومارسوها، وأصبحت لا تأخذ من اهتمامهم الشيء الكبير، كالشمس لعامة الناس ينعمون بخيرها دون التفكير في اهميتها،

ويعرف قدرها العلماء.

والآن سنتطرق الى فقرات النظافة بشيء من التفصيل.

نظافة المرأة: -

أمر الاسلام المرأة ان تغتسل بعد انقطاع دم الحيض وبعد انتهاء الولادة وايام النفاس، وان تنظف موضع الدم بقطعة نظيفة حتى لا تترك أثراً للدم فتتكاثر عليه الجراثيم محدثةً الاصابة بالامراض المختلفة.

وقد وجّه الرسول (ﷺ) النساء المسلمات وعلّمهنَّ كيفية التنظيف بكلمات المربي الصبور بقوله:

(تأخذ احداكن ماءها وسدرها فَتُطَهّر فتحسن الطهور ثم تصبّ الماء على رأسها فتدلكه ذلكاً شديداً حتى يبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة (قطعة قماش صغيرة) ممسكة (مبتلة بالمسك) فتطهّر بها. فقالت احداهنّ: وكيف تطهّر بها يا رسول الله؟ قال: سبحانَ الله، تطهّري بها، فقالت أم المؤمنين عائشة شارحة لها (تتبعي أثر الدم). (رواه الامام احمد ومسلم وأبو داؤد وابن ماجة).

لم يترك الاسلام ثغرة في أساليب الثقافة الشخصية كما سنرى، ولنظافة المرأة وطهورها من اسباب التلوث بالجراثيم وتكاثرها إلاّ علّمها اياها، والمرأة اكثر عرضة للمرض من الرجل لوظيفتها في الحمل والارضاع ولاسباب تشريحية.

نظافة الأيدي: -

خصّص الرسول (ﷺ) استعمال اليد اليسرى للاستنجاء والتخلص من آثار الفضلات.

واليَدَ اليمنى للطعام والشراب والتناول. قال (ﷺ):

(إذا شرب احدكم فلا يتنفس في الاناء، واذا أتى الخلاء فلا يمسّ ذكره ولا يتمسح بيمينه) (رواه البخاري).

فهذا التخصيص هو لمنع احتمالية دخول بعض آثار الفضلات في شقوق البشرة وطياتها وتحت الاظافر، في وقت لم يكن يتم فيه التنظيف بصورة جيدة لعدم وفرة الماء والصابون.

وحتى يومنا هذا فاحتمال بقاء قسم من الجراثيم وبعض الفضلات تحت الاظافر وفي ثنايا اليد باقٍ عند كثير من الناس، فتنقل الى الجسم عن طريق الفم محدثة التأثير المرضي. ومن الامراض التي تنتقل باليد الملوثة هي التايفوئيد والديزانتري، وجراثيم التهاب الامعاء. وتنتقل ايضاً باليد، اذا لم يغسلها جيداً واستعملها لطعامه، بيوض الديدان الصغيرة التي تضعها الديدان حول فتحة الشرج والتي تحدث الحكة غالباً والهرش عند الصغار خاصةً، اذ تتحرك ليلا فتضع بيوضها اثناء نوم الطفل فتزعجه بحركتها وتخرشه وتسمى (الاكسيورس).

ومشهورة في كتب الطب حادثة اصابة عدة أسر في لندن بمرض التايفوئيد، وهذه الأسر كانت كلها غنية وافرة الثراء، وأدت اصابتهم الى وفاة قسم منهم، وبعد التقصي، وجد ان احدىٰ الخادمات التي كانت تصنع لهم الطعام حاملة لجراثيم التايفوئيد وكانت تنتقل بين هذه الأسر كل فترة لتعمل في مطابخها. لذا أكدّ الرسول (ﷺ) استعمال اليد اليمنى للطعام، وتروي كتب السيرة ان الرسول (ﷺ) شاهدَ احد الناس يأكل بيسراه فقال له (كل بيمينك)، فقال الرجل لا استطيع، قال (ﷺ): (لا استطعت) فما رفع يده الى فيه بعدها).[1] لانه لم يمتثل امر الرسول (ﷺ).

ولما كان استعمال المِلعقة محدوداً عند كثير من الشعوب، واكثر الطعام يُتناول باليد، تتبيَّن اهمية تخصيص اليد اليمنى للطعام بعيداً عن التلوث وتكرار الاصابة من مصادر العدوى.

وعلى المسلم ان يغسل يده بعد الاستنجاء بالماء والصابون عند توفره، او يدلكها بالارض ليزيل ما علق بها من آثار البراز ورائحته ثم يغسلها بالماء.

فعن أبي هريرة قالَ: كان النبي (ﷺ) اذا أتى الخلاء اتيته بماء في كور (اناء من نحاس) اوركوة (اناء من جلد) فاستنجى ثم مسح يده على الارض. (رواه ابو داود وابن ماجة).

ويشمل غسل الايدي اثناء الوضوء اليد والساعد حتى المرفق ثلاث مرات، وتبرز اهمية الغسل الى المرافق لدى الفلاحين وعمال البناء، وكل الذين يستعملون ايديهم في العمل.

---

(١) رواه مسلم من حديث سلمة بن الاكوع.

كما شرع الاسلام غسل الايدي قبل الطعام وبعده للحفاظ على سلامة الطعام من التلوث؛ ومما حافظت عليه القبائل العربية عادةً غسل الايدي قبل الطعام الى يومنا هذا. فقد كان رسول الله (ﷺ) (اذا اراد ان ينام وهو جُنب توضأ، واذا ارادَ ان يأكل غسل يديه). (رواه النسائي وصححه ابن حبان).

وقال النبي (ﷺ) ايضاً:

(بركة الطعام الوضوء قبله وبعده).[1]

واوضح الرسول (ﷺ) الحكمة من غسل الايدي بعد الطعام، وانّ ما يبقى في اليدين من (الغمر) اي بقايا اللحم والدسم هما وسط جيد لنمو الجراثيم وتكاثرها مع حرارة اليد اللازمة لهذا النمو والتكاثر.

قال (ﷺ):

(ان الشيطان حساس لحّاس فاحذروه على انفسكم، مَنْ باتَ وفي يده ريح غمر فاصابه شر فلا يلومَنَّ الا نفسهُ).[2]

ويمثل الشيطان في التصور الاسلامي كل شر يصيب الانسان، ومن هذه الشرور التي تلحق الاذىٰ بالانسان وتصيبه بالأمراض، الاهمال والغمر والكسل وعدم الالتزام الكامل بالشريعة.

فوقاية الحياة البشرية وقاية تامة من الامراض هي العيش في رحاب الاسلام وظلاله الوارفة.

وان نسي المسلمُ ان يغسلَ يدَه بعد الطعام او أنشغل عن ذلك قال له الرسول (ﷺ):

(اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة).[3]

وأول شيء تفعله عند الاستيقاظ هو ان تغسل يديك بالماء ولا تدخلهما في الماء الطاهر، بل صبّ الماء عليهما، لتنظفهما. وفي هذا وقاية من ان تدلك وجهك او انفك او عينيك أو تتناول طعاماً بيدك الملوثة التي لاتعرف اين باتت؟

(اذا قام احدكم من نومه وارادَ ان يتوضأ فلا يدخل يده في الأناء حتى

(١) اخرجه الطيالسي في مسنده وأبو داؤد والترمذي والحاكم واحمد بسند ضعيف.
(٢) رواه الترمذي والحاكم.
(٣) رواه الامام احمد والبخاري ومسلم.

يغسلها لأنه لا يدري ابن باتت يده؟). [1]

زيـارة المريـض

واخيراً وانت تزور المريض، فمن المحبب لك وللمريض ان تتوضأ قبل الزيارة فتغسل يديك التي ستصافح بها المريض، وعادة تكون مناعة المريض قليلة، فيحتمل ان يُصاب بجرعات جديدة من المايكروبات من الزوار وهو لا يحتمل كل ذلك، فينتكس وتتردىٰ صحته، وكثير من الناس يحمل الجراثيم ولا يُصاب بها، وهذه الفئة تكون ناقلة للمرض.

قال (ﷺ): (مَنْ توضأ فاحسنَ الوضوء وعادَ اخاه المسلم محتسباً بوعِدَ من جهنم مسيرة سبعين خريفاً). [2]

نظافة الأقدام:

نظافة الأقدام والتخليل (امرار الماء بينها) بين اصابع القدم لأزالة كل الاوساخ التي لو تركتِ لتَعَّفَنتْ وتفسخت، وعلى المتوضيء ان يحافظ على طهارة قدميه بعد الوضوء، فلا يلامس الارض مباشرة ان كانت رجله رطبةً من الوضوء.

وينصح المتوضيء ان يمسح رجله من الماء بعد الوضوء ويجفف ما بين الاصابع من بقايا الماء خاصة. فبعض الناس تلتصق اصابعهم فيكون بلل الوضوء المتبقي سبباً لنمو الفطريات، واذا مسح المتوضيء ما بين اصابعه فليمسحها بقطع نبيذه (كلينكس) أو قطن او قطع قابلة للرمي حتى لا يستعملها مرة ثانية كما يفعل بعض الناس، او يحتفظ بمنشفة لقدمية، وتكون المنشفة هذه مصدر عدوى له، ولا تغني عنه شيئاً.

والتخليل بين الاصابع وتنظيفها من فضلات التعرق المتعفة وقاية للاقدام من الامراض التي تصيب الجلد، والتي عادةً تبقى لفترة طويلة يشكو منها المصاب. وقد قال ﷺ:

ـه (اذا توضأت فخلل اصابع يديك ورجليك). (رواه الترمذي والحاكم).

الفم والأنف: -

ومن سنن الوضوء غسل الفم والأنف ثلاث مرات لكل منهما، ولما كان

(١) رواه ابن ماجة والدارقطني.
(٣) رواه ابو داود عن أنس.

الفم والأنف هما فتحتي الجسم اللتين يتنفس منهما الانسان فقد تنتقل بعض الجراثيم التي تتعلق بغبار الهواء فتدخل الفم والأنف مثل جراثيم السل والخناق وفايروسات الانفلونزا.

وبهذا الغسل المتكرر تتم عملية طرد الكثير من هذه الجراثيم التي دخلت وتعلقت باغشية الفم والأنف خمس مرات في اليوم) في الاقل.

وقاية الاسنان والاعتناء بها : Dental Care

ان امراض الاسنان واللثة تعد احدى المشكلات الكبيرة في الصحة العامة للفرد والمجتمع.

انها ليست امراضاً هينة، ربما تكون حادة في بعض الاحيان وان لم تكن سبباً رئيسياً لتهديد الحياة.

ان مشكلة تسوس الاسنان وتساقطها لازالت تستحث الدارسين والباحثين قديماً وحديثاً، وتدخل ضمن اهتمامات كل البشر.

ان تسوس الاسنان يتعرض له اكثر الناس، وهو واسع الانتشار ويبدأ مبكراً في مسيرة الحياة. وتشير الاحصائيات الى ان ٧٥٪ - ٩٠٪ من الاطفال الداخلين الى المدارس حديثاً يعانون من التسوس وهذا المرض لا يشبه غيره من الامراض، لانه لا يشفى بعلاج، وانما بضرورة تدخل يد طبيب الاسنان للقلع او الترميم.

ان التسوس ليسرعُ الى الانسان بمعدل أسرع مما يستطيع الطب معالجته. ويؤدي التسوس حتماً الى فقدان الاسنان.

ان اهم سبب للتسوس هو المواد الغذائية (الكاربوهيدرات) التي تبقى في الاسنان بلا تنظيف.[1]

وفي احصائية اجريت عام ١٩٦٢ لمجموعة من السكان في الولايات المتحدة بين سن (١٨- ٧٩) اظهرت النتائج الاتية:-

١- ١٨٪ فقدوا الاسنان كلياً. والنساء اكثر من الرجال. والبيض يفقدون اسنانهم بسرعة اكثر من السود وبسرعة اكبر.

٢- معدل الاسنان المفقودة والمتنخرة والمحشية، (DMF) (٢٠ر٤) للفرد الواحد من مجموع الاسنان للبيض. و(١٤) للفرد الواحد من مجموع

(١) Prenentive Medicine. P.507

الاسنان للسود.

٣- ثلاثة من كل اربعة يعانون من التهاب اللثة وامراض الاسنان الاخرى، والسود اكثر من البيض لقلة العناية.[١]

ما ذكر اعلاه من معلومات مستقىً من مجتمع متقدم اقتصادياً وعلمياً حيث تتوفر العناية الطبية، فما بالك بالمجتمعات الفقيرة من البشر، وكيف تبرز الحاجة الى وقاية الاسنان والاعتناء بها.

لذا نرىٰ الرسول (ﷺ) أولاها كل الاهتمام المطلوب. وهذا من دلائل نبوته. ومعلوم في تاريخ الطب الوقائي أن محمداً (ﷺ) اول انسان أقرّ استعمال السواك، وحبب استعماله لاصحابه، واستعمله باستمرار طيلة حياته استعمالاً رتيباً دون الملل الذي تدفع اليه الرتابة في الاشياء، وكسل الانسان عن ادائها.

وفي هذا دليل ايمانه العميق (ﷺ) بما يأمر اصحابه به. فأول مَنْ يمارس ما يأمر به هو نفسه (ﷺ) وينفذه بنفسه، ويُلزِمُ اهل بيته، وقد حبّبَ استعمال السواك في جميع الاوقات.

فاكد استعماله عند الوضوء، وقبل كل صلاة، وقبل قراءة القرآن، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند تغير رائحة الفم.

وكان (ﷺ) يتسوك وهو صائم ايضاً، لحديث عامر بن ربيعة (رض) قال: (رأيت رسول الله (ﷺ) ما لا يحصى يتسوك وهو صائم).[٢]

لان الغدد اللعابية تفرز بعض الأنزيمات التي تغير رائحة الفم. لذا لا يخلو فم الصائم من تغير الرائحة.

وكان المسلمون ينظفون اسنانهم في صدر الاسلام اكثر من خمس مرات في اليوم حتى غدت فرشاة الاسنان (السواك) ملازمة لهم في الاقامة والسفر، وحتى في اثناء القتَال ومجاهدة الاعداء، كما هو مشهور في التاريخ الاسلامي، عندما تأخر النصر عنهم في احدى معارك الفتح الاسلامي، راجعوا انفسهم، هل تركوا مع تعليمات الرسول (ﷺ) شيئاً؟ لأنهم قد استقرّ في نفوسهم أنهم يُنصرون بالحق الذي معهم، وباتباع منهج الله سبحانه

---

(١) Prenentive Medicine. P.506

(٢) رواه احمد وأبو داود والترمذي.

وتعالى، فرسالة محمد (ﷺ) للبشر كافة.

وتَذَكّروا أنهم قد تركوا السواك، فبادروا الى استعماله فوراً، وبُهتَ عدوهم حين رأوهم وظنّ انهم يأكلون الاشجار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فولوا الادبار، وتحقق للمسلمين النصر.

وقد قرنَ الرسول (ﷺ) استعمال السواك بالثواب من الله سبحانه، مما يجعل المسلمَ متمسكاً باستعماله باستمرار طلباً لرضى الله سبحانه، فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ): (السواك مطهرةٌ للفم مرضاة للرب). (رواه احمد والنسائي والترمذي).

ولنأخذ كلمة مَطهرة - في هدي الرسول (ﷺ) كم تحمل من الاعجاز الطبي جمال اللفظ. !

فقد اثبت اكثر من باحث متخصص ان السواك أفضل من الفرشاة الصناعية، اذ توجد فيه قابلية قتل الجراثيم، التي تعيش في الفم. (Bactericidal) ولأهمية تطهير الفم وتعقيمه قال (ﷺ): (لولا أن أشقّ على امتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة).[1] أي الزمهم باستعماله بشكل قطعي لا يجوز تركه، ولصعوبة هذا الالتزام فقد حببه اليهم (ﷺ).

السـواك :-

هو من شجر الأراك Salvadora Persica الذي ينبت في الحجاز، ويحوي مادة زيتية تعمل على ازالة القلح وتمنع تسوس الاسنان.[2]

ومن خلال دراسة حالة الذين يستعملون السواك يتبين ان عدد المصابين بتنخر الاسنان والتهاب اللثة قليل جداً. وقد وجد أحد الباحثين من نيجيريا ان هناك قرى كثيرة في غرب افريقيا تستعمل اغصان شجرة الأراك كعادة اجتماعية في تنظيف الاسنان ولاحظ ان جميع مواطني هذه القرىٰ سالمون من تسوس الاسنان والتهاب اللثة. ويرجع السبب لاحتواء السواك على مادتي الفلورايد والسليكون، واللتين دخلتا مصانع معاجين الاسنان في كل انحاء العالم، ومعروف ان الفلورايد يمنع تسوس الاسنان. وقد قامت بعض الدول

---

(١) رواه الامام مالك واحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) مجلة الاخبار الطبية اللندنية ١٦ تموز ١٩٨٣. ونشرت الدراسة في مجلة التربية الاسلامية في بغداد لسنة ٢٧ في تسلسل المجلة.

باضافته الى مياه الشرب بنسبة الحاجة اليه.

وان السليكون مادة منظفة للترسبات على الاسنان، ويحتوي السواك على قلويات مرّة الطعم Alkaloid تـعمل على تسكين آلام الاسنان. وفيه زيوت نباتية مهمة في زيادة قابلية السواك على التنظيف والتعقيم.

ويحتوي ايضاً على مادتي التنين والريسين Tannin & Resin اللتين تكونان طبقة رقيقة دابغة لشدّ اللثة وحفظ الاسنان من التسوس.

هذه المعلومات حملت مصانع معاجين الاسنان على التنافس في استخدامه كمادة اساسية منها الشركة الانكليزية (SARAKAN) ومنتوجها الجديد Chott. Pilla - وشركة كلكتا الهندية ومنتوجها Neem Tooth). Paste)[1]

وسبب آخر في تسوس الاسنان هو الأكل بين الوجبات الذي يؤدي الى افراز بعض الحوامض المحدثة للتسوس.[2]

إن للطعام اوقاتاً تحددها الحاجة، وعلينا الّا نستجيب لشهية الطعام ومنظره ومذاقه وندعه يستهوينا كما يستهوي الاطفال.

كيف ينظف فَمَهُ مَنْ سقطت اسنانُه؟

ولأن التشريع احاط بحاجة الانسان كاحاطة السوار بالمعصم، لم ينس الرسول (ﷺ) الذين سقطت اسنانهم من كبار السن او يفعل الحوادث من جراء الشدة الخارجية، فعلّمهم كيف ينظفون افواههم ويحافظون على اللثة والفم من تفسخ فضلات الطعام الملتصق باللثة.

سألت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ فقالت: (يا رسول الله، الرجل يذهب فوه أيستاك؟ قال نعم: قلت كيف يصنع؟ قال: يدخل اصبعه في فيه) رواه الطبراني.

وكثيراً ما يهتم الناس باسنانهم فترة الشباب، ويهملونها عند الكبر لهؤلاء قال الرسول (ﷺ):

(استاكوا لا تأتوني قلحاً).

---

(١) مجلة الشرق الاوسط لطب الاسنان، ونشر المقال في مجلة التربية الاسلامية ت١ / ١٩٨٥

(٢) Prevetiyel - Medicine P.508.

الرأس :

واكمالاً للصورة الجميلة المتناسقة بعد غسل الجسم كافة والرأس، وقرأنا حديث الرسول (ﷺ) الذي يوصي المرأة بغسل الرأس حتى ينفذ الماء الى فروة الرأس، ثم تصب الماء على جسمها كلّه.

وأكد الرسول (ﷺ) اكرامَ الشعر والاعتناء به.

ذكر ابو هريرة في الحديث الذي يرويه أبو داود انه (ﷺ) قال: (مَنْ كان له شعرٌ فليكرْمه).[1]

يعتني به ويمشطه وألّا يتركه قذراً متسخاً فيكون مرتعاً لقمل الرأس والجراثيم وما تسببه من التهابات في فروة الرأس، وانواع الامراض الجلدية الاخرى كالتيفوس والحمى.

وعن عطاء بن يسار ان رجلاً دخل على رسول الله (ﷺ) ثائرٌ الرأس واللحية، فأشار اليه الرسول (ﷺ) وأمره بغسل شعره واصلاحه، ففعل ثم رجع الى مجلس الرسول (ﷺ) فقال له:

(أليس هذا خيراً من أن يأتي احدكم ثائر الرأس كأنه شيطان).[2]

ورأى الرسول (ﷺ) ثانيةً رجلاً أشعث فقال: -

(أما كانَ يجدُ هذا ما يسكن به شعره؟).[3]

كيف كان شعرُ الرسول (ﷺ)؟ :

كان للرسول (ﷺ) ولأصحابه شعرٌ طويل حتى الأكتاف، وكانوا يعنون به، ويرجلّونه (الترجيل: التمشيط واللف) وينظفونه.

ولا اعتراض على شبابنا إن اطالوا شعر رأسهم، ولكن لا بالشكل الذي نراه اليوم من التخنث والتشبه بالنساء.

فلو وقف الأمر عند إطالة الشعر لقلنا نعم، ولكنهم متشبهون بالنساء حتى بحركاتهم وملابسهم، وميوعتهم وهروبهم من كل أمر جلل مفيد الى كل تافه حقير. فاحاديثهم تافهة، واهتماماتهم ضئيلة، قد غابت عنهم قيم

---

(١) اخرجه الخطيب في الجامع عن وابن عباس مرفوعاً بسند ضعيف، ورواه احمد في المسند وأبو نعيم.

(٢) رواه الامام مالك.

(٣) رواه ابو داود والنسائي واحمد وابو يعلى في مسنده وابن حبان والحاكم.

الرجولة.

وهكذا رأينا عناية الاسلام بنظافة الفم والانف والأذن والشعر وغسل الوجه كله والايدي والاقدام ونظافة الجسم بحيث تكمل الصورة الوضيئة النظيفة لكل فرد في المجتمع الاسلامي.

فلو قارنا بين هذه الصورة للفرد المسلم التي رجاها له الاسلام، وبين ما نراه الآن في مجتمعنا يتبين مقدار التخلف لقسم كبير من الناس الذين حرموا انفسهم من توجيهات الرسول (ﷺ) فنرى صورهم شوهاء متسخة وصحتهم متدهورة، وفي الغالب يكون تجمعهم أذى لبعضهم البعض ومصدر عدوى.

وقد يأتي احدهم ولم ينظف أسنانه ربما طوال حياته، فمنظره كريه، وشعره كثّ، ورائحة فمه منفّرة لمن يجلس بجانبه، ويتمنى لو ابتعد عنه، وربما شغل المصلين عن صلاتهم باشمئزاز انفسهم من مجالسته، وكأنه لم يسمع قوله تعالى:

﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ سورة الاعراف / ٣١.

ان قول الحق سبحانه يوحي لكل مسلم ان يصطحب معه زينته، فيبدو انظف وأجمل مما هو فيه سائر الاوقات.

الثيـــاب:

قال سبحانه وتعالى في سورة المدثر وهي ثاني سورة أنزلت من القرآن الكريم: وكانت أول سورة، بل اولْ كلمة من القرآن. إقرأ، والثانية أمرت بنظافة وطهارة الملابس، قال سبحانه: ﴿وثيابك فطهرّ﴾ سورة المدثر / ٤.

وقد لازمت النظافة وطهارة الثياب دعوة الناس للاسلام:

﴿يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر﴾ سورة المدثر / ١

ولا تُقبل من مسلم صلاة وثيابه نجسة، أي ملوثة في حين خلت انظمة كل الديانات من قبل، حتى النظم الوضعية الحديثة للاحزاب والجماعات الانسانية من هذا الجانب.

ولا يعتبر الثوب الأنيق النظيف من الكبر في شيء، وفي حديث الرسول (ﷺ) (لا يدخلُ الجنة من كانَ في قلبه مثقال ذرة من كبرْ فقال له رجلٌ يا رسُول الله: إن الرجلَ يحب ان يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً، قال إن الله

جميل يحب الجمال) (رواه مسلم عن أبي مسعود).

وذكرهم (ﷺ) بقوله تعالى **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾** سورة الاعراف / ٣١

والزهد في المفهوم الاسلامي لا يعني الاهمال واتساخ الثياب، ولبس الممزق مع وجود الافضل منه وتيسره.

وان صحّ هذا السلوك عند بعض الطوائف كاليزيدية، اذ يهملُ زهّادهم تنظيف أجسادهم وملابسهم، وكذلك بعض الديانات الهندية التي تؤمن بتعذيب الجسد لتسمو الروح، فهذا غير جائز في الشريعة الاسلامية. واسمع قول الشاعر المسلم

حسّن ثيابك ما استطعت فانها
زينُ الرجالِ بها تُعَزُّ وتكرمُ
فرثيثُ ثوبك لا يزيدك رفعةً
عند الاله وانت عبد مجرم
ونظيفُ ثوبك لا يضرك عندما
تخشى الاله وتتقي ما يحرمُ

ويقول الامام الشافعي رحمه الله:

(مَنْ نظّف ثوبه زال همُّهُ، ومن طابَ ريحه زاد عقلُهُ). وكان الرسول (ﷺ) يولي اهتمامه بملابس اصحابه، فعندما كان يرى مسلماً يرتدي الوسخَ من الثياب يقول:

(ما يجدُ هذا ما يغسلُ به ثوبَهُ).

سنن الفطرة:

السنن: هي ما كان عليه السلَفُ من الانبياء والرسل وأذكياء البشر.

والفطرة: ما تناولته النفس الانسانية بالقناعة والرضا والتصديق ببداهة الفائدة لكل البشر ومعقوليتها. ومن هذه السنن قوله (ﷺ):

(خمسٌ من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الاظفار، ونتف الابط، وقص الشارب) رواه البخاري ومسلم.

والختان يتم بقص (القلفة) حتى لا تكون حاضنة لتجمع الاوساخ ونمو المايكروبات، وقد لاحظنا كثيراً من الاطفال الذين يتأخر ختانهم يُصابون

بالتهاب مجرى البول وانسداده مما يضطرهم الى الاسراع بالختان، ولو كانوا على غير دين الاسلام.

(وقد يقلل الختان من احتمالات اصابة الذكر بمرض الزهري، حيث ثبت ان ميكروب الزهري يتخذ القلفة بالذات للنموفيها، كما ان القلفة نفسها كثيراً ما تتعرض اثناء المجامعة والاحتكاك للتسلخ والجروح ثم تصبح عرضة للالتهاب.

كذلك ثبت ان الختان يقلل من امكانية اصابة الذكر بالاورام الحميدة[1] والسرطان بأنواعه). [2]

هذا وان الختان في الاسلام هو للرجال فقط دون النساء، ولم يصح شيء من الاحاديث في موضوع ختان البنات، لما في ذلك من ضرر بالغ على نفسيتها ومستقبل حياتها الزوجية.

الاستحداد:

والاستحداد هو حلق شعر العانة للرجل والمرأة، ففيه الوقاية من الاصابة بقمل العانة، فمع الحلق والنظافة لا يجد القمل له مرتعاً، ومن الافضل ان يزال شعر العانة على فترات، والاّ تتجاوز الفترة أربعين يوماً. وروي انس (رض) عن الرسول (ﷺ).

(وقّت لنا النبي (ﷺ) في قص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ألا يُترك اكثر من أربعين ليلة). (رواه احمد وأبو داود وغيرهما).

وتقليم الاظفار يخلص الانسان من بؤر الاوساخ والجراثيم التي تلوث طعامه وشرابه وتهدد صحته، زيادة على التخلص من منظرها الكريه عندما تكون طويلة واحتمال تكسّرها اثناء العمل، وربما ايذاء ووخز الآخرين عن غير قصد. ونتف الابط وتنظيفه من الشعر حماية له ولبقية المناطق الرخوة الرقيقة في الجسم اذا يكثر دخول الطفيليات الجرب (ساركوبيتس سكيبس) من فتحات صغيرة تحت الابط، والوقاية تتطلب التخلص من الشعر وتنظيف مكانه بالماء والصابون، ويفضل صابون الكبريت.

وأما قص الشارب فوقاية مما يتجمع فيه من غبار يحمل الجراثيم ويلامس

---

(١) الحميدة = غير السرطانية.

(٢) الطب الرقائي في الاسلام / د. احمد شوقي الفنجري.

لطعام، فيلوثه في كل مرة.

وقص الشارب ذوق رفيع، ومن البله وقلة الذوق ان يتهدل الشارب على الفم.

نظافة المساجد والمحلات العامة:

وللمساجد اهميتها البالغة في الحياة الاسلامية، فهي مراكز لتجمع حشود كثيرة من الناس في وقت واحد خمس مرات في اليوم عدا ايام الجمع والاعياد وكثيراً من المناسبات التي يتجمع فيها الكثير من الناس.

فينبغي لكل من يدخل المسجد ان ينظف جسمه وملابسه حتى لا يكون مصدر اذى وعدوى لغيره.

ولم يكتفِ الاسلام بهذا، بل حثّ المسلم ان يرتدي اجمل ما عنده من الملابس مثلما يتجمل لحضور حفلة بمناسبة سعيدة اوعرس. وحتى يضفي هذا التجمع آثاره الجمالية على النفس الانسانية فيثير فيها الشعور بالرضا والسعادة، كمن يتنقل في حديقة تنوعت ازهارها وفاح اريجها واعتنى الزارع بأشجارها، فشذّ بها وهذبها حتى بدت متناسقة جميلة، وهذا بعض ما يوحي به قوله سبحانه!

﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (سورة الاعراف / ٣١).

وأكمل (ﷺ) الصورة المشرقة المحببة لهذا المجتمع الرائع النظيف من البشر باستعمال الروائح العطرة، فقال (ﷺ) في الحديث المشهور: (حُبب الي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة) (رواه احمد والنسائي).

ويتكرر هذا المشهد الرائع الجميل المتناسق كل يوم خمس مرات على مر الزمن، فيترك هذا السباق من العمل اليومي في النظافة آثاره التربوية على المسلم، وتصبح النظافة علامته المميزة.

وحرّم الاسلام قبل ذلك البصاق في المسجد والنخامة والتي هي مصدر لنقل العدوى ولكثير من الامراض والرواشح، مثل الأنفلونزا والخناق والسل. قال (ﷺ):

(البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها) (رواه البخاري ومسلم).

وروي الامام احمد بسند صحيح عن النبي (ﷺ) انه قال:

(اذا تنخم احدكم فليغيب نخامته ان تصيب جلد مؤمن او ثوبه فتؤذيه).

وتنظيف المسجد له ثواب كبير عند الله تعالىٰ، وقد سأل النبي (ﷺ) عن امرأة سوداء كانت تقمّ (تنظف) المسجد؟ فقيل له انها ماتت، فقال: هلاّ اخبرتموني. فذهب الى قبرها وصلى عليها).

نظافة دور السكن:

وبعد النظافة الشخصية ونظافة المساجد يوجه الرسول (ﷺ) الانسان الى نظافة داره التي يسكنها وساحاتها التي في الغالب تكون مراتع اللعب للاطفال، فقد ورد عنه (ﷺ):

(ان الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا افنيتكم وساحاتكم ولا تشبّهوا باليهود يجمعون الآكباء في دورهم). رواه البزار في مسنده.

والاكباء تعني الزبالة.

ويستفاد من هذا الحديث دلالة على وجوب جمع الاوساخ من المنازل والساحات والتخلص منها حتى لا تكون وسطاً خصباً تعيش عليه الحشرات من صراصير وذباب وبقية الحشرات الاخرى، وتتكاثر فيها الجراثيم والفطريات وتكون مصدر خطرٍ على صحة الانسان.

ومن المحزن حقاً ان نملك كل هذا العلم والنور ولا نأخذ به في ميدان الصحة العامة،ونتخلص من أكوام الزبالة المكدسة في مفارق الطرق وبعض الساحات والازقة في كثير من احيائنا الفقيرة والجاهلة.

زيادة على عدم اعطاء الاهمية اللازمة لتصريف المياه القذرة في مجارٍ مُحكمة السد وواسعة الاستيعاب حتى يتجنبوا التلوث وتكاثر الحشرات اذ يقوم بنقل التايفوئيد والديزانتري، والتسمم الغذائي وشلل الاطفال والتهاب الكبد الفيروسي المعدي والجدري والكوليرا وبيوض الديدان مثل الاسكارس والدودة الوحيدة.

فتجتمع عليهم من جراء ذلك الامراض والاوبئة فوق الفقر، وتستوطن الامراض هذه المناطق ويدخلون في دوامة المرض ومكافحته وعلاج المصابين فتستنزف صحة الافراد وأموالهم ويزدادون بؤساً.

وان كان الرسول (ﷺ) قد حرّم البصاق على الارض في المسجد، فهو كذلك مكروه في البيت او الطريق للاسباب نفسها التي ذكرناها.

ولما كانت الارض كلها مسجداً وطهوراً، فمن الافضل للمسلم ان يكفّ عن البصاق في الارض التي يستخدمها الناس لعملهم ودراستهم ونشاطاتهم كلها، وان كان فاعلاً فعليه ان يخفيها في المناديل الورقية أو المغاسل اويحثو عليها التراب في الارض اليابسة، فاكثر الجراثيم لا تعيش في التربة الجافة او على الاقل لا تحملها الريح.[1]

الطرق العامة:

حُرمه الطريق: للطريق حق في الاسلام يملكه كل المستخدمين له، ولا يجوز الاعتداء على حقوق الناس بايذائهم ومضايقاتهم بأي شكل من الاشكال للسلوك الاعتدائي. قال الرسول (ﷺ):

(اياكم والجلوس في الطرقات، قالوا يا رسول الله، ما لنا بد، هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فاذا أبيتم الا المجلس فاعطوا الطريق حقّه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر) (متفق عليه).

فاول الحق هو غض البصر عن المحارم وعدم تعلق البصر بالغادين والرائحين وتتبع عورات المسلمين وتجريحهم.

اما كف الاذى. فيشمل عدم رمي الاوساخ اولاً ثم ازالة ما موجود، واماطة القاذورات والاحجار عن طريق الناس كلّ في قاطعه، وامام منزله، وقوله (ﷺ):

(تميط الاذى عن الطريق صدقة) (رواه احمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة) وكذلك قوله (ﷺ):

(مَنْ آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم) (رواه الطبراني عن حذيفة بن أسيد).

ولو التزم المسلمون بذلك لوفرنا جهداً كبيراً يبذل من عمال التنظيفات واموال تنفقها الدول باستمرار.

---

(١) الطب الوقائي النبوي ص٢٤ / د. محمود الحاج قاسم - الموص ١٩٨٨.

وحرّم الاسلام البراز والتبول في الطرقات بقوله (ﷺ):
(أتقوّا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظلّ).[1]
والبراز في الموارد اي في مصادر المياه وتجمعها.
والظل اماكن الاستراحة وظلال الاشجار وأي ظلّ يتفيؤه الناس من حر الصيف اللافح.
وردّ السلام: خلق وأدب مع الناس ونشر للطمأنينة والتعارف بين افراد المجتمع.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هو التصدي لكل مخالفة للشرع والعرف من دفع الظلم عن الانسان وتخليصه مما يؤذيه والسرعة الى نجدته، فما ان يرى المسلم انساناً بحاجة الى النجدة الاّ وجب عليه نجدته ومساعدته والدفاع عنه، وهذا واجب مكلّف به كل انسان يستطيع فعله.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه حياة للمجتمع ودفع الضرر عنه وسأذكر لكم حادثة كنت احد شهودها:

خرجنا يوماً من احد المعسكرات ودخلنا مدينة الموصل، وكنا ثلاثة في السيارة أحدنا طبيب، ورأينا رجلاً ممدداً على الارض، وحوله مجموعة من الناس، فاصرّ احدنا على الوقوف والنجدة، وعارض الآخران، واحترمنا رأي الاول واقتربنا من الرجل، وقد قدم له الحاضرون ما ظنّوا انه يفيده، فهذا قد وضع سكيناً تحت رأسه لتطرد عنه الشيطان، والآخر يُرقيه، وعندما تقدم منه الطبيب وفحصه رآه في النزع الأخير يكاد يشرف على الموت، فبادر الى اسعافه وحملناه بسيارتنا ومع طول الطريق استمر الطبيب يؤدي له قبلة الحياة (التنفس فم لفم)، حتى اوصلناه للمستشفى، وكان فاقد الوعي، وبعد اعطائه الادوية المنبهة والرافعة لضغط الدم، افاق المريض وعلمنا منه بانه قد زُرق قنينة بنسلين،[2] وما به كان من جراء الحساسية المفرطة، ولو عناية الله ان هيأنا لقضى نحبَهُ.

---

(١) رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقي في السنن.

(٢) فرط الحساسية يبدأ بالحكة وتورد الجلد، يتبعه ضيق في التنفس شديد نتيجة تضيق الحنجرة والقصبة الهوائية، وهبوط ضغط الدم والصدمة، وقد تكون مميتة، لكن الانقاذ السريع ممكن بنقله واعطائه حقنة ادرينالين ومضادات الحساسية بالوريد.

فالى كل الذين يقفون مكتوفي الايدي بدافع الخوف من المسؤولية يقول لهم الاسلام، هذا حق الطريق، أن تُعين ذا الحاجة وترفع الظلم، وتخف للنجدة، وتنهى عن المنكر.

وارادَ منا الاسلام ان نفرح لفرح الناس، ونتألم لألمهم، لا قطيع غنم، يَغذّ السير دون أن يلتفت أنْ كُسِرَ أيّ رأس فيه.

وحق الطريق اليوم احوج ما يكون اليه، فالاستخدام الاهوج للطريق، والسرعة الجنونية، وطيش الشباب، وعدم المبالاة بارواح الناس وممتلكاتهم، مدعاةً للاسراع في النجدة، ومد يد العون لكل انسان، فخير الناس مَنْ نفع الناس. وكم من بريء راح ضحية الطيش والسكر والاستهتار، وقلة المروءة وعدم الاسراع في النجدة.

لذا قال رسول الله (ﷺ):

(مَنْ آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم).

الارض الطاهرة

الارض كلها مسجد للمسلم، وهذا التقي يسجد في كل مكان في ارض الله تتوافر فيه شروط الطهارة والنظافة، لينعم المصلي بالطمأنينة والوقاية من المرض عند ملامسته الارض، لذا كنا ملزمين بالحفاظ على نظافتها.

وقد ذكر ابن عباس (رض) ان رسول الله (ﷺ): (نهى ان يُصلى في سبعة مواطن:

١- في المزبلة.

٢- المجزرة.

٣- المقبرة.

٤- قارعة الطريق.

٥- الحمام.

٦- في اعطان الابل.

٧- فوق ظهر الكعبة.) رواه الترمذي وابن ماجة.

وأنعم النظر - ايها القاريء الكريم - في كلام النبوة، فهو غني عن الشرح، فسبب التحريم في المواقع الستة الاولى هي الوقاية مما تسببه تلك

المواطن من نقل الجراثيم، وتلوث المصلي بها جسما وثيابا.

الشروط الصحية للدفن:

من تعاليم الاسلام في الدفن:

١- الاسراع في تغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه.

٢- يكون الدفن في اللحد لقول الرسول (ﷺ):

(اللحدُ لنا والشقُّ لغيرنا). (رواه الامام احمد عن جرير).

وبلغت عناية الرسول (ﷺ) الذروة وهو يُعلّم امته الأتقانَ في كل شيء والضبط، فقد شاهد الرسول (ص) أحدَ المسلمين يسد فتحة اللحد على رُفات اخيه دون اتقان، فقال له (ﷺ):

(اخرجْ، وترك مكانة، وبنى بيديه الكريمتين الجدارَ وسدّهُ سداً محكماً، وقال كلامه الخالد: (ان الله تعالى يحبّ اذا عملَ احدكم عملاً ان يتقنه).

وفي تطبيق هذه الاجراءات بعناية الوقاية التامة للاحياء الذين يشيعون الميت ففي الغسل والاسراع في الدفن، قبل ان تتفسخ الجثة وتنتشر الجراثيم فتؤذي مَنْ حوله من المشيعين له، وخاصة عند انتشار الاوبئة.

الاّ الشهيد الذي يموت قتلاً في ارض المعركة، فلا يغسّل لأنه مات وهو في اتم العافية والنشاط، سليماً من المرض، وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه، من ان الغاية من الغَسْل هو وقاية للمشيعين من الامراض والروائح الكريهة، اما شهداء المرض كالمطعون (المصاب بمرض الطاعون) والمبطون فيغسلون.

وفي طريق الدفن، رحمةٌ بالانسان ان يحفظ رفاته التراب، لا كما تفعل بعض الشعوب من حرق الجثة، وان كان في ذلك وقاية تُعادل الدفن في باطن الارض، ولكنها تحمل كثيراً من الاهانة والقسوة بالانسان الذي كرّمه الاسلام حياً وميتاً.

ومن حق المسلم على اخوانه من المسلمين ان يشيعوه اذا مات، فيشتركون في نقله الى مثواه الأخير، وغياب هذه الظاهرة في بعض الدول الغربية ادى الى تخصص هيئات معينة بالدفن، ويتكلف افرادها بنقل صناديق الجثث على اكتافهم في مراسيم الدفن، مما ادّىٰ الى اصابة بعضهم

بشلل وقتي أو شلل دائمي، او ضعف في الطرف الذي قد تعوّد حملَ الصناديق عليه من جراء عطب العصب الخارج من النخاع الشوكي الى الذراع وعضلاته.

أبعد كل ما قرأناه من تعليمات النظافة والاعتناء بجسم الانسان وملابسه وبيته ومسجده والطريق الذي يسلكه والمدينة التي يسكنها.

أيمكن أن يوجد انسان على وجه الارض أنظف من المسلم الملتزم بهدي محمد (ﷺ) الذي قال:

(احسنوا لباسكم واصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس).[1]

وَشامة في الناس، أي واضحين متميزين بحسن الثياب ونظافة الجسم ونظافة الركائب من الخيول او العربات او السيارات التي تستعملونها لتنقلكم وحُسن هيئتها، والنظافة مسؤلية كل فرد، وكل رجل في بيته ومكان عمله، وكل ام في اسرتها ان تعلم اولادها.

وغير مقبول ما عليه مجتمعنا اليوم من اهمال النظافة في البيت والمسجد والمدرسة والمعمل والطريق.

فليبادر كل فرد بالالتزام باوامر الاسلام، ليكون انظف انسان قلباً وقالباً، ولتتحول برامج الاسلام من القول الى الممارسة والتحقيق في ارض الواقع.

---

(١) رواه الحاكم عن سهل بن الحنظلية.

طرق انتشار المرض

الامراض التي تنقلها الحيوانات

العـدوى والتشاؤم

الحجر الصحي

العـزل

طرق انتشار المرض:

١- الانتشار من شخص الى آخر Person to Person Spread ويتم انتشار المرض عن طريق الملامسة، كالاتصال الجنسي أو التقبيل، او الاتصال المباشر او غير المباشر بين الناس، كالحصبة التي تنتشر عن طريق الرذاذ Respiratory Secreation الذي يتعلق بالهواء ثم يتنفسه الفرد السليم.

٢- الانتشار العام Common Vehicle Spread ويتم انتشار المرض بواسطة عوامل ناقلة للمرض ذات طبيعة عامة واسعة، مثل انتشار المرض بوساطة مستودعات المياه والاسماك والاغذية المعلبة والمطاعم، وفي الغالب تكون الاصابة جرثومية، وتمثل اصابات الجهاز الهضمي، مثال ذلك تلوث مستودعات المياه بعصيات التايفوئيد لعدةاسابيع مما يؤدي الى انتشار المرض في عدد كبير من الناس.

٣- الانتقال بوساطة الحيوانات:

تنتقل كثير من الامراض بوساطة الحيوانات مثل انتقال السل البقري وحمّى مالطا، أو كانتقال الملاريا بوساطة مضيف يكمل دورة الحياة للميكروب، وهو البعوض، او كانتقال داء الكلب أو الأكياس المائية بوساطة الكلاب.

٤- الانتقال بوساطة التربة والجراثيم التي تعيش فيها والتي لا تعتمد في حياتها على وجود الهواء مثل جراثيم الكزاز والكنكرين والتسمم الغذائي.

هذه هي طرق انتشار المرض، وسنرى فيما يأتي كيف أنَّ الاسلام ضيّق وحصَرَ طرق انتشار المرض وحافظ على صحة الانسان.

الامراض التي تنقلها الحيوانات

أباحَ الاسلامُ قتل القوارض ومكافحتها للتخلص من أضرارها المادية، باتلافها للمحاصيل الزراعية واستهلاكها لنسبة كبيرة منها، ولنقلها لكثير من الامراض مثل الطاعون الذي تنقله البراغيث التي تعيش على الجرذان، واباح الاسلامُ قتل الحية والعقرب، وما تحملانه من سم زعاف أودىٰ بحياة الكثير من البشر. ويجوز قتلها حتى وانت في صلاتك.

فعن أبي هريرة (رض) آن النبي (ﷺ) قال:

(أقتلوا الأسودين في الصلاة الحية والعقرب). (رواه احمد واصحاب السنن. والحديث صحيح).

عادة اقتناء الكلاب:

منع الاسلام اقتناء الكلاب الاّ للحراسة، فمما هو معروف أنَّ اقتناءها يسبب انتشار كثير من الامراض، مثل مرض الأكياس المائية، الذي يصيب الانسان، وينتقل اليه بوساطة براز الكلاب الذي يخالط المزروعات، ويلوث شعر الجلد منها، فينتقل للانسان عند اللمس والملاعبة.

وتنقل ايضاً داء الكلب الخطير بوساطة لعابها اثناء العض، وللوقاية من هذه الامراض يتطلب عناية فائقة بها وتنظيفها فضلاً عن اطعامها.

وتعتبر الكلاب عاملاً كبيراً من عوامل تلوث البيئة بالجراثيم التي تنقلها مثل الباستوريلا والسالمونيلا والديدان الحلقية فوق داء الكَلَب والاكياس المائية.

وفي بريطانيا وحدها يوجد ستة ملايين كلب!! تعضّ على الأقل (٢٠٩٠٠) من السكان في السنة، ويكلف كل مصاب يعضه كلب ما يقرب من (٣٢) باوند استرليني أدوية وعلاجات اي تنفق وزارة الصحة سبعة ملايين باوند، فوق ما تسببه الكلاب من حوادث طرق وجروح تكلّف (٨٥) مليون سنوياً.[1]

أنّ ما يبذله الغربيون عموماً من عناية وصرف وخدمة للكلاب والأعتناء بها يعتبر هدراً للطاقات البشرية.

فالأنسان في افريقيا وبقية الدول الفقيرة والمنهوبة خيراتها أولى بالأطعام والعناية الصحية.

ومن العار على الرجل الأبيض وحضارته أن يموت البشر جوعاً وأن تعيش في الرغدِ الكلاب. ولو كان الامام الشافعي حياً لقال:

يموت الناس في الاوطان جوعاً
ولحم الضأن يرمى للكلابِ

---

(١) نشرت هذه الدراسة التي قام بها البروفسور بيولي، في المجلة الطبية البريطانية، ونشرته جريدة الثورة في بغداد يوم ٢٦/٩/١٩٨٧

بدل قوله:

تموت الأسد في الغابات جوعاً ولحم الضان يرمى للكلاب

الوقاية من التلوث:

علمنا الرسول (ﷺ) كيف ننظف الأواني التي يلوثها الكلب فقال:

(اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعاً أحداهنّ بالتراب). رواه البخاري في صحيحه.

قالها الرسول (ﷺ) قبل أن يصل الانسان الى أكتشاف علم الجراثيم ولا المايكرسكوبات.

وقرّر (ﷺ) أن ولغ الكلاب في الأناء يؤدي الى تلوثه وعرف الانسان سر الغسل في التراب اليوم، وهو وجود المعادن الثقيلة القاتلة للجراثيم، زيادة على مادة السليكان التي لها قابلية التنظيف والقشط.

ولو درسنا الحديث بدقة نجد أنّ الغسل سبع مرات احداهنّ بالتراب هو أيضاً الضمان الأكيد للتخلص من الجراثيم ومدعاة لتطهير الأواني من التلوث. قبل ما يزيد على أربعة عشر قرناً لم يعرف الانسان هذا الاستعمال الواسع لمواد التنظيف والتعقيم كالديتول والسافلون والاوكسجين.

العدوى والتشاؤم Infection And Pessimism

يقع كثير من الناس فريسة للهواجس المرضية والخوف المبالغ فيه من المرض، مما ينغص عليهم حياتهم فيجعلها جحيماً لا يطاق، وينفق احدهم امواله من عيادة طبيب الى استشارة آخر، فلا يطيب له عيش ولا يهنأ له بال، ويهمل عمله واسرته باحثاً عن علاج للشفاء.

ولم يغفل الرسول (ﷺ) هذه الظاهرة عند قسم من البشر ووضع حداً للقلق المتزايد، والخوف المرهق المتسلط على النفس الذي لا يستطيع دفعه.

وفرق الرسول (ﷺ) بين العدوى الحقيقة المتمثلة بالامراض الوبائية المعدية والخوف المجرد من المرض عموماً. ذلك الخوف الذي قد يدفع الانسان الى اهمال المرضى وعدم الاعتناء بهم والابتعاد عنهم.

فقال (ﷺ):

(لا عِدوى ولا طيرة) (اخرجه البخاري ومسلم).

الطَيَرة تعني التشاؤم.

وقال (ﷺ):

(فرّ من المجذوم فرارك من الاسد). (رواه البخاري).

الجذام: مرض معدٍ تسببه بكتريا عضوية تشبه مايكروب التدرن الى حد كبير، وهو نوعان.[1]

١- الجذام الاسدي: Lepromatous Leprosy

٢- الجذام الدرني: Tuberculoid Leprosy

اما النوع الاول: فيشبه فيه وجه المجذوم وجه الأسد، ولربما قال الرسول (ﷺ) في ذلك.

(فرّ من المجذوم فرارك من الأسد) (رواه البخاري. ؛

وقد امتنع الرسول (ﷺ) عن مقابلة المجذوم في وفد ثقيف حين قدمت معلنة اسلامها.

(فارسل اليه النبي (ﷺ) - أرجع فقد بايعناك) (رواه مسلم في صحيحه).

التشاؤم:

والتشاؤم يفتك بمشاعر الانسان ويبدد طمأنينته ويغير نظرته الى جمال الحياة، ويقعد صاحبه عن تنفيذ ما عقد العزم عليه، وكم من داعٍ يدعو الى التشاؤم في حياة الانسان فيتذكر قول الرسول (ﷺ):

لا طَيَرة

فينزاح عن نفسه كابوس الهواجس، وهمّ الحيرة، ويمضي لما يريد دون تردد.

وكم من متشائم عرفناه في مجتمعنا يقدم رجلاً ويؤخر أخرىٰ، ويبقىٰ أسير هواجسه، فتنكسِر عقدة العزم في شخصيته ويبقى في تردده خائفا يترقب وهو حَسير من معاناته.

---

(١) الجذام: مرض جلدي مزمن يصيب الأطراف اليدين والقدمين والتي تتآكل شيئاً فشيئاً ويتغير لون الجلد ويضعف احساس الاعصاب التي تصاب بالخذر وبالذات في الوجه والأنامل وتظهر درنات الوجه وتتقرح وتتقيح الأصابع ثم تنبعث منها رائحة كريهة ثم تساقط تلك الأطراف. (السيد الجميلي: الاعجاز الطبي في القرآن).

اذن. فالخوف من العدوى غير المبني على اساسٍ حقيقي للعدوى، هو كالتشاؤم من أوهام لا حقيقة لها في واقع الحياة ومجريات الأمور، كالذي يتشاءم من نوع من الحيوانات اذا رآه ويغير نيته في عمل كان ينوي إتمامه أو يؤجل سفره!.

فالاسلام قضى قضاءاً تاماً على الاوهام والخرافات والكهانة التي كانت شائعةً عند العرب قبل الاسلام. وافهمهم أنَّ الحياة تسير بقوانين الله عز وجل لا بتأثير للونِ حيوانٍ أو إتجاه طائر او نعيق غراب عابر.

العدوى: -

أما الامراض التي تصيب الانسان فهي نوعان:

١- نوع معدٍ ينتقل الى الانسان بطرق مختلفة كما بينا في طرق انتشار المرض.

٢- نوع غير معدٍ لا ينبغي الخوف منه والتوجس من التعامل مع المرضى.

فلا تتناقض اذن بين قوله (ﷺ):

(لا عدوىٰ ولا طيرة).

وبين قوله:

(فرّ من المجذوم فرارك من الاسد) رواه البخاري.

فعلى الانسان ان يقدر كل حالة مرضية، بقدرها فما كان فيها خطر حقيقي على الانسان وصحته فعليه ان يدفعه عن نفسه.

فالامراض المعدية منها كالجذام والطاعون والكوليرا والتايفوئيد والتهاب الكبد الفيروسي وبقية الحميات المعدية، فانها هي المقصودة بالعدوى، ولأنها تمثل خطراً حقيقاً على صحة الفرد والمجتمع.

أما الاوهام والهواجس، فعليه الاّ يلتفت اليها ويبني مسيرة حياته على التوكل الحقيقي اليقيني على الله سبحانه وتعالى، وليعلم الناس جميعاً الاّ عدوى إلاّ بقدر الله، فلينعموا بطمأنينة الأيمان مع الأخذ بالاسباب. وأنّ الله سبحانه خالق الاسباب ومدبر الكونَ كلَّهُ، لا يتصرف فيه دون علمه وإذنه.

وليس كلّ مَنْ تعرّض للجراثيم أصيب بالمرض.

(وقد ثبت أنّ الاصابة بجراثيم شلل الأطفال، لا تعني مرض شلل الأطفال في ٩و٩٩٪ من الحالات، وأنّ مَنْ يُصابَ بشلل الأطفال لا يزيد عن واحد بالألف فقط، فمن كلّ الف طفل يستقبلون فايروسات شلل الأطفال، واحد منهم فقط يُصاب.

وقد يجعل الله ما هو سبب للداء سبباً للشفاء، فدخول فايروس شلل الأطفال في سن مبكرة يعطي مناعةً ضد المايكروب في مستقبل الأيام.

وبنيت فكرة التلقيح ضد الأمراض على هذا الأساس. إذ يتمّ تطعيم الاشخاص المراد وقايتهم بجراثيم تلك الامراض بعد تضعيفها الى الدرجة التي لا تستطيع التكاثر، والعيش ثانية، ثم يتمْ ادخالها في الجسم، فينشط نظامه الدفاعي بتوليد أجسام مضادة (Antibody) ، وفي اكثر الامراض نجد المايكروب سواء أكان فيروساً أم بكتريا أم طفيلياً في خليةٍ واحدة، أم متعدد الخلايا مثل البلهارزيا، فأنها جميعاً تشترك في صفة واحدة، هي انها لا تسبب المرض بذاتها، ولابُدّ من عوامل اخرى تساعدها في ذلك، فقد تصيب شخصاً فتصرعه وتصيبُ اخر فيصرعها، وقد تتعايش معه فلا تؤذيه.

ولما كانت حقيقة الاسباب تُردُّ كلها للمسبب الاول وهو الله سبحانه وتعالى، فمن كمال التوحيد الاّ يحصل شيء للأنسان الاّ باذنه سبحانه.

وقد جاء في الأثر، ان ابراهيم قال ياربّ ممّن الداء؟ قالَ مني. قال: فممّن الدواء؟ قال: مني. قال: فما بالُ الطبيبُ؟ قال: رجلٌ أرسلُ الدواء على يديه.[١]

وهذا لا ينفي الأخذ بالاسباب، فالأسباب موجودة بقدر الله وقدرته. ونحن مطالبون بمعرفة الأسباب واتخاذها، فان هذا لا ينافي في كمال التوحيد.

والذي يثلم التوحيد اعتقاد الأسباب أنها فاعلة بذاتها فلا ينظر الاّ إليها ولا يعتمد ولا يثقُ الاّ بها، وينسى الله الذي بيده ملكوت كل شيء يصرّف ويعطل كيف يشاء).[٢]

ايّ ان يعقلها المسلم ويتوكل، فعلى أرباب الأسر والامهات اجراء

(١) الطب النبوي / لابن القيم ص١٢

(٢) من كتاب العدوى بين الطب وحديث المصطفى / د. محمد علي البار.

التلقيحات ضد الامراض للاطفال خاصة في اوقاتها، حفاظاً على صحتهم ليستفيدوا من معطيات العلم الحديث التي هيأها الله سبحانه وتعالى لهم، ولينشؤوا جيلاً قوياً متجنباً ويلات المرض وعاهاته.

اذن، لا تناقض بين قوله (ﷺ): (لا عدوى ولا طيرة) وبين قوله: (فرّ من المجذوم فرارك من الاسد).

وانه لا داعي لافتراض أن كلامه (ﷺ) الاول ينسخ الثاني كما ذَكَرَ الدكتور السيد الجميلي في كتابه (اعجاز الطب النبوي: ص٤٣) وانما تقيم الحالة المرضية بطبيعتها كما بينا من حيث خطورتها ووبائيتها، وتتخذ لها التدابير الملائمة للوقاية أو العلاج.

وأما حديث جابر.

(أنّ النبي (ص) أخذ بيد مجذوم فادخلها معه في القصعة، فحديث لا يثبت ولا يصح، وغايته ما قال فيه الترمذي أنّه غريب لم يصححّه ولم يحسّنه. وقد قال شعبةُ وغيره اتقوا هذه الغرائب. قال الترمذي، ويروى هذا من فعل عمر، وهو أثبت).[1]

الحجر الصحي: -

عرف المسلمون الحجر الصحي ومارسوه قبل ان تعرفه أوربا والعالم المتحضر اليوم بفضل هدي المصطفى (ﷺ).

فقد الزمَ الرسول (ﷺ) اتباعه الحجر الصحي في الطاعون إنْ هم ادركوا الطاعون في مدينة هم خارجها فلا يدخلونها وإن كانوا فيها فلا يبرحوها.

وهذه أولُ اشارةٍ منه (ﷺ) الى الحجر الصحي على مستوى الحياة البشرية في تاريخ الطب الوقائي من قبل ان تتبلور السلطة الصحية،[2] بشكلها المستقل كالذي نراه اليوم.

قال (ﷺ):

الطاعون رجزٌ أرسل على طائفةٍ من بني اسرائيل وعلى مَنْ كانَ قبلكم، فاذا سمعتم به بأرضٍ فلا تدخلوا عليه، واذا وقع بارضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا

(١) الطب النبوي لابن القيم ص١٢١

(٢) السلطة الصحية هي المؤسسات الصحية في كل دولة المتمثلة بوزارة الصحة ومؤسساتها، وعلى المستوى العالمي منظمة الصحة العالمية التابعة لهيئة الأمم المتحدة.

منها فراراً منه) (رواه البخاري ومسلم).

وقد أدرك الرسول (ﷺ) حبّ النجاة في الانسان وتشبثه بالحياة لنفسه، فاكدّ بقوله (فلا تخرجوا منها فراراً منه).

أي ان يبقوا بتلك الارض ولا يغادروها حتى لا يكونوا ناقلين للمرض وموسعين انتشاره محدثين وباءء عاماً من جراء التنقل بين المدن والأقطار.

(ومنعُ المسلم من الدخول الى ارض الوباء قد يكون مفهوماً دون الحاجة الى معرفة دقيقة بالطب، ولكن منع سكان المدينة المصابة بالوباء من الخروج. والاصحاء منهم خاصة، يبدو عسيراً على الفهم دون معرفة واسعة بالعلوم الطبية الحديثة.

فالمنطق والعقل يفرض على السليم الذي يعيش في المدينة الموبوءة أنّ يفرّ منها الى الارض السليمة حتى لا يصاب.

والفرار من الوباء والهلاك تفرضه غريزة حب البقاء كما يفرضه العقل دون عناء وتفكير.

وقد يقول لك قائل. ان الله سبحانه وتعالىٰ يقول:

﴿ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة﴾ سورة البقرة / ١٩٥

دون أن يدرك حقيقة معنى التهلكة. هنا يأتي دور الشريعة الغراء من عند الله تعالى، وان الالتزام بها فيه النجاة في الدنيا والآخرة، وانّ ما يبدولنا فيه هو الضرر قد يكون فيه النجاة، إن أمرت به الشريعة، وهذا ما عمله المسلمون فعلاً كما نرىٰ.

وقد توصل الطب اليوم الى معرفة ان الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملاً للمكروب، وكثير من الأوبئة تصيب العديد من الناس، ولكنْ ليس كلّ من دخل جسمه الميكروب يمرض! وكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدو عليه أيّ أثر من آثار المرض.

فالتايفوئيد والزحار الأميبي والباسلي، بل حتى الكوليرا والطاعون، قد تصيبُ اشخاصاً عديدين دون أن يبدو عليهم اعراضها، ومع ذلك فهم ينقلون المرض الى الآخرين.

وهناك ايضاً فترة الحضانة التي تسبق ظهور الأعراض منذ دخول

المايكروب الى الجسم. وفي هذه الفترة يكون انقسام المايكروب وتكاثره على أشدّه، ومع ذلك لا يبدو على الشخص أنه يعاني من المرض.

فالانفلونزا - مثلاً - تأخذ فترة حضانة يوماً أو يومين، بينما فترة الحضانة في التهاب الكبد الفيروسي قد تطول الى ستة أشهر. [1]

هنا تتجلى بوضوح تعليمات الرسول (ﷺ) بمنعه أهل البلد الذي حل فيه الطاعون ان يخرجوا فراراً منه. تشريعاً رائعاً ومعجزة علمية ظهرت حقيقتها اليوم بعد اربعة عشر قرناً. وقد جاء المنع شديداً والوعيدُ مرعباً مخيفاً فقال (ﷺ) في حديث جابر الذي يرويه عن الامام احمد:

(الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه كالصابر في الزحف)

وقد التزم المسلمون بأمر الرسول (ﷺ) وطبقوه، ومن الشواهد على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عباس (رض) أن عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى أذا كان بسرغ (قرية في طريق الشام مما يلي الحجاز) لقيه أهل الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أنّ الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس. قال عمر:

(ادع لي المهاجرين الأولين) فدعوتهم فأستشارهم وأخبرهم أنّ الوباء قد وقع بالشام فأختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمرٍ ولا نرىٰ أن ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله (ﷺ) ولا نرىٰ أن تقدمهم على هذا الوباء فقال عمر: أرتفعوا عني.

ثم قال: ادعُ لي الأنصار فدعوتهم له فأستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين وأختلفوا كأختلافهم فقال: أرتفعوا عني ثم قال ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا نرىٰ أن ترجع بالناس ولا تقدم على هذا الوباء.

فنادىٰ عمر في الناس:

اني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه (أي أني مسافر غداً فأستعدو للسفر).

فقال أبو عبيدة بن الجراح أفراراً من قدر الله.

فقال عمر:

(١) من كتاب العدوى بين الطب وحديث المصطفى / د. محمد علي البار.

لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم نفرّ من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كان لكَ أبل فهبطت وادياً له عدوتان احداهما خصبة والأخرىٰ جدبة، أليس أن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وأن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله . قال؛ فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إنّ عندي من هذا علماً ٠ -

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: -

(اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه، واذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه).

قال: فحمدَ الله عمرُ بنُ الخطاب ثم انصرف.

وبالتزام المسلمينِ أمر الرسول (ﷺ)، سلمت الجزيرةُ العربيةُ وقتها، وسلمت المدينةُ حاضرةُ الاسلام وعاصمته يومئذ من المرض، وهذا مصداق قوله (ﷺ) فيما ينقله البخاري في كتاب الطب ٥٧٣١ قال (ﷺ):

(إنّ الطاعون لا يدخل المدينة)، وفي رواية اخرىٰ (لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون).

وقد كانت البشارة والطمأنينة لأهل المدينة بالسلامة حتى يومنا هذا.

الطاعــون: (١)

مرضٌ معدٍ خطير وينقل الطاعون مايكروب صغير Gram negative Coccobacillus.طوله مايكرون ونصف (المايكرون يساوي جزء من المليون جزء من المتر) على شكلِ عصا بغلاف، وينتقل المايكروب بوساطة البراغيث التي تعيش على الفئران والجرذان، وينتقل بوساطة هذه البراغيث الى الحيوانات الاخرى، وكذلك الى الانسان اذا قرصته، فيقيىء ما في معدته من المايكروبات، وتنتقل داخل الجسم بوساطة الاوعية اللمفاوية الى الغدد اللمفاوية الموجودة في المراق (منطقة التقاء الفخد بأسفل البطن) اذا كانت العضة فيّ المناطق السفلى من الجسم، اما اذا كانت القرصة في المناطق العليا كاليد والعنق، فتصيبِ الغدد اللمفاوية تحت الأبط.

عن عائشة أِم المؤمنين (رض) قالت للنبي (ﷺ):

(١) تمَّ القضاء على الطاعون تماماً، ويجهل كثير من الناس المرض اليوم، لذا ذكرناه بشيء من التفصيل.

الطعن عرفناه فما الطاعون؟ قال (ﷺ):
(غُدّة كغدة البعير تخرج من المراق او الأبط). (اخرجه البخاري).
وهذا من معجزاته (ﷺ) لأنه ما ينطق عن الهوى. إن هو إلّا وحي يوحى فالرسول (ﷺ) لم يشاهد مريضاً مصاباً بالطاعون، وما عُرف الطاعون في جزيرة العرب على عهد رسول الله (ﷺ)، بدليل سؤال عائشة عنه، ولكنه النور من مشكاة النبوة!

الطاعون يجتاح اوربا:

فلو علمت اوربا بهذا القانون، وعملت به حين اجتاحها الطاعون في اواسط القرن الرابع عشر الميلادي، لقلّت حينئذ الخسائر التي مُنيت بها في الارواح، فقد قُدر عدد الموتى الذين قضى عليهم الطاعون بخمسة وعشرين مليون من الأنفس، وكان سبب انتشار المرض، هو نقل التتار حين زحفوا الى جنوب روسيا عام ١٣٤٦م. ومنها حملَهُ البحارة غرباً الى حيفا في تشرين عام ١٣٤٧م، ولجهل القوم وقتئذ طردوا البحارة من تلك البقعة، فانتشر المرض في البلاد التي نزلوا بها. بل ان سكان سيناء حين انتشر فيهم المرض تفرقوا في نواحٍ مختلفة، فنشروا المرض في صقلية كلها ثم حلّ المرض بجنوا وبيزا في اوائل عام ١٣٤٨م وانتقل المرض الى ايطالية في السنة نفسها، وانتشر في جنوب فرنسا، ومنها وصل الى باريس، ومنها الى انكلترا وايرلندا والمانيا وما جاورها. وظلّت الحال كذلك حتى عام ١٣٧٠- ١٣٧٤م، وبينما كان الطاعون يجتاح أوربا، نفّذت ميلانو والبندقية بعض القوانين الصارمة نقلتها بعد ذلك جمهورية (زاجوسا) وهذّبتها، فأنشأت المأوى بعيداً عن المدينة ليقيم فيه القادمون المشتبه فيهم مدة ثلاثين يوماً، وسميت هذه المدة ترنتينا(Trentina)، ثم زيدت بعد ذلك حتى صارت اربعين يوماً سميت كيورنتينا (Curantina)، وبهذا نرى ان الاسلام سبق اوربا في وضع قانون الحجر الصحي، فوضع تعليمات الحجر مع الدافع الضروري لالتزامها وتنفيذها بسبعمئة وخمسين عاماً تقريباً.

وقد وعد الاسلام الذين ينفذون ذلك القانون بالثواب وجزيل العطاء والقبول عند الله سبحانه، وتوعَّدَ الذين يخالفونه بالعقاب.

فالذي ينفذ الحجر ولا يترك المكان الذي ظهر فيه الطاعون له المغفرة

والرحمة وله أجر الشهيد في سبيل الله، وهو يستحق منزلة الشهادة لأنّه فدىٰ امته بنفسِهِ وساهم في حماية ارواح سائر الأمة.

قال (ﷺ):

(الطاعون شهادة لكل مسلمٍ) اخرجه البخاري في كتاب الطب رقم ٥٧٣٤

نعم شهادة لكل مسلم يموت فيه وبأستطاعته ترك منطقة الخطر فيبقى طاعة لله ورسوله.

الكوليـــرا: -

قال (ﷺ):

المطعون شهيد والمبطون شهيد) أخرجه البخاري في كتاب الطب رقم ٥٧٣٣.

المطعون هو المصاب بالطاعون، وأما المبطون ففي الغالب هو المصاب بالأسهال الشديد الذي لا يتوقف حتى الموت أذا لم يعالَجَ ويُعَوضّ عن السوائل التي فقدها والاملاح ولا تكون حالة الأسهال الشديدة إلّا في مرض الكوليرا وقد قرنه الرسول (ﷺ) بالطاعون وكذلك المقيم فيه كالشهيد والفار منه كالفار من الزحف لذا يستوجب فيه الحجر الصحي. [١]

وذهب بعض شارحي حديث الرسول (ﷺ) شمول معنى كلمة المبطون لكلِ من مات بسبب معوي أو خلل في الأجهزة التي يُضمها بطن الانسان، كالطحال والكبد والبنكرياس وعسر الولادة عند النساء. وانسداد الأمعاء والتهاب البنكرياس الحاد وأنفجار الزائدة الدودية. [٢]

الأمراض الموجبة للحجر الصحي:

وأن كان الرسول (ﷺ) قد صرّح بالحجر الصحي على مرضى الطاعون ليقاس على ذلك كل الأمراض الوبائية المعروفة سابقاً والتي عرفت حديثاً والتي ستظهر في المستقبل.

ومن الامراض التي تستوجب الحجر الصحي زيادة على الطاعون، الكوليرا، الجدري وحمى التايفوس والحمى الصفراء.

---

(١) أخذ بهذا المعنىٰ: الدكتور احمد شوقي الفنجري في كتابة الطب الوقائي في الاسلام.
(٢) رأي الدكتور ناطق محمد جواد النعيمي -/ الموصل / العراق.

وقد يزاد حديثاً مرض الأيدز الخطر الواسع الأنتشار.

العــزل :-

قال رسول الله (ﷺ) :

(لا يوردن ممرض على مصح) رواه البخاري ومسلم.

أي لا يأتي صاحب الأبل المريضة ليوردها الماء وعلى الماء أبل أخرىٰ صحيحة تشرب قبله فيؤدي ذلك الى أختلاطها فتحصل العدوىٰ وينتشر المرض لذا منع الاسلام خلط المريضة بالصحيحة.

وإن كانت هذه العناية بالحيوانات فالعناية بالأنسان أولى وأوجب.

ويستفاد من هذا الحديث:

١- أن العدوىٰ التي ذكرها الرسول (ﷺ) بقوله لا عدوىٰ فيما يخص الأمراض غير الوبائية، وعدم التهويل والمبالغة الىٰ حد الخوف من المرض فيصبح الخوف من المرض مرضاً بحد ذاته.

٢- ردّ الأمر كلّه الى الله وحده في بيئة حديثة العهد بالكفر والشرك والسحر والكهانة والتعاويذ حتى قال (ﷺ) مفحماً ذلك الاعرابي الذي قال تعليقاً على حديث الرسول (ﷺ) (لا عدوىٰ ولا صنر ولا هامة) فقال الاعرابي فما بال الابل تكون في الرمل كانها الضباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيمر بها كُلّها فقال رسول الله (ﷺ): (فمن أعدىٰ الأول؟).

ذلك رَدُّ له أن الاسباب وحدها لا تفعل شيئاً دون مشيئة الله ودون توافر عوامل أخرىٰ كثيرة معها.

٣- الأخذ بالأسباب والعمل على معرفتها فلما علمنا أنّ المريضة تعدي السليمة لذا وجب عزلها.

٤- على المرضى جميعاً أن يقدروا خطورة الحالة التي هم فيها ولا يؤذوا الناس ويكونوا سببا في أصابة جماهير الناس من جرّاء الأختلاط بهم في المساجد والأسواق والمحلات العامة، وألّا يشاركوهم طعامهم وشرابهم ايضاً، للحد من انتشار الأمراض الوبائية كالكوليرا، والمُعدية كالخناق والسحايا والتايفوئيد والسل وحتى الانفلونزا، فعلى المصاب ان يخلد للراحة في البيتْ عدة أيام للحد من إنتشارها.

قال (ﷺ) :

(لا تديموا النظرَ الى المجذومين) (رواه ابن ماجة في سننه)

اي لا تقربوهم بحيث ترونهم رؤيا دائمة، واذا رأيتموهم فلا تديموا النظر اليهم، ولا يديمُ النظر إلّا القريب في المكان.

وجاء التحذير من الرسول (ﷺ) من ادامة النظر والمخالطة لمجذوم، لان الجذام لا ينتقل إلّا بالمخالطة القريبة الدائمة.

كل هذا ليضيّق (ص) فرصة انتقال المرض الى الآخرين. وهكذا يكون عزل المصابين بالأمراض المعدية والحميات ضرورة حتمية حثّ عليها الاسلام ليصون الحياة ويبقي على سلامتها، ويدفع عن الانسان الأذى والمكروه، وما يعكر صفو الحياة ويعطلها.

قال رسول الله (ﷺ) :

(إنّ من القرف التلف).[1]

قال ابن قتيبة: القَرف: مداناة الوباء، مداناة المرضى (والمداناة المقاربة).

وكان (ص) يأخذ بالاسباب، ويأمر بها، فقد روى ابو نعيم في كتابه (الطب النبوي) ان النبي (ﷺ) : (كان اذا رمدت عين امرأةٍ من نسائه لم يأتها حتى تبرأ).[2]

---

(١) ورد في سنن أبي داود مرفوعاً وأخرجه ايضاً احمد والبيهقي في شعب الايمان عن فروة بن مسبك وذكره ابن القيم في الطب النبوي ص٣٤

(٢) الطب الوقائي النبوي للدكتور محمود الحاج قاسم - الموصل ١٩٨٨

سلامة الحياة الزوجية

* الأسلام يحث على الزواج

اليهود يتشاءمون من المرأة

ثقافة المرأة المسلمة

اسرار الحياة الزوجية

كيف نعلم أطفالنا

الشباب والعفة

حرية الأبوين

توجيه الأطفال

الحياة الزوجية

١- الاسلام يمنع مباشرة الرجل زوجته أثنا الحيض

٢- الاسلام يحرم أتيان المرأة في الدبر

٣- الأجهاض

الشيوعيون يقتلون الأجنة

الحرص على الحياة في الشريعة الأسلامية

الرخصة في الأجهاض

قتل الانسان

٤- الحجاب

الجوانب الوقائية في الحجاب

٥- الحضانة

٦- سلامة العلاقة الجنسية

الغسل

فلسفة اللذة عند الغرب

٧- الوراثة

زواج البكر

الأسلام يحث على الزواج :

إلاسلام دين الحياة وبقاء الحياة مرتبطة بألتقاء الرجل والمرأة والتزاوج بينهما.

فلا بقاء للنسل الانساني دون هذه المباشرة والمعاشرة. فلا رهبانية ولا كهنوت في الأسلام.

كما أنّه لا ضعةَ ولا ترفع عن هذه العلاقة وممارستها بين الرجل والمرأة بصورة صحيحة في الأسلام.

ولا يُبنى الزهد في الأسلام والعبادة على الترفع عن الزواج كما هو الحال في بعض المذاهب المسيحية.

فلا منقصة تقدح في شخصية المتزوج والمسألة فطرية كالطعام والشراب.

بل اكثر من ذلك نرى أنّ الأسلام حثّ أتباعه على الزواج وتكوين الأسرة وبناء المجتمع وصنع الحياة وأدامتها. لذا قال الرسول (ﷺ):

(يا معشر الشباب من أستطاع منكم الباءة فليتزوج فأنه أغض للبصر وأحصن للفرج). (متفق عليه).

وقال أيضاً:

(من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني) رواه ابن ماجة.

فلو التزم المسلمون بتعاليم الأسلام لم تبق عانس في دنيا الأسلام بل في العالم أجمع.

وكما أنْ حفظ النفس وبقاء الجنس البشري من مقاصد الشريعة الاسلامية كذلك حفظ الدين.

وتبياناً لدور المرأة هذا قال (ﷺ):

(من رَزقه الله أمرأة صالحة فقد أعانَه على شطر دينه فليتقِ الله في الشطر الثاني) رواه الطبراني في الأوسط والحاكم.

فالمرأة الصالحة تساعد الرجل وهو كذلك على العفة والحياة الكريمة النظيفة، وتكون له خير معين لبناء لبنات الحياة من تكوين الأسرة وتنشئة الأولاد والأعتناء بهم.

فالأَسَرُ المسلمة أسَرٌ فاضلة تمنحُ الحياة الذرية الصالحة، وتعنى بهم وتؤدبهم وتعلمهم.

وهي أسَرُ تبني الحياة الفاضلة على أسس سليمة شرعية لا من اجل اجتماعٍ موقت قائم على اللذّة مع الصديق أو الصديقة كما يحصل غالباً في الغرب اليوم.

لذا نرىٰ دول الغرب اليوم تشجع النساء على الحمل والانجاب وتخصص لهـنَ المكافآت والمعونات، وتطالعك اللافتات وأنواع (البوسترات) ووسائل الاعلان من صور وكلام. كلّها للحث والتشجيع على الانجاب.

وفي الوقت نفسه نرىٰ ان الانجاب في الدول الاسلامية يسير بمستويات عالية دون جُهدٍ من الدولة، اللهمّ إلاّ أسراً تَغرّبت بثقافتها وسلوكيتها، فهم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا، وحياتهم وأحلامهم غريبة الطابع.

ويُرثي الرسول (ﷺ) لحال الرجل الذي يعيش حياة الوحدة بلا زوجة، ولحال المرأة بلا زوج.

قال (ﷺ):

(مسكين الرجل لا زوجة له، ومسكينة المرأة لا زوجَ لها)

وتعهّدَ الله سبحانه بعون مَنْ أرادَ العفةَ والزواج بقول الرسول (ﷺ):

(ثلاثة حقٌّ على الله عونهم، المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكحُ الذي يريد العفاف) (رواه الترمذي عن أبي هريرة).

وهذا توجيه للمسلمين والمجتمع الانساني كلّه أن يأخذ بأيدي هؤلاء.

أولهم المجاهد في سبيل الله المدافع عن العدل والحق والحرية ومقارعة الباطل والطغيان في الداخل من ظلم الانسان اخاه الانسان وردّ الاعتداء على حدود الأمم والشعوب.

والمكاتِبُون: سابقاً هُمْ العبيد الذين يتشوقون الى الحرية، فالَزَمَ الاسلام أسيادهم اطلاق حرياتهم لقاء مبلغ من المال، هذه رحمة الاسلام بالفرد.

واليوم نرى الشعوب المضطهدة التي تريد حريتها من الظَلَمَة والاقوياء وبأسلحتهم الفتاكة أحوجِ ما تكون الى المساعدة بكلّ اشكالها والأخذ بيدها

نحو الحرية.

والناكحُ: الذي يريدُ العفة وصونَ نفسهِ عن الحرام، فهو حريٌّ بالمساعدة وبذل العون وتذليل الصعاب في طريقه.

ورحمة الاسلام بالنساء والرجال على السواء، وهذه طبيعة الاسلام ورحمته العامة، لأنه منهج إلهي، وحاشَ لله ان ينسى أو يهملَ أحداً.

قال (ﷺ):

(مَنْ كانت عنده جاريةٌ فادّبها فاحسن تأديبها وعلّمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها أو زوّجها فله أجران). (رواه البخاري)

التأديب والتعليم، أي التأهيل للحرية ولممارسة حقوقها ومنحها ادميتها التي انتزعتها الجاهلية منها بغير حق.

فكأن الاسلام يومَ حثّ المسلمين على التأديب والتعليم والحرية، لمن في ايديهم من الجواري، اهدىٰ الحياة انسانةً جديدةً واهدى اليها الحياة.

وكذلك يفعل المسلم مع اليتيمة والفقيرة، وان لم نجد اليوم رقيقات وجواري، فحولنا الكثير من الفقيرات واليتيمات والمتشردات في العالم كله، فهم مسؤوليتنا نحن المسلمين.

اليهود يتشاءمون من المرأة: -

جاء رجل الى أم المؤمنين عائشة فقال: سمعتُ ابا هريرة يقول: إن رسول الله (ﷺ) قال: (الشؤم في ثلاثة: في المرأة والفَرَس والمسكن) فقالت من توّها: لم يحفظ ابو هريرة لأنه دخل ورسول الله (ﷺ) يقول: قاتل الله اليهود، يقولون الشؤم في ثلاثة: المرأة والفَرَس والمسْكن، فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله) رواه احمد.

فلا شؤم في الاسلام من المرأة. لأنه اعطاها قيمة الحياة الانسانية. لأنها. الأم والأخت والحبيبة.

والنساء شقائق الرجال فلا شؤمَ ولا اهانة.

ويخاطب الرسول (ﷺ) الناس بقوله (خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلي).

فكيف تُهان المرأة وهي الأم والأخت والزوجة الصالحة؟

ومن يرضى بإهانةِ أمه أو أخته أو زوجته إلاّ الحمقى والأوباش وجموع الجهلة بالدين والحياة والمحسوبون ظلماً على المسلمين.

ثقافة المرأة المسلمة

بعد دخول النساء العربيات في الاسلام، واهتمام الرسول (ﷺ) بحقوقهنَّ، ورفع الظلم عنهنّ. بد أنَ بالاهتمام بالاسلام والاعتزاز به وتعلم القرآن والحديث وما يتعلق بحياتهنّ.

ويروي لنا الرحالة ابن بطوطة عن مشاهداته، عندما وصل الى الجزر الاندنوسية وشعوب جنوب شرق اسيا المسلمة، أنَّ المرأة المسلمة كانت لا تُزَوّج إلاّ وهي حافظة للقرآن الكريم.

وكان الجيل الاول من النساء المسلمات الأنصاريات في المدينة يسألنَ رسولَ الله (ﷺ) كلَّ ما يتعلق بأمورهنّ الخاصة، مما له مساسٌ بالطهر والنظافة مما يحفظ لهنَّ صحتهنَّ.

ويذكر لنا الامام البخاري كلامَ السيدة عائشة أم المؤمنين وهي تصف لنا النساء الانصاريات:

(نعم النساء نساء الانصار، لم يمنعهنّ الحياء، أن يتفقهن في الدين)[1] ولم يترك الرسول (ﷺ) قضية مهما كانت صغيرة في سلامة العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة الاّ بينها لنا. وقد رأت احدى زوجات الرسول (ﷺ) أحد الصحابة يريد أن يسألها بعض الأمور فيغلبه الحياء فقالت له:

(أسأل ما تريد أتستحي من أمك)

وقد سأل المسلمون نساء الرسول (ﷺ) عن تفاصيل حياته بدقائقها وهي موضحة في كتب الفقه الأسلامي.

أسرار الحياة الزوجية

ان للحياة الزوجية حرمتها ولكل أنسان الحق في آن يحتفظ بأسراره دون أن يطلع عليها أحد ويحلو لبعض الثرثارين كثرة المزاح وأضحاك الأصحاب ولو علىٰ حساب أسراره الزوجية فتراه يعمد الىٰ فضح أسرار زوجته ونفسه بأسلوب ساخر مدعياً في ذلك الاريحية والرجولة.

---

(١) رواه البخاري في المشكل، وروي الشطر الاول منه الحاكم وقال صحيح الاسناد.

فعن أبي هريرة قال:

(صلىٰ بنا رسول الله (ﷺ) فلما أقبل علينا بوجهه قال مجالسكم، هل منكم الرجل أذا أتىٰ أهله وأغلق بابه وأرخى ستره ثم يخرج فيتحدث فيقول فعلت بأهلي كذا وفعلت بأهلي كذا؟

فسكتوا حياء. فأقبل على النساء فقال هل منكنّ من تتحدث؟ فجثت فتاة كعاب على ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله (ﷺ) ويسمع كلامها فقالت: أي والله أنهم يتحدثون فقال عليه السلام هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟ أنّ مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي احدهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون) رواه احمد وابو داود.

فنهى الرسول (ﷺ) الرجال والنساء عن التحدث عما يدور بينهما من خاصية اللقاء في مخدع الزوجية لئلا تكون وصمة لأحدهما في المستقبل.

فأن كانت امرأة وفضحها زوجها بكلامه الرخيص من بعض صفاتها ومات عنها أو طلقها فلربما لم تحض بزوج غيره. وأن كان رجلاً كذلك.

والكلام المبتذل الرخيص ومثله الصور العارية والمجسمة والملونة وما يسمى بالأدب الجنسي تحفّز الاطفال ونوازعهم الجنسية قبل بلوغ السن الطبيعية لذلك، ولا يقدّر الطفل خطورة تصرفه، وكيف انه يفسد حياته وحياة اسرته.

وأذكر اني قرأت شكوى أم امريكية لطبيب الاسرة، من أنّ ابنها الصغير يتحيّن الفرصة للدخول بين فخذيها ماداً يده الى فرجها! وأنّ تصرفه هذا يحرجها في كثير من الاوقات أمامَ الزوار وفي الشارع.

هل ترضى أمٌ لاطفالها هذا التصرف؟!

كل هذا من افرازات التوجيه غير المعقول من تلفزيون وسينما ومسرح وصحف. وكلام مبتذل آناء الليل وأطراف النهار، يُصَبُّ في مسامع الصغار فيستفزهم، ويُشَاغِلُ احلامَ الكبار، ويؤدي بهم الى الانحراف.

ولما كان للكلمة تأثيرها في الانسان، وخاصة في موضوع الثقافة الجنسية المشوبة بالرغبة، والمحاطة بالمجهول لدى صغار الشباب. نجد التعبير القرآني يرسم الصورة الواقعية بابعادها المطلوبة لصيانة العواطف، وهو يعبّر عن العلاقة بين الرجل والمرأة، وعن الممارسة الجنسية بالأشارة من غير

إثارة، مع غاية البيان والتوضيح لما يريد.

قال الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿او لامستم النساء. . ﴾ (سورة النساء /٤٣)

﴿وقد افضى بعضكم الىٰ بعض﴾ (سورة النساء /٢١)

﴿فلما تغشّاها حملت. . ﴾ (سورة الاعراف /١٨٩)

﴿ولقد همّت به وهمَّ بها. . . ﴾ (سورة يوسف /٢٤)

﴿نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم﴾ (سورة البقرة /٢٢٣)

هكذا عبّرَ القرآن الكريم بالأدب الرفيع عن المباشرة الجنسية باللمسة والافضاء والحرث. . ، وكل هذه التعابير توحي بمعنى الاتصال الجنسي بوضوح.

كيف نعلّمُ أطفالنا؟

على الآباء ان يحرصوا على اولادهم وبناتهم، وافهامهم حدود الشرع، وخاصة في دور المراهقة، وعند النضج، ووضع كتب الفقه بين ايدهم، وتعليمهم كيفية الطهارة والغسل من الاحتلام.

وللبنات ضرورة تعليمهنّ كيفية التطهر والنظافة والغسل بعد الحيض. . ومناهج الدراسة اليوم فيها بعض التمهيد من دراسة الاجهزة الجنسية وتشريحها عند الحيوانات واللبائن، ثم التدرج للأنسان.

وقد علمنا الرسول (ص) ملازمة الابناء بقوله.

(الزموا اولادكم. .)

فتصحبهم لتقضي معهم بعض وقتك ان لم يكن كلهّ إن كنت من اصحاب الأعمال، ومن خلال الصحبة ومجاذبة اطراف الحديث تشرح لهم مايشُكل في اذهانهم من امور الحياة والحياة الزوجية جزمًنها، وشرحها لهم باسلوب بسيط لأنها مسألة فطرية دون حرج او تهويل او استفزاز او إبهام، بل ببساطة مع التدرج ومن الافضل تعليم المراهقين، ومَنْ هم في سن الزواج بتفاصيل الحياة الزوجية، حتى لا تبقىٰ صورة حائرة في مخيلتهم، بل العلمُ خيرٌ من الجهل، وفرق شاسع بين العلم والواضح والاستخدام المحذور.

الشباب والعفة. -

حتى لا يتحول الشباب وفورته الى قوة تحطمّ المجتمع وتتعدى على حقوقه، عُني الاسلام بالتربية والتوجيه كاحدى وسائل الوقاية، من خطورة المرحلة وضراوتها واندفاعها، وحببَّ العفة والصبر الى الشباب، وهيّأ لهم الجوّ الاجتماعي الذي يساعدهم على العيش بعفّة الى حين أستطاعتهم تحملّ اعباء الزواج.

ووعد الله سبحانه وتعالى الشباب بعظيم الأجر إن هم صبروا في مواقف الفتنة. لذا قال رسول الله ﷺ -

(سبعةٌ يُظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّهُ، إمام عادل. ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني اخاف الله رب العالمين).

والفرق كبير بين الثقافة والعلم بالشيء، وبين الممارسة الحرام.

ومن الخطأ الظنّ أنَّ العلمَ بالشيء مدعاةٌ الى الرذيلة والانحراف، والعكس هو الصحيح

إذ أنّ الغفلة والجهل والبحث عن المجهول وحبّ المغامرة قد تكون من الدوافع الى الرذيلة.

حرية الأبوين: -

وحتى لا يقع الآباء في الحرج أمام الاطفال إن رأوهم اثنا المواقعة عند بلوغهم سن التمييز اوينغصوا عليهم هناءهم واستمتاعهم ببعضهم، نبّه القرآن الكريم الآباء الى تعليم اولادهم آداب الدخول عليهم، وآداب الزيارة وكيفية الاستئذان. قال سبحانه وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات:

من قبل صلاة الفجر

وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة

ومن بعد صلاة العشاء.

ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناحٌ بعدَهن طوّافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يُبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ (سورة النور

/٥٨، ٥٩).

توجيـه الاطفـال:

ومن هدي الاسلام توجيه الأطفال وتنشئتهم النشأة الصالحة، وان نعطي الطفل في كل مرحلة ما يلائمه ويستوعبه عقله، المتفتح للحياة من الثقافة واساليب العيش وسلامة السلوك وتكاليف الحياة اليومية، ومن المداعبة والملاعبة المشوبتان بالحنان التي تقتضيها المرحلة التربوية.

قال رسول الله (ص):

(مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع سنين.) (متفق عليه).

اذن قبل ان يصل من العمر سبع سنين. تحبيب واقتداء بالأبوين وبعد السبع أمرٌ وارشاد وتعوّد دون تعسف وشدّة.

(واضربوهم عليها وهم ابناء عشر سنين.).

ضرباً تأديبياً خفيفاً ليتعلم الجد في حياته كلها ويترك التسيب ليتعلم ما لَهُ وما عليه، والضربُ هنا ليس لتركه الصلاة، بل لتأديبه عموماً وتعليمه ايضاً اذ يبدأ بالتمييز في السنوات العشر.

(وفرّقوا بينهم في المضاجع.).

وقاية من التصرف الخاطيء والسلوك الطفولي، والحاق الضرر باخته أو أخيه.

الحياة الزوجية: -

بنى الله سبحانه الحياة على الزوجية في النبَات والحيوان والانسان، لا بل كما يقول العلماء اليوم، حتى الجماد، اذ يتكون الذرة من شحنات سالبة وموجبة هما بمثابة الذكر والانثى.

قال سبحانه:

﴿سبحان الذي خلق الازواج كلَّها مما تنبتُ الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون﴾. سورة يس /٣٦.

وقوله عز وجل (ومما لا يعلمون) يمثل كل آفاق العلم الرحبة ومجالات البحث مما علمه الانسان اليوم، وما غاب عن وسائله في الكشف.

فهو اذن قانون الحياة وسنة الله في خلقه جميعاً.

بحثنا اليوم يتناول الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة وسلامتها ووقايتها من الأمراض، فقد نظّمها الاسلام، وبيّن حق كل منهما وحدود دوره وتعامله ليسعد كلٌ بالآخر، ويعطيه مثلما يأخذ منه، وحق الطفل ايضاً، بشكل رائع لا يمكن أن تسموا اليه شرائع البشر.

ولمّ يغفل الجوانب الصحية والوقائية في هذه العلاقة، فجاءت الآيات القرآنية. جزء من التشريح الخاص بتنظيم الحياة الزوجية ووضع هذه العلاقة في سياجها المنتج السليم الذي يحافظ على سلامة الزوجين من الأمراض ويوجه طاقاتهما للأنجاب، وزرع الحياة ورعايتهما وتعهدها بما يرضى الله ويسعد الانسان ومنها:

١- الاسلام يمنع مباشرة الرجل زوجته اثناء الحيض:

منع الاسلام المعاشرة الزوجية لأسباب وقائية منها:

ا- في فترة الحيض يفرز جسم المرأة هرموناً خاصاً يختلف عن الذي يفرزه في الفترة الاعتيادية، وهذا الهرمون يجعل المرأة في حالة نفسية ومعنوية غير اعتيادية، وبعضهنّ تصاب باضطرابات عصبية، وتكون كارهة للمجامعة، ففي تركها في هذه الفترة احترام لمشاعرها وحالتها النفسية.

ب- يصاب الرحم فترة الحيض بتسلخات تشبه تسلخات الجلد، ويكون محتقناً فتقل مناعته، ويكون اكثر عرضة للاصابة بالجراثيم، وربما أدّى ذلك الى زيادة جريان الدم والنزيف.

وقد أسلمت طبيبة فرنسية متخصصة بجراحة الامراض النسائية عندما أعدت دراسة عن الاتصال بالمرأة اثناء الحيض وما يترتب على ذلك من اخطار، ولما علمت ان في القرآن الكريم نهياً عن ذلك عملت على دراسة الاسلام، وأسلمت قائلة. (لا يقدّر خطورة هذه الممارسة رَجُلٌ لم يدرس الطب والتشريح قبل الف واربعمئة عام، ما لم يكن وحي من الله سبحانه، وانه لرسول حقاً).

ج- دم الحيض، بيئة مثالية لنمو الجراثيم، وقد يصاب مجرى البول عند الرجل بالتهابات نتيجة هذا الاتصال، فمن الافضل لهما ابتعاد احدهما عن الآخر فترة الحيض، ويشمل المنع ايضا حالات النزيف والأجهاض والولادة.

د- تكون المرأة اكثر عرضة لالتهاب المهبل وعنق الرحم نتيجة دخول الجراثيم اثناء الجماع.[1]

هـ- قد يتعرض الرجل لمرض الزهري، فيما اذا كانت عند المرأة عدوى كافية وراثية بهذا المرض، حيث لا يظهر في الاحوال الاعتيادية، وربما يوجد في دم الحيض بعض من جراثيم الزهري[2] لهذه الاسباب، وربما لغيرها ايضاً قال سبحانه:

﴿يسألونك عن المحيض، قل هو أذىً، فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ (سورة البقرة /٢٢).

والمقصود بالاعتزال عدم الجماع، وللرجل ما عدا ذلك من التقبيل والملاعبة ان كان ممن يملك نفسه ولا ينصَح بذلك للشباب.

وقال سبحانه:

﴿ولا تقربوهنَّ حتى يطهرنَ﴾ (سورة البقرة /٢٢).

فينقطع الدم وتتنزه منه وتغتسل، عند ذلك تكون مهيأةً جسمياً ونفسياً للوقاع.

٢- الاسلام يحرم اتيان المرأة من الدُبُر

قال سبحانه وتعالى:

﴿وآتوهنّ من حيثُ أمركم الله﴾ (سورة البقرة /٢٢٢).

نهى الاسلام عن اتيان المرأة في دبُرها، لما يحدث من تلف للانسجة العاصرة، ويفقدها السيطرة والتحكم في طرح الفضلات والغازات، فيصبها بافدح الضرر الجسدي والأذى النفسي اكبر. إذ أنَّ هذا العمل تجاوز على انوثيتها، وقد تصاب بامراض اخرى، سنذكرها في موضوع اللواطة.

وقد ذكر الرسول (ﷺ) احاديث كثيرة مؤكداً لأمته تجنّب هذا السلوك المشين مع المرأة، وان كانت زوجته.

قال (ﷺ) في سنن أبي داود عن أبي هريرة (رض):-

(ملعون من أتى المرأة في دُبرها).

وروى الامام احمد وابن ماجة في قوله (ﷺ):

(١) الطب الوقائي النبوي / د. محمود الحاج قاسم. الموصل ١٩٨٨ ص٣٢.

(٢) الطب الوقائي النبوي / د. محمود الحاج قاسم الموصل ١٩٨٨ ص٣٢.

(لا ينظر الله الى رجلٍ جامعَ امرأته غي دُبُرها).
وروي الترمذي في قوله (ﷺ):
(من أتىٰ حائضاً او امرأته في دبرها أو كاهناً فصدقه فقد كفرَ بما انزل على محمد).
وروى البيهقي قوله (ﷺ):
(مَنْ أتىٰ شيئاً من الرجال والنساء في الأدبار فقد كفر). [١]
من هذا يُستدلّ على تحريم وطء المرأة في دبرها تحريماً قاطعاً.
امّا ما يفهمه بعض الجهلة من الآية الكريمة قوله سبحانه: ﴿فاتوا حرثكم أنّىٰ شئتم﴾.
فالحرث هو موضع الاتيان، وهو الفرج المؤدي الىٰ الحمل، فَلَكَ ان تأتي زوجتك في اية صورة، وفي اي وضع تريد، وفي ايّ وقت تكون طاهرة من دم الحيض والنفاس، وان يكون الوطء في الفرج لا في الدُبر. لأن الدبر موضع الفضلات والطرح لا موضع الحرث والزرع.
فمن فهم من الآية غير ذلك فهو مغفّل او صاحب هوىً في نفسه اويبحث عن مبرر لانحراف سلوكه.
وان اتيان المرأة في الدبر يضيّع حقها في المعاشرة الزوجية ويفقدها لذّة الجماع.
ومع انحراف الرجل هذا المستمر، لا تستقيم الحياة الزوجية لانها لم تنل حظها من زوجها.
وفرج المرأة مزوّدَ باعصاب حسيّة تنقل الشعور باللذة وتدعوها للمشاركة والاندماج مع الزوج، ويفتقر الدبر الى ذلك.

٣- الاجهاض: -

حفظ الحياة هدف رئيس مَن اهداف الشريعة الاسلامية ويأتي بترتيب مقاصد الشريعة قبل حفظ الدين.
وقد صانَ الاسلام الحياة من معينها، وهي الطفولة، فحرّم قتل البنات الذي كان سائداً عند العرب قبل الاسلام، بكلمات تقطر ألماً وحسرةً وتوجعاً قال سبحانه:

---
(١) مجموعة الاحاديث اعلاه من كتاب الطب النبو لابن القيم.

﴿واذا المؤدة سُئلت بايّ ذنبٍ قتلت﴾ (سورة التكوير /٧).

وقال سبحانه وتعالىٰ :-

﴿ولا تقتلوا اولادكم خشية املاقٍ نحن نرزقهم واياكم﴾ (سورة الاسراء /٣١).

فالاجهاض هو قتل عمدٌ واعتداء على الحياة وعلى المجتمع باسره فضلاً عما يسببه الاجهاض من مخاطر على الأمهات، فقد وجُد ان نسبة الوفيات تصل الى (٢٦) في كل مئة الفٍ حالة اجهاض مع كثير من الأذى المتمثل احياناً بتمزق الرحم او جروح نازفة تستوجب نقل الدم مع حمى عالية والتهابات في عنق الرحم.

ووُجِدَ ايضاً ان التي تمارس الاجهاض يصبحُ الاجهاضُ عندها طبيعياً ويفقد الرحم قابليته للاحتفاظ بالجنين.

الشيوعيون يقتلون الأجنّة :

وبالمقارنة مع الشيوعية التي اباحت عملية الأجهاض قانوناً نرىٰ نسبة عالية من قتل الاطفال تجري في الاتحاد المأساوي، (السوفيتي) حيث يتم قتل (١٤٠٠) طفل بعملية الاجهاض مقابل (١٠٠٠) طفل ولادة طبيعية، أي عندما بلغ عدد الولادات في الاتحاد المأساوي ٤٫٢٥ مليون، كان عدد المقتولين من الأجنّة (٦)ُ مليون.[1]

وهنا تتجلى رحمة الله سبحانه وتعالى واضحةً جليّةً في عناية الاسلام بالانسان ورعايته له وحفظ حياته.

اما النُظُم الوضعية التي أباحت قتل الانسان، إنْ هو إلاّ انحطاط البشر وتدهوره عندما يعتدي على حق من حقوق الله سبحانه في التشريع، فيشرع لنفسه ما يؤذيه ويدمره. ولا يفوتنا ان نذكر انّ الدول الغربية ايضاً، قد أباحت الأجهاض.

الحرص على الحياة في الشريعة الاسلامية :-

ومن حرص الشريعة الاسلامية على الحياة وصيانتها، أباحت الخروج عن قسم من تعليماتها واوامرها ونواهيها، وعدم التزامها، إذا تهددت الحياة في صميمها، وخيف على الانسان الهلاك.

---

(١) Preventive Medicine - P.764

ومن القواعد المقررة في الشريعة الاسلامية، والمشهورة عند العلماء المسلمين وعامتهم أنّ (الضرورات تبيح المحظورات). وتُقدر هذه الضرورة بقدرها.

فعند فقدان الطعام المباح، يحلّ للمسلم تناولَ شيء من الطعام المحرّم يُقيم به أَوَدَهُ، ويبعدُ شبحَ الموت عنه. وجاءت الرخصة من الله سبحانه في سورة المائدة /٣:

﴿فمن أضطُر في مخمصةٍ غير متجانف لأثم فان الله غفور رحيم﴾.

والمخمصة هي الجوع والحاجة الملحّة الى الطعام، فعندما تكون حياة الانسان مهددة، جاءت الرخصة لِينال من الطعام المحرّم بالقدر الذي يوصله الى النجاة من الموت الى ان يتوافر الحلال. الاسلام يصون الحياة ويحميها، وقوانين البشر في الشرق والغرب تتبع الأهواء والشهوات العابثة العابرة غير المسؤولة، ولا تأخذ حفظ الحياة في اعتبارها على المستوى القومي او الانساني وإلاّ فايّ تبرير علمي أو عقلي يجعل الاجهاض عملية قانونية ترعاها الدولة وتسخر لها امكانياتها، وفيها من الخطورة على الأمهات ما فيها، فضلاً عن القتل العمد للأنسان، والذي وصلَ كما قلنا في الاتحاد المأساوي الى ستة ملايين، وهذا العدد في تزايد مستمر.

الرخصة في الاجهاض:

يسمح الاسلام باجراء عملية الاجهاض اذا تعرضت حياة الأم للخطر إثر اصابتها بالنزيف المستمر، وتصبح عملية الاجهاض ضرورية لانقاذ حياة الأم.

يقرر ذلك الخبيرة من الطبيبات المسلمات أو الطبيب المسلم إذا وجدا.

الأبنـاء غير الشرعيين:

ومن رحمة الاسلام بالانسان وحرصه على الحياة اعتبار وجوده حقيقة تُصان فور حوصلها كجنين وعدم التفريط به حتى لو كان ابناً غير شرعي.

وقد حدثتنا سيرة الرسول (ﷺ) عن المرأة الغامدية التي جاءت الى الرسول (ﷺ) تطلب منه اقامة الحد عليها لانها قارفت الزنا.[1] وبعد تأكد الرسول (ﷺ) من ذلك قال لها: اذهبي حتى تضعي حملَكِ، ولمّا وضعته، جاءت

[1] قارفت اي ارتكبت جريمة الزنا.

به الى الرسول (ﷺ)، فقال لها: ارجعي حتى تفطميه، ثم جاءته بالطفل وبيده كسرة خبز، ايّ أن الرسول (ﷺ) عطّل حكم الشريعة عليها بالقتل، فرعى الجنين حتى وضعته ولم يحرمه من فترة الرضاعة حتى الفطام.

وكان (ﷺ) يتمنى ألاّ تعود، فقد اعترفت هي بالأثم وطلبت منه اقامة الحد عليها لتتطهر وتلقى الله وهو راضٍ عنها غير غضبان.

وهذا يدل على مدى عمق الايمان وصفاء الوجدان والشعور المرهف، والتأثم مما جعلها تتقدم لتعترف بذنبها.

وذهب بعض علماء المسلمين الى دفع زكاة الفطر عن الجنين اعترافاً بوجوده وحقوقه.

سبحانَ الله، ما ارحمَ الاسلامَ بالانسان جنيناً وطفلاً ورَجُلاً، وما أظلمَ الانسانَ لنفسه، فحتى الأجنّة في بطون الأمهات لم تُسلم في المجتمعات الشيوعية والغربية المتقدمة علينا في علوم الذرة والتكنولوجيا والانتاج الصناعي الوافر الكثير. والمتخلفّة عنّا انسانياً وحضارياً.

و(عنّا) هذه، تعني الاسلام الحق في واقع الحياة، الذي اراده الله سبحانه، وعاشه المسلمون ايام كانوا خيرَ امة أخرجت للناس، تحبّ الخير وتعمل به، وتكره الشرّ وتنهى عنه، لا الذي عليه نحن اليوم، فنحن لا نمثله، لا بل نسيء اليه بأنتسابنا إليه وتخلفنا. وهو يريدنا (الاعلون) دائماً، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

فمكاننا اذن، مكان عز وعلّو في الدنيا والاخرة.

وما المكانة التي تعيشها الشعوب الاسلامية اليوم بالتي يرضاها لنا الاسلام أبداً.

فقيادة العالم يجب ان تكون بايدينا نحن المسلمين، والعالم كلّه نحن اهله والاوصياء عليه، واولىٰ به من الشرق والغرب. والمسلم لا يرضى بالدون، بل هو الاعلى دائماً اذا التزم العملَ بشرع الله سبحانه.

فكم من عبقرية فذة لم يتركوها ترىٰ النور، وكم هي خسارة الانسانية بجرائيم العابثين من الشيوعيين والغربيين، فلا تغرّنا مظاهر الرحمة واعلانات

الرقة والجمال، فالشعب الذي تظاهر من اجل انقاذ كلبةٍ!! هو من الامة نفسها التي قتلت مليون شهيد في الجزائر ومليوناً ونصف المليون من الشهداء في افغانستان، وملايين اخرى في طول وعرض الرقعة الانسانية.[1]

قتـــل الانســان:

وقبل قتل الأجنّة والاطفال، حرّم الاسلام قتل الانسان أخاه الانسـان، فاعتبر قتل انسانٍ واحدٍ اعتداء على مجمل الحياة الانسانية وقتلاً لكل البشر، فقال سبحانه في سورة المائدة /٣٢:

﴿انه من قتل نفساً بغير نفسٍ او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾.

ويكون الاسلام هو المشرّع الاول لما عرفته البشرية اليوم من الحق العام. اي الاعتداء على الفرد هو اعتداء على عموم الناس.

وانظر كيف أشادَ الاسلام بكلّ ما يُحيي الانسان ويعمل على حفظ صحته، فمجهود اي انسان كان بحفظ حياة انسانٍ واحدٍ يعد حفظ حياة الناس كلّهم.

٤- الحجـــاب:

المرأة المسلمة تستر جسمها كلّه من أعلى رأسها الى قدميها عدا الوجه والكفين والقدمين.

وهكذا امرها الاسلام، وحبّب اليها ستر جسمها كلّه في وقت تعيش المرأة الجاهلية الحديثة اليوم عصر العري والتهتك والتفنن في العرض والاغراء.

الآثار الاجتماعية والفوائد من الحجاب:

١- ألّا تكون عنصر اثارة لغرائز الشباب بتعريها.

٢- ان تلبس الساتر والمريح لها من الملابس، مبتعدة عن الملابس ذات الالوان الصارخة والمثيرة والضيقة التي تقيد حركتها وتؤذيها وتعطلها غالباً عن العمل.

---

(١) تظاهر الشعب الامريكي او الانكليزي عندما اطلقوا مركبة فضاء تحمل (كلبة) للفضاء الخارجي، وفرنسا هي التي قتلت مليون شهيد في الجزائر في حرب التحرير، وروسيا قتلت اكثر من مليون ونصف في افغانستان.

٣- ان تخرج من دائرة المنافسة والمزايدة بين النساء على تعدد الانواع والألوان وجمالها وغلاء ثمنها، وتكفّ عن تخريب وهدم ميزانية الاسرة، وتبذير دخلها الضروري لحياتها.

٤- تتمثل بانسانيتها وتتعامل بها ولا تتعامل بجسدها ومفاتنها فتكسب الاحترام بعملها وسلوكها لا يلفت الانظار اليها بحركاتها وجسدها مما يخسرها الكثير، لأن فترة الشباب وعرض الجسد محدودة وسرعان ما تذبل وتنصرف الانظار منها الى غيرها ولا يحترمها حينئذ أحد.

٥- المرأة في الاسلام انسانة وزوجة ورفيقة عُمُر وأم حنونة لا وسيلة اعلان ورقيق ابيض اسمها الفرق الفنية وعارضات أزياء وممثلات وبنات ليلٍ بالآلاف يكسبنَ رزقهنّ بفروجهن لا بأيديهن.

الجوانب الوقائية في الحجاب:

سنتكلم هنا حول الحكمة من الحجاب وستر المرأة جسمها كلّه ومردوده من الناحية الطبية، وكيف ان تغطية الجسم يعود على المرأة بالوقاية وان مشيئة العليم الخبير صاحب التشريع الحق سبحانه اقتضت الحفاظ على المرأة مستودع الحياة ومستقرها، وصيانتها فكان الحجاب بما قرأنا من آثار اجتماعية وآثار صحية هو خير للمرأة وهي المستفيدة منه.

في دراسة اجريت على مرض السرطان في الرجال والنساء كانت النتائج كما يأتي: -

١- أنَّ الرجال اكثر عرضة لمرض السرطان من النساء، فقد تبين أنْ سرطان الرئة يصيب ١٨٪ من الرجال و٣٪ من النساء علماً أنّ الدراسة أجريت على المدخنين من الجنسين.

٢- أن سرطان الجلد ٢٣٪ من الرجال و١٣٪ من النساء.

٣- أنّ خطر الأصابة والموت في الرجال اكثر من النساء بصورة عامة.

ولتفسير هذه الظاهرة وضعوا ثلاث فرضيات:

الأولى: الفرضية المحيطية:

وهي أنّ الرجال يتعرضون لعوامل المحيط الخارجي اكثر من النساء بحكم اعمالهم.

الثانية: الأستعداد الفطري:

وذلك أن الأستعداد الفطري في الرجال للأصابة اكثر من النساء لسبب مجهول، لأنهما من جنس واحد والمفروض أن يكون الاستعداد واحدا.

الثالثة: التعري:

لأنّ الأصابات كثرت في الجزء العلوي من الجسم وهذا ما يكون مكشوفاً عادةً وبارزاً في الرجال لعوامل المحيط.[1]

وهذه الدراسة أجريت في امريكا حديثاً، وأذا تأملناها، وتأملنا ما نجده في مجتمعنا من اثار الغواية والفتنة وصرف الشباب عن كل ما فيه خير الأنسان لنفسه ولأمته.

ونجد أهمية الوقاية التي حققها لنا القرآن الكريم بقوله سبحانه: **﴿وقرنَ في بيوتكنَّ﴾** (سورة الأحزاب /٣٣).

فلا تعّرض لمشاكل المحيط وعوامل البيئة وآثارها المرضية كما قرأنا.

﴿ولا تبرّجنَ تبرج الجاهلية الأولى﴾ (سورة الأحزاب /٣٣).

وترك البيت والتبرج له آثار وخيمة على المرأة وعلى المجتمع بأسره عدا الناحية الوقائية من المرض، ويتمثل ذلك في زعزعة استقرار الأسرة وأهمال الأطفال، والتقليد البليد للأخريات والعُجب بالنفس والمباهاة الفارغة المرهِقة وما يرافقها من تفريط في المال والخلق وحقوق الأزواج.

٥- الحضانــة:

وحضانة الطفل حق له على أمّهِ فمن الظلم أن تترك الأم أطفالها وعملها ذا الأهمية البالغة والمستوى الرفيع والمنسجم مع طبيعتها التي خلقها الله عليها والمكمل لحاجاتها النفسية بصفتها اماً فنراها تترك أمومتها وتتمرد على أنوثتها لتمارس عملاً خارج بيتها لقاء دراهم معدودات تذهب في الغالب لزينتها وتنقلها وتهمل أطفالها أو تتركهم للمربيات. فيُحرَم الأطفال من أمهم وحنانها وحضنها ورائحتها وينشأ الأطفال على غير طباعها وأخلاقها وتؤثر المربية في تكوين الطفل النفسي وميوله ونزعاته المستقبلية وأنّ كل شيء في الحياة يباع ويشترى إلاّ الحب والحنان فهو هبة من الله وفطرة.

---

(١) وردت الدراسة اعلاه في كتاب Perventive Medicine P. 484

فتستطيع أن تؤجر المربيات والخادمات ولكن لا تستطيع أن تشتري الحب والحنان.

والحادثة المشهورة التي وقعت في بغداد. عندما شاهدَ أحد أقرباء طفل ممزّق الثياب مُسوَّد الوجه ومربيته تستجدي به في شوارع المدينة فذهب من فوره الى البيت فلم يجده فتأكد أنَّه هو. فأخبر اباه وكان أبوه رجُلاً وجيهاً وذا مالٍ وافر. وتستغل المربية غياب الأب في العمل والأم في الوظيفة وتأخذه تستجدي به وتقضي الوقت وتعود به قبل عودة أمّهِ وأبيه فتغسل وجهه وتغير ثيابه وكأنّ شيئاً لم يكن.

وفي امريكا كانت احدىٰ المربيات تداعب الطفل في فرجه بحذائها المدبب المرتفع كل يوم. وشبّ الطفل وبدأت تظهر عليه علامات الأثارة والأنفعال كلّما رأىٰ امرأة تلبس ما يشبه حذاء المربية. وبعد العناء والتحليل النفسي توصلوا الى معرفة السبب.

وحوادث التزوج من الخادمات وتطليق الزوجات كثيرة لا تحصى.

وهذه الحقائق عاشها رجال ونساء في مجتمعنا وتعذبوا بها ولا زالوا كذلك يتعذبون دون أن يجرؤوا على أتخاذ القرار الصائب ويعيدوا الأم الىٰ البيت والأطفال والعناية بهم وتنشئتهم أصحاء في عقولهم وأجسامهم.

وقد غرّر المفتونون بالغرب المنبهرون بأنواره الساطعة وموسيقاه الصاخبة الى حد العمى والعجز عن التمييز، بالمرأة في مجتمعنا ودفعوها الـى ترك البيت والعمل خارجه في الدوائر والمكاتب وكل ميادين الحياة التي لم تخلق لها فلم تحصل المرأة من هذا كله الاّ علىٰ المعاناة والألم وتمزق الأسرة وأثقال كاهل الرجل بتحميله مسؤولية تدبير شؤون البيت أيضاً وزيادة همومه وأخيراً ربما خسرته زوجاً أو تعلّق قلبها بغيره ممن يحسنون الكلام الرخو وصيد المغفلات مجاناً فتنحرف والعياذ بالله.

٦- سلامة العلاقة الجنسية:-

عَنى الاسلام بسلامة العلاقة ونظافتها عناية لا تجدها حتى في احدث التعليمات الصحية العامة والشخصية وهذا من كمال الرسالة الاسلامية وانسانيتها، وانها الهية المصدر لم ينالها شيء من النقص في أي جانب كان من العلاقات الانسانية أو تغفلِ قضية ذات مساس بالانسان ورحلته بنشاطاتها

كلّها في هذه الحياة. ونقرأ الآن ذكر التفاصيل الدقيقة في الممارسة الجنسية.

قال رسول الله (ﷺ):

(اذا أتىٰ أحدكم اهله ثم أرادَ ان يعود فليتوضأ). [1]

وبهذا نصح الرسول (ﷺ) بغسل الفرج وتنظيفه من آثار الجماع وافرازاته، والتي يمكن ان تتكاثر فيه المايكروبات الضارة بصحة كلا الزوجين، وكثير من الفطريات والتي ينقلها احدهما للآخر اثناء الجماع، فترك افرازات الجماع على فرج الرجل عدة ساعات يجعله مرتعاً خصباً لتكاثر المايكروبات، فاذا عاود الجماعَ مرة ثانية نقل اعداداً هائلة فيها الى زوجته.

هذا زيادة على باقي مفردات الوضوء من غسل الأيدي والتي قد تكون تلوثت ايضاً، فضروري جداً تنظيفها قبل النوم لمن أراد تمام الوقاية.

أما غسل الوجه والأيدي والأقدام ففيه استجمام وراحة نفسية ومعاودة للنشاط.

وتنظيف الجلد بهذا الغسل تزال كل بقايا الافرازات التي اذا تركت على الجلد قد تؤذيه.

والجلد ذو مناعة قوية ولا تستطيع أغلب المايكروبات اختراقه مباشرة دون جِراح فيه أو قص أو تهتّك إلاّ ما ندرَ منها مثل مايكروب السيلان والزهري والامراض التناسلية وبعض المكورات العنقودية. Staphyllococcus (١)

الغسل: لم يكتف الاسلام بالوضوء بعد المواقعة، بل هذا شيء موقت لمن ارادَ العَود مرة ثانية، بل شرّع غسل الجسم كلّه، وألاّ تقبل عبادة من الزوجين إلاّ بعد غسل الجسم كله، وعلمهم الرسول (ﷺ) أن يمروا بأيديهم على ما وصَل من جسمهم فيدلكه ويزيل كل العوالق به وينظف جلده هذا المانع الواقي والسياج المدافع عن الجسم.

والغسل بعد كل معاشرة زوجية أو احتلام لقوله تعالىٰ:

﴿وأن كنتم جُنباً فأطهروا﴾ سورة المائدة /٧

وهذا الحكم للزوجين.

---

(١) العدوى بين الطب وحديث المصطفى / د. محمد علي البار.

وشرّع الغسل كذلك للحائض والنفساء لقوله تعالى :

﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فآتوهن من حيث امركم الله﴾ سورة البقرة /٢٢٢

يتطهرن من جريان الدم وأفرازات الرحم بعد الولادة ويغتسلن .

(فآتوهن من حيث أمركم الله) .

أي موضع الزرع من الحرث كما أسلفنا لتصان عملية أستمرار الحياة وحصول اللذة المشروعة للطرفين .

وقدّر الله سبحانه اللذة سبباً لبقاء الحياة وحفظها فكانت دافعاً الزامياً لا يستطيع الأنسان فك هذه العلاقة بين اللذة والأنجاب دون مخاطر تهدد حياته أو تنغصَ لذتَهُ فهو مأمور مدفوع أن يسير في الطريق التي رسمهَا الله له بأصولها وضوابطها وتمتعه باللذة وتحمل تبعات ثمارها من الأنجاب والتربية وحفظ الحياة .

فلسفة اللّذة عند الغرب :

وقد تفنن الغربيون وقلبوا المعادلة وجعلوا الأتصال بين الرجل والمرأة من أجل اللذة ، واللذة هي الغاية وأطلقوا للنفس العنان لتحصيل اللذة دون تحمل تبعاتها وتشبثوا بكل وسائل الأغراء لتأجيج الشهوات وأقتناص اللذات . وفسحوا المجال لكلّ الممارسات السليمة منها والشاذة الغربية وكان تجار اللذة من اليهود هم الدافعين للمجتمع الغربي الىٰ الحضيض فلليهودي أن يكسب المال مِنْ أيّ نافذة دخل وخاصة من الأمم والشعوب غير اليهودية دون أي وازعٍ كان من ضمير أو شرف أو خوف من الله ، ويحكي لنا القرآن سلوكهم هذا وتبريرهم لأنفسهم بأن لهم الحق في تحصيل المال من الأمم والشعوب غير اليهودية وأن لحق بهذه المجتمعات أفدح الضرر فالمهم هو الدخل (Income) في جيب اليهودي .

﴿ . قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ .[1]

وكان من نتائج الممارسات الجنسية الشاذة ما يأتي :

أجريت دراسة في مدينة يونالوا الأمريكية سنة ١٩٥٦ علىٰ عدد حالات الأصابة بسرطان المبيض عند النساء وكانت النتيجة كما ننقلها نصاً مع

(١) سورة آل عمران آية /٧٥ .

ترجمتها :

Where as cancer of the ovary is slightly more common in the upper scotonecor groups and decreas with decreasing social level.

أي يكثر سرطان المبيض في الطبقات ذات الدخل المرتفع وينخفض تدريجياً بأنخفاض مستوى المعيشة والسبب هو Marital Practices أي المعاشرات الزوجية الغريبة والشاذة.(١) وللتمترفين أمراضهم.

٧- الوراثـــة :

لم يغفل النظام الوقائي في الاسلام عامل الوراثة وهو يرسم بتعليماته سُبلُ الحياة الفضلى للانسان كما يريدها خالقه.

ولعوامل الوراثة التأثير المباشر في سلامة الانسان من الامراض والعاهات.

وان كثيراً من الامراض تنتقل بالوراثة من الآباء الى الابناء، كما ان اكثر قصور وظائف الاعضاء وأجهزة الجسم المختلفة يحتمل ان تنتقل الى الاولاد كمرض السكري وضغط الدم.

الآن. قارب العلم الحديث بقوانين الوراثة التي تم التوصل اليها معرفة حكمة اهتمام الاسلام وتوجيهاته في مسألة الوراثة وانتقال الصفات الوراثية بين الاجيال بفطرة الله التي فطرَ الناس عليها.

فقد توصل العلم الحديث الى معرفة دقائق الخلية والخلية الجنسية وكروموسوماتها التي تحمل الجينات، والجينات هذه تحمل الصفات الوراثية كافة وبرمجة حياة الانسان الجسدية والنفسية بتفاصيلها.

لقد علمنا الرسول (ﷺ) اذا اردنا الزواج ان نفكر في مستقبل الاجيال، وان نأخذ في الحسبان ذراري سترى النور، تحمل صفاتها الوراثية، الحسنُ منها والرديء، وعلّمنا (ﷺ) ان نختار الزوجة الصالحة المنجبة للاطفال، ومن اللواتي تقلّ فيهنّ اوتنعدم الامراض الوراثية حتى تسلم صحة الاولاد، لا بل تتحسن بتنحي الصفات الضعيفة في الجيل الجديد.

قال رسول الله (ﷺ):

---

(١) Preventive Medicine P.486

(تخيّروا لنطفكم فان العرق دسّاس). (رواه ابن ماجة).

وقال (ﷺ):

(تخيّروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا البُهم). (رواه الحاكم والبهقي).

وفي تقرير طبي مُعتمد وضعَ في مدينة نيوكاسل وجدَ أنَّ ٤٢٪ من حالات الولادة الميتة للاطفال سببها الامراض الوراثية.[1]

وفي احدى الدراسات تبين ان احتمالية الأصابة بالامراض السرطانية هو (٣ الى ١) بالنسبة للأسر السليمة، أي ان اصابات الذين يحملون عوامل وراثية اكثر ثلاث مرات ممن لا يحمل تلك الصفات.[2]

وليست الامراض الجسمية وحدها التي تنتقل بالوراثة بل بعض انواع السلوك والادمان على المخدرات والاجرام. حيث يزداد الاستعداد الوراثي لذلك وما تعوده من البيئة التي نشأ فيها، وما أدلّ على ذلك من حديث الرسول (ﷺ) إذ يقول: (إياكم وخِضراء الدِمن. فانها تلد مثل أبيها وأمها وخالها). (رواه الدارقطني والواقدي)

والدِمن هي مكان رمي القاذورات والفضلات.

وخضرَاء الدمن هي الشقائق التي تنبت احياناً في هذه القاذورات فتجدها حلوةً نظرة في وسط قذر.

وسأل الصحابة الكرام رسولَ الله (ﷺ).

(وما خضراء الدِمن يا رسولَ الله؟)

قال (ﷺ):

(المرأة الحسناء في المنبت السوء).

جهيلة. ولكنها من اسرةٍ لا تقيم للاخلاقِ وزناً، وسرعان ما ستلدُ لك مثل أبيها وأمها، وينشأون على غير صفاتك وخلقك، ولا تتوهم انك تستطيع اصلاحها بهذهِ السهولة، فسيغلبُ ابناءها فطرتُهم، وعواملُ الوراثة في دمائهم، بل تجاوزها الى الزواج من العفيفة صاحبة المنبت الحسن الطيب والاسرة الفاضلة

---

(١) الطب الوقائي لدافدسون.

(٢) Preventive Medicine

وبعد توصل العلم الحديث الى وسائلَ للكشف عن بعض الامراض والعاهات الوراثية وغير الوراثية وتحديدها نجد من الافضل للشباب المسلم ان يستفيدوا من هذه الفرصة ويجروا الفحوصات التالية: -

١- فحص الصدر بالأشعة للتأكد من سلامة الزوجين من السلّ.

٢- اجراء فحوصات الدم: Complete Bloodpicture وفحص RH للتناقض بين دم الأم ودم الأب، فيموت الطفل إن وجد التناقض بعد الولادة مباشرةً إن لم يتم تبديل دمه أو زرقه ببعض الادوية الحديثة النادرة.

٣- اجراء فحص المني وفحص رحم الفتاة والهرمونات للتأكد من عدم العقم والانجاب، وعدم تورط عقيم مع منجبةٍ! تعيش عمرَها معه كمداً وهماً وبالعكس. ومن الافضل آنذاك للعقيم ان يتزوج عقيمة.

٤- اما الامراض الوراثية التي يمكن معرفتها بالفحص والتأكد منها فهي امراض القلب الوراثية[1] او الفتحات الوراثية بين تجاويف القلب، أو القلب الناقص، او تشوهات خلقية في الرئة والصدر.[2]

زواج البكـر:

رغّبَ الرسول (ﷺ) في الزواج من الأبكار، فقال لأحد اصحابه:

(ألا من بكرٍ تداعبها وتداعبك) وقال:

(هلاّ بكراً تلاعبها وتلاعبك) وقال:

(تضاحكها وتضاحكك) (اخرجه ابن ماجة ومسلم والنسائي).

وتوصلت الدراسات الحديثة والاحصائيات الطبية ان التشوهات الولادية اكثر ما تحصل في ولادات الامهات كبيرات السن.[3]

وتعاني النساء اللواتي تزوجن في سن متأخرة من سرطان الثدي بنسبة أعلى من اصابة الصغيرات.[4]

وقد وعى المسلمون الاوائل هذه الحقائق عن الرسول (ﷺ)، فيروي لنا ابراهيم الحربي في غريب الحديث ان عمر (رض) قال لآل السائب (اغتربوا ولا تضووا) اي (تضعفوا) وقد عايشنا أسراً كثيرة بيننا ضعف أجسادهم،

---

(١) تسمى Tetralogy Of Faloat.

(٢) محاورة مع الدكتور ناطق محمد جواد النعيمي - الموصل.

(٣) Medicine Davidson

(٤) Preventive Medicine P.488

وتفشت فيهم الامراض الوراثية كالبُهل والشيزوفرينيا، وانحطاط الخلقة والتشوهات كادت ان تقضي على تلك الأسر. وبقيت بناتهم عوانس دون زواج بسبب تلك التشوهات لأنهم استمروا عدة أجيال يتزاوجون بينهم حفاظاً على الاموال أن تخرج الىٰ ايدي غيرهم فبقي المال دون فائدة لذهاب الصحة واعتلال العقل. فكانوا صرعى الشح والبخل.

التدليس في الزواج

الحياة الأسلامية قائمة على الصراحة والصدق في كل جوانبها لذا يعتبر تدليساً أي غشاً وخداعاً أي مرض أو نقص في الخلقة في احد الزوجين ان لم يبده للآخر فترة الخطوبة وقبل الزواج وعلىٰ الاهل تولي ذلك بأنفسهم وتبيان العيوب الخلقية والأمراض المزمنة أن وجدت في الفتىٰ أو الفتاة.

وتروي لنا السنة أن النبي (ﷺ) تزوّج أمرأة من غفار فرأىٰ في كشحها بياضاً فقال لها ألحقي بأهلك.

اذاً من حق الرجل أن يطلق زوجته ومن حقها طلب الطلاق منه ان كان في الأمر غش وخداع.

ونهى الرسول (ﷺ) عن تزويج أنواع من مرضى النساء جاء ذكرها في حديثه الذي أخرجه مالك.

قال (ﷺ):

(أربع لا يجزن في النكاح المجنونة، والمجذومة، والبرصاء، والعقلاء).[1]

والمجنونة لا تتحمل مسؤولية نفسها فكيف بمسؤولية البيت والزوج والأطفال.

والجذام والبرص من الأمراض المستديمة والتي لا يرجى شفاؤها وقد تعدي غيرها.

والعقلاء التي لم يكتمل نمو جهازها التناسلي فيتعذر زواجها ليأخذ كل انسان نصيبه من الدنيا عن قناعة ورضى وبالأسلوب الصحيح دون أستغلال يأخذ كل أنسان نصفه من الجنس الآخر دون أستعلاء أو طمع.

---

(١) نقل هذا الحديث وشرحه ايضاً الدكتور احمد شوقي الفنجري في كتابه الطب الوقائي في الاسلام. وقد أخذته عنه.

والأسلام يسبق الأحداث دائماً بأن يرسي قواعد الحياة على أسس متينة من دون بؤر ساخنة تعكر صفو الود الذي أراده الله بين الزوجين أو قنابل موقوتة سرعان ما تنفجر بأكتشاف أحد الزوجين نقطة ألغش في الآخر وما أروع هدي الرسول (ﷺ) وعدله فيما روته أسماء بقولها:

جاءت امرأة الى النبي (ﷺ) فقالت يا رسول الله أنّ لي أبنة عريساً أصابتها الحصبة فتمزّق شعرها أفأصِله فنهاها الرسول (ﷺ) وقال لها:

(لعن الله الواصلة والمستوصلة) رواه مسلم.

لو عرض الأمر على كثير من الناس لقال دون تفكير وبدافع الرحمة بالفتاة نعم فلتصل شعرها أو تستعير لها شعراً (باروكة) حتى يتم الزواج.

ولكن الشريعة الاسلامية لا تحرّكها العواطف والأنفعالات الموقتة أو مصلحة فرداً أو فئة معينة بل هو العدل المطلق ممن رَفع السماء ووضع الميزان. ميزان العدل في كل شيء.

لذا أراد الأسلام أن يبني حياةً مستقرة صادقة ويكون الزواج زواج المثل والكفاءة لا زواج التدليس والغش من الطرفين.

أما أذا ارادت أن تتزين لزوجها وهو يعلم فلا مانع من لبس الباروكات الملونة كما تلبس أنواع الثياب والأقراط والقبعات.

٨- الرضاعـــة:

أقرّ الأسلام الرضاعة حولين كاملين كما جاء في الآية الكريمة ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يُتِمّ الرضاعة﴾ سورة البقرة / ٢٣٤

والرضاعة من ثدي الأم حق للطفل وضرورة لسلامته إلّا اذا تعذر ذلك بسبب مرض الأم أو فقدانها. وقد ثبت الآن أن الأطفال المعتمدين على الحليب المجفف أكثر عرضة للأمراض والأسهال من غيرهم وأنهم يفقدون أسنانهم مبكراً. ويكونون قليلي المناعة.

أذ أنّ حليب الأم بمحتوياته ونسب مكوناته المتوازنة الملائمة لحاجة الطفل ونظافته ودرجة حرارته هو الأمثل والأفضل لحياة الطفل.

أما بالنسبة للأمهات اللواتي يرضعن أطفالهن الحليب المجفف فأحتمالية الأصابة بسرطان الثدي تكون منهنّ اكثر من المرضعات.

كما جاء في التقرير الآتي :

Ingeneral the Incidence of brcast Cancer high In the Upper Socioeconomic Groups and Gradualy deminishes with decreasing Social Level.

أي أنّ نسبة الأصابة بسرطان الثدي ترتفع في المجتمعات المترفة أقصادياً وتقل تدريجياً حسب الانحدار الطبقي لمستوى المعيشة ويديهي أن السبب هو عزوف نساء الطبقات المترفة عن الرضاعة وترك تلك المهمة للمربيات على الحليب المجفف. ويؤدي ذلك الى تعطيل الأثداء عمّا خُلقت له مما يزيد قابلية التليف والأورام غير الحميدة أيضاً.

الأخوات من الرضاعة :

حفاظاً على الاجيال قوية سليمةً خالية من الأمراض الوراثية، ورغبة في الزواج من بعيدات النسب، فقد حرّم الاسلام الزواج من الأخت من الرضاعة، وفي الغالب تكون الرضاعة بين الأقارب، وزواج الأقارب قد يؤدي الى انتشار الأمراض الوراثية، هذا سبب للتحريم.

وسبب آخر من اسباب التحريم هو الشعور بالأخوة من قبل المتراضعين، فيعزف احدهم عن الآخر، وتقل الرغبة الجنسية رغبة بعضهما في بعض، وكثيراً ما شاهدنا شباباً يرفضون الزواج من قريباتهم اللواتي تربين معهم، حتى لو لم تكن بينهم رضاعة بقولهم : إنّا نراهنّ كأخواتنا!. كذلك البنات لا تراهُ إلّا أخاها، فترفض الزواج منه، وذلك من حقها.

ولأسباب اخرىٰ لم يدركها علمنا اليوم ونتركها لمستقبل الأيام تكشف حكمة التشريع باستمرار.

٩- العقم :

هو عدم قدرة المرأة او الرجل على الانجاب، ولاسباب كثيرة تتعلق بالرجل، عندما تكون نسبة عالية من الحيوانات المنوية ناقصة النمو، بطيئة الحركة او مشلولة أو ميتة، فلا يصل البويضة منها احدٌ وتخفق في تلقيح البويضة وتكوين الجنين.

أو ربما تكون قناة فالوب عند المرأة مسدودة، فلا تنزل البويضة الىٰ

---

(١) Preventive Medicine P.486

الرحم لتفوز بالحيمن القوي، أو ربما يكون جدار الرحم ضعيفاً فلا تنبت فيه البويضة الملقحة، او ربما الهرمونات الجنسية الأنثوية تقل نسبتها عند بعض النساء فيخفق المبيض في طرح البويضة اويطرحها غير مكتملة فتفشل عملية التخصيب.

وقد يفيد العلاجُ الرجلَ والمرأة ويعودان منجبين ويمنحهم الله الذرية والأمل.

طفل الأنابيب: [1]

قبل سنوات وبعد نجاح تجربة طفل الأنابيب، خَرجَ كُتَّابُ نزقون من اصحاب الأقلام الرخيصة غير الواعية، بجملة كلام لا أساس له من الصحة، وهو الى التهريج أقرب منه الى المنطق السليم.

فاحدهم يقول: كيف ولمن يُنَسبُ الولدُ؟ والآخر يقول كيف سيرثُ؟ والآخر خرجَ بزينته يتضاحك، وكأنما وقعت يده على ثلمَةٍ في الدين أومطعن طال انتظاره له. فيسأل بشماتة وبلاهة الغبي في غير موضع شماتة فيقول: ما رأي الاسلام في ذلك، وما رأي علماء المسلمين في حقوق المولود؟

ولنشرح العملية ببساطة:

تؤخذ بويضة الأم بوساطة انبوبة الحقنة من جدار البطن الى قناة المبيض، وتسحب البويضة في حقنة، ويصبّ عليها ماء الرجل الأب، وتتم عملية تلقيح البويضة والاخصاب، ثم تبدأ البويضة بالانقسام، وبعد ٤٨ ساعة يتم نقلها الى رحم الأم مباشرة. [2]

فالاب معلوم والام معلومة، واعيدت البويضة الملقحة الى الرحم فيتعالج العقم عند المرأة، هذه الحالة الاولى.

فالمولود اذن هو ابن أبيه وأمه، ويحمل صفاتهما الوراثية، والعلم هبة الله الخالق للانسان ليستفيد منه ومن وسائله.

والحالة الثانية للعقم عند المرأة:

عندما يكون جدار الرحم ضعيفاً وغير مؤهل لتعلق النطفة المخصبة به ونحوها فتسقط، فتكون المرأة عقيماً ايضاً.

(١) ناقش الدكتور احمد شوقي الفنجري هذا الموضوع باسهاب في كتاب الطب الوقائي في الاسلام لمن يريد الأستزادة.

(٢) نفس المصدر اعلاه.

في هذه الحالة تؤخذ بويضة المرأة وتلقح بالطريقة نفسها من ماء الرجل ثمّ تزرع البويضة المخصبة في رحم أمٍّ ثانية في رحمها استعداد للحمل. وتظهر عليها علامات الحمل، وتعمل الغدد كافة في الجسم، وكأنها حامل فتكبر الأثداء، ويدر الحليب، ويكون حملاً طبيعياً، ثم تلده وتسلمه الى امّه وأبيه الشرعيين، فهي قد حملته عوضاً عن أمهِ.

ما رأي الشريعة الاسلامية في طفل الانابيب؟

كما رأينا في الحالة الاولى ينتسب طفل الانابيب الى امهِ وأبيه، وقد حملته امه وولدته، فلا يوجد وجهٌ للتحريم مطلقاً وهو ابن شرعي لأبويه.

وفي الحالة الثانية عندما تكون التي حملت به غير أمّه، بل امرأة ثانية، فلنعتبرها بديلاً للحاضنة أو لرحم الأم، فهي كالأم من الرضاعة سابقاً، وهي اليوم الأم بالحمل والحضانة في الرحم أي هي أمّ اخرى له.

وهذه ليست فتوى مني، لكنه تبسيط لعلماء الشريعة والفقهاء ليقولوا رأي الشرع في ذلك. وفعلاً لقد ناقش العلماء المسلمون هذه الحالة، ومنهم مَنْ افتى بجوازها مثل الشيخ مصطفى الزرقا. ومنهم رآها مخالفة للشرع مثل الشيخ علي الطنطاوي. (راجع فتاوي الشيخ علي الطنطاوي).

فالطفل في الحالة الثانية يحمل الصفات الوراثية لأمه وأبيه الأصليين ويحمل نسبَهُ الصحيح اليهما ايضاً. أما قوله سبحانه وتعالى:

﴿إنْ امهاتهم الا اللائي ولدنهم﴾ سورة المجادلة /٢

فهذا للوضع الطبيعي، فلا تكون أماً للرجل محرمة عليه إلّا امّه التي ولدته، وكذلك إمه من الرضاعة.

وعندنا هنا تكون أمه التي أخذت البويضة منها، وامه الحاضنة له في رحمها ايضاً التي ولدته، محرّمة عليه كالأم من الرضاعة.

أما الحالة الثالثة: فهي ما ذهب اليه الغربيون الآن من اعدادهم حيامن وبويضات. ومن يُرد الانجاب، يُزرع في رحمها بويضة مخصبة من غير زوجها الشرعي

هذه الحالة، الحرامُ فيها بيّن لأختلاط الأنساب ونسبة الانسان الى غير أمه وأبيه الحقيقيين.

وقد فتح الله سبحانه نافذة الرحمة بطفل الانابيب على كثير من الأسر

التي تمضي أيامها ثقيلة مملَّة بلا طفل تناغيه أمه، ويداعبه أبوه.

وأنّ قسماً من هذه الأسر مستعدة للتنازل عن كل ثرواتهم من اجل طفل!!

هذه سنة الله في خلقه بعنفوان مشاعر الأمومة والأبوة التي استودعها الله في الانسان.

فلِمَ نُحرم منها آباء وأمهات طال انتظارهم للفَرَج، وما جعل الله سبحانه علينا في ديننا من حرج إن لم يكن في الأمر ضرر أو ضياع نسب او تجاوز لحدود الشريعة السمحاء، أو تجرّؤ على الله سبحانه وتعالى:

فلا شيء يخرج عن ارادته، وعندما ارادَ للعقيم أن يمنحه الولد، سهّلَ له سُبُلَ العلاج والحمل بطريقة الأنابيب.

قال الله سبحانه:

﴿يهب لمن يشاء أناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً واناثاً، ويجعل من يشاء عقيماً﴾ سورة الشوري /٤٩ -٥٠.

فعندما يسّرَ الله سبحانه سبل الانجاب لك جعلك منجباً ولم يجعلك عقيما.

١٠- نقل الدم وزرع الأعضاء[١]

قلنا أنّ من مقاصد الشريعة الأسلامية حفظ الحياة وحفظ الدين.

اذاً يعتبر عملاً صالحاً نتقرب به الى الله سبحانه كل ما من شأنه انقاذ حياة أنسان وأبعاد الموت عنه.

قال سبحانه:

﴿ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعاً﴾.[٢]

فمن نقل الدم وأعطائه للمحتاج من الذين يصابون بجراح نازفة في الحروب أو الأصطدامات أو الأمهات أثناء الولادة أو مرضى سرطان الدم وغيرهم، الى نقل وزرع الأعضاء من المبتبرعين المتوفين حديثاً بعد وصيتهم أو الأحياء الى الآخرين كنقل القلب والرئة والكلى. كل هذا ممكنٌ ومأجور صاحبه ويُقرّه الشرع على ما فعل.

---

(١) ناقش الموضوع بالتفصيل د. احمد شوقي الفنجري في كتاب الطب الوقائي في الاسلام والفكرة مستفادة منه.

(٢)

إلاّ

عملية زرع المبيض وقناة فالوب من امرأة منجبة الىٰ أخرىٰ عقيم والمبيض هو الذي يفرز البويضات التي يكون منها الجنين الذي يحمل صفات الأم. وبطبيعة المبيض يستمر بافراز البويضات التي تحمل صفات صاحبة المبيض الأصلية فهو يعيش في جسم الأم الجديدة لكنه ينتج بويضات تحمل صفات الأم القديمة.

هذه القضية نطرحها أمام علماء الشريعة للدراسة والتحليل وأعطاء رأي الشرع فيها.

يقول الدكتور احمد شوقي الفنجري: (اعتقد أننا يجب أن نتريث طويلاً قبل أن نصدر حكماً في هذه القضية).

التخنث والاسترجال:

تكون قيادة الاسرة وتوجيهها في المفهوم الاسلامي بيد الرجل، انطلاقاً من الترغيب في تزويج صاحب العقل والدين، وعلى افتراض زواج الكفء، قال سبحانه وتعالى:

﴿الرجالُ قوامون على النساء﴾ سورة النساء / ٣٤.

وبقوامة الرجل على مسؤولية البيت، وتوجيه الاطفال والزوجة، يريح الزوجة من مشاكل كثيرة ولا تلائم طبيعتها.

فالأمّ الرقيقة الرؤوم، لا نتصورها تحمل عصاها لتضرب الاطفال، بل تخاطبهم بمقاطع الود والدلال.

فللأب دوره في توجيه الاطفال وتقويم سلوكهم بهيبته المطاعة التي أنضجتها الاستقامة، وسدّدها العقل.

واية محاولة من المرأة لأخذ دور الرجل في حضوره، هو ضرر بمصلحة الأسرة ومستقبل الاطفال، وتخليها عن طابعها الأنثوي المشوب بالضعف والدلال يفقدها أهم ما تملك من وسائل تستطيع التأثير بها في زوجها واولادها، أمّا ان كان الزوج غير كفء لزوجته وصفاتها اوفر، وقوة شخصيتها اكبر، فلها ان تتولىٰ زمام الأمر وتوجيه الأسرة بحكمتها. وان تتخذ القرار وتلقيه في مسامع زوجها، فتوجهه، وتوجه من خلاله الأسرة وتعينه وتشدّ أزره، لا

تتمرد عليه وتسخر منه .

وفعلاً هناك رجالٌ، نساؤهم أجدرُ منهم بادارة الأسرة. وكذلك الرجل فبتخنثه وتقليده للمرأة بالرقة الزائدة والتردد، وعدم اتخاذ القرار سيسيء الى نفسه وزوجته، فيما اذا تنازل عن موقعه القيادي للأسرة، وتوجيه افرادها ارضاء لزوجته، فستتولى الزوجة حتماً ذلك ان كانت من ذوات الشخصية المسيطرة، وعندئذ ستتيه الاسرة في التردد والانفعالية في علاج المشكلات التي تواجهها، وتضخيم ما هو تافه، وتهويل الأمر الجَلَل الذي يؤثر في سلوكية الاولاد والبنات ومستقبل حياتهم .

أو قد تحاول المرأة الاصطدام بالرجل عندما لا يتنازل عن مكانته، فهي تريد الذهاب للنزهة وهو متعب يريد الاستراحة، وترهقه صعوداً بطلباتها، ولا تقدّر احواله المادية، وتريد دوماً منه المزيد .

فتريد ان تزور أمها وتهجر أمَّهُ. ولا يكادُ ينطفيء الخصام حتى يتجدد .

وعندما تكون لها الغلبة في الاسرة، نراها تأخذ وتعطي وترسم مصير كل فرد من البنات والأولاد. وقد يعجبها فلان من الناس وتريد أن تزوجه ابنتها، فتعمد الى تطليقها من زوجها، وتزوجها لآخر وبكل سهولة، وغداً تكرهُ أو تحبّ وبسرعة، وتغير قرارها .

ومحاكم الاحوال الشخصية مليئة بالقصص الغريبة من سوء الحال، وتهدّم الأسر.

وعندما تكون القوامة للرجل الكفء يحصل الاستقرار المنشود وتعيش الاسرة بهدوء وسلام .

لذا قال الرسول (ﷺ) :

(لعنَ الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال). (رواه البخاري) .

التشبه بالمظهر محظور، والتشبه بالسلوك محظور، وهو اخطر وأهم على مستقبل الفرد والاسرة .

ويا لخيبة الأمة! التي تريد العمران والنهوض والبناء وشبابها القوي يتخنث ويلبس القلائد والأساور، ويضع المساحيق على وجهه ويقلّد الفتيات

اللاتي يتمايلن في مشيتهنّ.

ويا لخيبة الأمة! بالمسترجلات اللواتي يدخلْن كلّ الميادين منافساتٍ للرجال، فلا يفلحن في المنافسة، ويفقدن كثيراً من انوثتهنّ وامومتهنّ التي يمنحنها للأجيال في محاضن التربية في البيوت والتي لا يستطيع الرجال منافستهن فيها.

١٢- المودّة والرحمة:-

عني الاسلام بالعلاقة الأنسانية هذه بين الرجل والمرأة وأشار (ﷺ) الى تفاصيل دقيقة في الممارسة الجنسية وأدب اللقاء لما لها من تأثير نفسي في استقرار الرجل والمرأة والأنسجام بينهما فقد بنى الله سبحانه الحب بينهما بالخلقة بما أستودع جسم الانسان من الهرمونات الجنسية الذكرية والأنثوية التي تفرز من الغدد في الدم مباشرة وهذه الأفرازات (الهرمونات) هي المسؤولة عن الرغبة الجنسية وتحبيب كل جنس الى الآخر.

قال سبحانه:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ سورة الروم /٢١

اذاً من صفات هذه العلاقة أن تكون مبنية على الحب والمودة لذلك اعطى الأسلام المرأة كامل الحق في أمر موافقتها على الرجل الذي يتقدم لها خاطباً، حتى تبنى الأسر على الحب والمودة فيحصل الانسجام وتتحقق السكينة.

ومظلومة الأسر التي حُرمت السكينة وغاب عنها الود وخيمت عليها الكآبة بلياليها الطويلة المملة لأنها بنيت على الطمع أو السمعة فقط أو الأضطرار والقهر. ولا تتمخض الأسر التي غاب عنها الحب إلّا عن المهاترات والأسفاف بين الأم والأب فيضيع الأبناء بينهما ثم تتهدم الأسرة وينشأ الأطفال وفي نفوسهم لوعة الماضي وذكريات المآسي التي تركت أسوأ الأثر في نفوسهم وقد تظهر في سلوكهم وتصرفاتهم وهم كبار بشكل يؤذي المجتمع ويعذب المحيطين بهم ومن يخالطهم.

زواج الأكــراه:-

إن الزواج المبني على الأكراه قد يكون باطلاً، ومشهورةٌ في كتب السيرة تلك الفتاة المسلمة التي جاءت الى الرسول (ﷺ) تستفتيه في أمر زواجها.

روى احمد والنسائي وابن ماجة عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: جاءت فتاة الى رسولِ الله (ﷺ) فقالت: إنّ أبي زوّجني ابنَ اخيه ليرفع بي خسيسته. قال! فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أجزتُ ما صنعَ أبي... ولكني أردتُ أن اعلِّمَ النساء أنْ ليس الى الآباء من الأمر شيء.

زواج الشــغار:

نهى رسول الله (ﷺ) عن زواج الشغار، اي زواج البدائل، كما يسميه عامة الناس اليوم، والعشائر في الريف وخارج المدن. وهو ان يُزوج الرجل أخته اوبنته لآخر، ويتزوج من أخته أوبنتهِ من غير ان يكون لكل واحدة منهنّ مهر معيّن.

وفي حالة عدم انسجام احدهما مع زوجته وافتراقه عنها، فان الاخرى تفترق تلقائيا رغم انسجامها مع زوجها فتنهار أسرة مستقرة من غير سبب، فتتعقد احوال المجتمع وتزداد همومه وتغيب السعادة عنه.

وأوصى الرسول (ﷺ) أن يزوج الرجل صاحب الخلق والدين، ويفضل على غيره بما يوحي الدين الى اتباعه من رحمة وقابلية تحمّل وتعقّل وصبر تحتاجه الحياة الزوجية لدوام الاستقرار.

(إذا أتاكم من ترضون خُلُقَهُ ودينه فزوجوه).[١]

فالخلق يشمل السلوك والتعامل الطيب مع الناس، ومجمل الصفات الشخصية من كرم وغيرة وقوة رجولة واتخاذ قرار وصبر ورجاحة عقل وأناة.

والدين يتضمن الايمان ومستلزماته التعبدية والتزام حدود الشريعة الاسلامية، والانقياد الى الحق، وتجنب الهوى المذموم.

أما المرأة. فقال الرسول (ﷺ):

(تزوجوا الودود الولود).[٢]

---

(١) رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة وابن عدي عن ابن عمر والبيهقي عن أبي حاتم المزني، ورمز اليه السيوطي بالصحة.

(٢) رواه ابو داود والنسائي.

أي تخيّروا لأنفسكم مَنْ يغلب عليها التودد والدلال والطيبة والحنان، بدل الصَلَف والعجرفة والكبرياء والتفاهة في التفكير. مع الأخذ بالاعتبار قناعتها ورضاها.

قناعة المــرأة: -

روي ابن عباس أنَّ جماعة جاؤوا الىٰ رسول الله (ﷺ) قائلين: يارسول الله: عندنا يتيمةٌ جاءها موسرٌ ومعسرٌ، ونحن نهوىٰ الموسر وهي تهوى المعسر، فايهما نزوجها؟

قال (ﷺ):

(لم يُرَ للمتحابين مثل التزويج) (اخرجه مسلم وابن ماجة والنسائي).

عكس ما كان يفعل عرب الجاهلية اذا اشتهر عندهم أن فلاناً يحبّ فلانة منعوا تزويجهما، وحرموهما من بعضهما.

(وكان للصحابي الجليل ثابت بن قيس زوجه اسمها جميلة بنت عبدالله. فجاءت رسول الله (ﷺ) قائلة:

لا أنا ولا ثابت يجمع رأسي ورأسه شيء... والله ما أعتبه في دين ولا خلق، ولكني اكره الكفر في الاسلام، وما أطيقه بغضاً. أني رفعتُ جانب الخباء، فرأيته أقبلَ في عدةٍ من الرجال فاذا هو أشدّهم سواداً واقصرهم قامةً واقبحهم وجهاً.

فقال لها الرسول (ﷺ):

أتردين عليه حديقته قالت: أردها وأزيده عليها قال (ﷺ):

أما الزيادة فلا، وأحلّ طلبها للطلاق) رواه البخاري.

ولا قيمة لحياة لا تبنى على الحب بين الرجل والمرأة فهو أسرٌ أذنْ وليس حياة زوجية كما أرادها الله سبحانه.

وروىٰ البخاري في صحيحه:

أنّ امرأة أسمها بريرة طلبت الطلاق من زوجها لأنها لا تحبه وكان زوجها يحبها حباً شديداً وكان بعد فراقها يمشي خلفها في الأسواق ودموعه تسيل على لحيته فأشفق الرسول (ﷺ) عليه وقال لعمه العباس:

(يا عباس الا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً؟ ثم طلبها الرسول وقال لها:

لو راجعته فهو أبو ولدك فقالت في أصرار أهو أمرٌ يا رسول الله قال (ﷺ) لا أنما أنا شفيع قالت: لا حاجة لي فيه).

فكامل الحرية للرجل والمرأة في أختيار الزوج الآخر لتستقر الأسرة ويدوم الود ويرفلا بالسعادة وينشأ الأطفال أصحاء مستقرين عقلياً ونفسياً.

معاملة الزوجة والرفق بها:

استنكر الرسول (ﷺ) تصرف رجالٌ من قومه في ضرب نسائهم وتسخطهم عليهنَّ دون مبرر إلّا لدواعي الهيبة الفارغة في غير محلها والتي ورثها عن أبيه في الجاهلية عندما كان أبوه يسيء معاملة النساء ويعتبر هذا من الرجولة بمقاييس الجاهلية. لهؤلاء قال الرسول (ﷺ):

(يظل احدكم يضرب زوجته ضرب العبيد ثم يدعوها الى فراشه فيقبلهَا ويُعانقها ولا يستحي) أخرجه ابن ماجة.

ومن عنايته بالمرأة (ﷺ) قال يوصي اصحابه:

(رفقاً بالقوارير. .)[1].

والقوارير سريعة الكسر، والمرأة بطبيعتها سريعة الانفعال، فكلمة تضحكها واخرى تبكيها من زوجها ان كان جاداً.

وليعلم الرجال المسلمون ورجال العالم اجمع عناية الاسلام بحسن المعاملة للمرأة زوجاً وأمّاً وأختاً، وتهيئه الجو المناسب للعيش السعيد، لا سلعة في واجهات المخازن.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله (ﷺ):

أكملُ المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم. (رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه).

وعن أم المؤمنين عائشة (رض) قالت:

قال (ﷺ):

(خيركم خيركم لأهله، وانا خيركم لأهلي) (رواه الترمذي عن عائشة

(١) حديث مشهور على الألسنة، لم نقفه على تخريجه.

وابن ماجة عن ابن عباس والطبراني عن معاوية، ورمز اليه السيوطي بالصحة).

وورد عنه (ﷺ) قوله:

(خدمتك زوجك صدقة) (رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر).

وقال (ﷺ):

(ألا وحقهنَّ عليكم ان تحسنوا اليهنَّ في كسوتهنّ وطعامهنّ) (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

وفي خطبة الوداع أوصى الرسول (ﷺ) بالنساء فقال:

(. استوصوا بالنساء خيرا) (رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة).

والاسلام أعطىٰ كلّ ذي حقٍ حقه، فللوالدة حقها، وللزوجة والبنت حقها في الموافقة على اختيار زوجها كما سبق.

وأوصى الزوجات المسلمات ألاّ يطمحن الى ما ليس لهنّ فيهِ من حق فيخسرنَ ازواجهنَّ ويعشنَ حياةً مضلّلة بالتوجيه الغربي الفاجر.

١٣- طبيعة الممارسة الجنسية:

ولكي يدوم الود، وتطيب الحياة ويأخذ كل من المرأة والرجلِ حظّهُ من الارتواء الجنسي الفطري وتستقرّ نفوسهم. لنقرأ تعليمات الرسول (ﷺ) في هذا المجال:

في حديث جابر الذي يرويه البخاري ومسلم:

(نهى الرسول (ﷺ) عن الوقاع قبل الملاعبة).

فهو يعلمنا انه لابدّ من المقدمات للمواقعة بتحفيز الرغبة لدى الزوجة ومداعبتها (ملاعبتها) والتمهيد بالحركة واللمسة والكلمة الحلوة الجميلة لكي تكون اكثر استعداداً للمشاركة والانسجام، ولأيصالها الى ذروة الرغبة مع شريكها، فتحصل هي ايضاً على القناعة والارتواء الجنسي والرضى.

لا أن يقع عليها فيأخذ منها حاجته ويمضي دون أن يلتفت الى شريكته.

(فالملاعبة فضلاً عن كونها عودة الى ملاحة الصبا والطفولة إلاّ انها تمكّن الحب من قلبيهما، وتبعد عنهما المتاعب.

وهنا يقول نبينا الأكرمِ (ﷺ) منبهاً:

(اذا جامع احدكم اهله فليصدقها، ثم اذا قضى حاجته قبل ان تقضي حاجتها، فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها). (رواه عبدالرزاق في جامعه وأبو يعلى الموصلي).

نعم انها لحكمة بالغة واشارة ذكية لحالة نفسّية يمرّ بها كثير من الناس في حياتهم الزوجية، انها حقاً المشاركة الوجدانية والحفاظ على المشاعر والاحاسيس وصدق العواطف، فلا انانية ولا استئثار للرجل بامتاع الجنس وحده، لأنه هو الذي يتحكم في العملية، وانما يتمتع الطرف الآخر بقدر استمتاعه هو نفسه). [1]

التسمية عند المواقعة :-

علمنا رسولنا الأكرم (ﷺ) ان نبدأ كل عمل خير باسم الله . . ومن هذه النشاطات . مواقعة الرجل زوجته . .

وعند ذكر الله تعالى تستقر النفس وتهدأ الانفعالات، ويغيب التوتر النفسي، ويستطيع الرجل ان ينسجم في خيمة الألفة هذه مع زوجته، ويمنحها الاستقرار بعد المداعبة في امتزاج وتداخل تام تذوب فيه المشاعر على ان يكون الجماع متوجاً لكل هذه التحرشات باروائهِ الحسيّ العميق). [2]

والأدب واللباقة في مخدع الزوجية مطلوب ايضاً كما هو مطلوب في كل وقت، فلا يصل الى درجة الاسفاف والبذاءة، والتلميح افضل من التصريح .

قال رسول الله (ﷺ) :

(لو أن احدكم اذا أتىٰ اهله قال بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولدٌ لم يمسسه الشيطان). [3]

وهذه الاشارة من الرسول (ﷺ) جدُّ مهمة، اذ الحالة النفسية للوالد مهمة اثناء اللقاء ليتم الانسجام التام بين الزوجين وربما على مستقبل الجنين وشخصيته .

ان هذا الموضوع لم تتناوله دراسة من قبل ولم ينتبه اليه احدٌ الا

---

(١) عن كتاب اعجاز الطب النبوي - بتصرف - للسيد الجميلي .
(٢) اعجاز الطب النبوي / للدكتور السيد الجميلي .
(٣) رواه البخاري ومسلم .

المصطفى (ﷺ).

فالاستقرار النفسي او الهلع والتمزق والحيرة، كل ذلك - ربّما - يترك اثره في مستقبل الاولاد في الحياة.

١٤- البرود الجنسي عند الرجل والمرأة:

البرود الجنسي عند الرجل والمرأة ظاهرة يشكو منها كثير من الرجال وعلى المرأة المسلمة، ان تدرك هذه الناحية جيداً، ولا تعمل على ارهاق زوجها بتمنّعها عنه مما يضطره مع مرور الأيام الى كراهيتها والانصراف عنها.

ولتعتبر أن هذا حق طبيعي له كالطعام والشراب، ولا يجوز لها التقصير فيه بايّ عذر كان عدا المرض.

وقد يقوده سلوكها هذا الى التطلع للزواج من غيرها، وان لم يستطع الزواج من غيرها فسيعاني منها، وتدّب بذور الشقاق بينهما، وتتفجر المشاكل لأتفه الاسباب.

وقد إكدّ الرسول (ﷺ) السماح للمرأة وترك مواقعتها في حالة المرض، مراعاةً لتوعكها وحالتها النفسية، فوق احتمالية العدوى منها، وقد روي ابو نعيم في كتاب الطب النبوي:

(أن النبي ﷺ كان اذا رمدت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ). [1]

واعتبر الاسلام بعد ذلك مطلب الزوج هذا شرعياً، وباستجابتها له تنال رضى الله سبحانه، لأنها تعصمه من مواقع الذلل وتحافظ عليه.

قال رسول الله (ﷺ):

(والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو زوجته الى فراشه فتأبى إلاّ كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها). (رواه البخاري ومسلم).

عزوف الرجال:

وقد يعزف رجالٌ عن زوجاتهم انشغالاً باعمالهم، وصرف بياض نهارهم وبعض ليلهم بالاعمال، او التزهد في الدنيا والانصراف الكلي الى العبادة. وهذا لا يرضاه الاسلام أيضاً، فللزوجة حق على زوجها ان يواقعها ولا يهملها ولا يرضى الله سبحانه منه ذلك، اذ ربما يدفعها بتصرفه هذا الى المعاناة

---

(١) الطب الوقائي النبوي/ د. محمود الحاج قاسم - الموصل ١٩٨٨

والصبر، وقد يتجاوز الصبر إن كانت صغيرة. وروت السيدة عائشة (رض) ان الحولاء زوجة الصحابي عثمان بن مظعون جاءت تزورها وقد تغيرت احوالها، فقالت لها عائشة:

(ما لك ياحولاء متغيرة لا تتمشطين ولا تتطيبين) فقالت الحولاء:

(وكيف أتطيب وأتمشط وما وقع عليَّ زوجي ولا رفع عني ثوباً منذ أمدٍ بعيد).

فتضاحك نساء النبي (ﷺ) من كلامها:

فلما عاد رسول الله (ﷺ) قالت عائشة:

يارسول الله سألت الحولاء عن أمرها فقالت ما رفع عني زوجي ثوباً منذ مدّة فغضب رسول الله من ذلك وأرسل اليه وقال له: (ما بالك يا عثمان!).

قال عثمان: أني تركتها كي أتخلى للعبادة حتى فكرت في أني أتبتّل ما بقي من عمري ولو أذنت لي يا رسول الله لأختصيت. قال الرسول (ﷺ) قاطعاً الطريق على تفكير عثمان وأمثاله: (أقسمت عليك إلاّ رجعت فواقعت أهلك).

قال يا رسول الله أني صائم.

قال (ﷺ):

أذاً أفطر.

فقام عثمان طائعاً وأتى أهله ثم وقف الرسول (ﷺ) وخطب في الناس في مسجده قائلاً:

(ما بالُ أقوامٍ حرّموا النساء والطعام والنوم... أني أنام وأقوم وأصوم وأفطر وأنكح النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني). متفق عليه

وفي اليوم التالي رجعت الحولاء الى عائشة وقد اغتسلت وتطيبت فضحكت عائشة وقالت:

ما بالك ياحولاء، قالت أن زوجي أتاني بالأمس.

وفهمت المرأة المسلمة الأولى أنّ لها حقاً على زوجها وأذا فرّط في هذا الحق ترفع أمره للقضاء ليحكم بينهما.

ومن تاريخنا المشرق نقرأ هذه الحادثة:

اشتكت زوجة الى عمر بن الخطاب (رض) فقالت:

يا أمير المؤمنين أنّ زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل وأنا أكره أن اشكوه وهو يعمل بطاعة الله عزّ وجل.

فقال لها: نعم الزوج زوجك.

فجعلت تكرر عليه القول ويكرر عليها الجواب.

فقال كعب الأسدي:

يا أمير المؤمنين أنّ هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته أياها عن فراشه.

فقال غمر: كما فهمت فأقضي بينهما.

فلما جيء بزوجها. قالت المرأة للقاضي بكل أدب.

يا أيها القاضي الحكيم رشده
ألهى خليلي عن فراشي مسجده

زهّده في مضجعي تعبده
فأقضي القضا كعب ولا ترده

نهاره وليله مـــا يرقـده
فلست في أمرِ النساء أحمده

فقال زوجها:

زهدني في فراشها وفي الحجل
أنّي امرؤ أذهلنيَ ما قد تزل

في سورة النحل وفي السبع الطول
وفي كتاب الله تخويف جـــلل

فقال كعب:

أنّ لها عليك حقاً يا رجل
نصيبها أربع لمن عقـــل

فأعطها ذاك ودع عنك العلل

وكما للمرأة الحق على الرجل فله عليها مثل ما لها عليه ولتذكر النساء المسلمات قول الرسول (ﷺ):

(أذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وأن كانت على التنور). رواه الترمذي وابن حبان والطبراني.

وأكد الرسول (ﷺ) حق الرجل هذا على المرأة مثلما أقسم على الصحابي عثمان أن يفطر ويواقع اهله. وأعتبرها ملعونة أي مطرودة من رحمة الله أذا هي تمنعت عن زوجها دون مبرر فقال (ﷺ):

(لعن الله المسوفات، قيل وما المسوفات يا رسول الله؟ قال: التي أذا دعاها زوجها الى فراشه قالت سوف احضر سوف افعل حتى يغلبه النوم فتبيت والملائكة تلعنها) رواه الطبراني.

١٥- الشرق الأسلامي اليوم والمشكلة الجنسية:

يعاني الشرق الأسلامي من العنت والضغط النفسي من جراء الحرمان من الجنس.

وهذا الواقع صنعه اعداء الأمة بتخطيط بارع لصرف همة الأمة عن كل عمل جاد. وأنساق في المخطط الغربي الاعلام في هذه الدول بما يؤجج التهيج الجنسي من عرض الأفلام السينمائية المصطنعة لهذه الغاية والمسرحيات والقصص والروايات والصحافة. حتى شاهدنا بعض الصحف اللبنانية تخرج بطبعات خاصة لكل قطر فطبعة لبنان غير الطبعة المرسلة الى العراق للشهر الواحد. واذا أخذنا حرارة الجو والنضج المبكر في بعض الدول الأسلامية فكم تكون بلاهة القائمين على الأعلام في التعمد بالأثارة الجنسية في الدول الأسلامية دون تصريف لهذه الطاقة. هذا بدل أن يوجهوا طاقات الشباب للعمل المنتج تراهم دؤوبين في مداعبة مخيلات الشباب بالصورة العارية الملونة والكلام الناعم الذي لا يكون إلاّ في مخدع الزوجية. رغم أنّ الشباب وبلا عوامل التهيج هذه تجتاح نفوسهم عواطف فتّية وجامحة يجب أن تتصرف بالطريق الصحيح فما بالك بمن يزيد الحريق أشتعالاً

أنّه الغباء أو العمالة على مستوى التخطيط الاعلامي في كثير من الدول الاسلامية!!

فاعلامنا الذي يسكب الماء البارد قرب فم العطشان في يوم شديد الحر، وهو مكتوف الأيدي، متلهف للماء على غرار ما يفعل الجلاوزة المجرمون بالابرياء في سجون التقدم والمجتمع السعيد!.

اضف الى ذلك ما يراه الشاب من تعرّي النساء في الشوارع والطرقات.

وكم من ذكي ضاعت منه أيامُهُ، وخسر نفسه ركضاً وراء - فلانة التي اغوته، وعندما خابت مساعيه وأسودت ايامه تركته لتأخذ خيراً منه.

وكم من عفيف قد سبته شهوته، حتىٰ عرىٰ عن ستره وانهتك. ما الحل؟

الحل على مستوى الأمة.

١- الشباب.

٢- المتزوجون.

٣- تعدد الزوجات.

ولنناقش الحلول في الحالات الثلاث اعلاه.

١- الشباب:

تعليق الحل على اصلاح الأمة كلّها ببرامجها الاعلامية والتربوية ونشاطات الحياة كافة، فذلك ما نطمح اليه ونصبو له.

هنالك الولاية للاسلام عندها لن تكون هناك مشكلة جنسية ولا معاناة. فاجزاء الصورة يُكمل بعضها بعضاً، فتوافر الجنس المشروع بالزواج وتسهيلاته في ظل الاسلام، وقيام الدولة على ذلك إن اقتضى الامر، واستساغة المجتمع لتعدد الزوجات لمن ارادَ المزيد. وتوجيه الشباب لجلائل الأمور وعظيمها، سيشغل وقته، ويستأثر باهتمامه عندها لن تكون هناك مشكلة.

أمّا اليوم فلنستفد من تعاليم الاسلام على المستوىٰ الفردي حتى يأذن الله وينعم على المجتمع كلّه بالخير والاسلام فيسعد به ويهنأ.

نجد ان الرسول (ﷺ) يضع الحل الصائب بقوله:-

(يا معشر الشباب، مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغضّ للبصر واحصنُ للفرج ومَنْ لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)[1]

أ- للمستطيع الزواج دون تضييع وقت.

ب- لغير المستطيع الصيام، ففي الصوم حرمان موقت من الطعام الذي هو مصدر الطاقات كلهّا، وان جوعة المعدة تُعَطِّلْ جوعة الجنس، ولما كانت الهرمونات الجنسية والهرمونات المحفزة لها كلها تتكون من مواد بروتينية يصنعها الجسم، فتقليل الطعام الدسم واللحوم خاصة يؤدي الىٰ انخفاض

(١) رواه البخاري ومسلم.

في مستوى هذا النشاط، ويساعد على ضبط النفس بالنسبة للشباب، كعامل مساعد لحين توافر الامكانيات هذا من الوجهة الطبية، اما من الوجهة التعبدية والروحية فنجد الصائم متعلقاً بالله سبحانه واستحضار هيبته وطاعته.

وقد حرم نفسه من الطعام ابتغاء مرضاته - سبحانه- فيشعر معها بالسعادة والنشوة بشكل تتضاءل امامه كل لحظات التفريغ الجنسي.

نعم، يعيش هذه السعادة أناسٌ كثير، اعتباراً من فجر الاسلام الىٰ يومنا هذا، وقد قال احد قدماء المسلمين تِعبيراً عن فرحته بسعادته هذهِ.

(لو علمَ الملوك ما نحن فيه من سعادة لقاتلونا عليها بسيوفهم).

جـ-غضّ البصر:

جدٌّ ضروري لضِبط النفس واقفال سلسلة التفكير، فالعين تنقل الصورة الى الدماغ، فتصرفه الى التفكير بصاحب أو صاحبة الصورة، وكيفية التقرب والوصول، وإلاّ فالعذاب مع الحرمان والتمنّع، ولربما الصبابة والعشق..

هذا هو العلاج كما يصفه الله سبحانه وتعالى لنا بقوله: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم، وقل للمؤمنات يغضضَ من ابصارهن ويحفظن فروجهنّ﴾ سورة النور / ٣٠ -٣١.

فغضّ البصر يؤدي الى العفة، ويساعد على حفظ الفرج من الحرام ريثما يستطيع النظر الى حلاله والتمتع به وكف نفسه عن الحرام.

٢- المتزوجون: على المتزوجين والمتزوجات كذلك غض البصر ولا داعي لتعلق النظر كل يوم بواحدة فوراء تعلق النظر بناء أمل، وبعد الأمل تفريط بالزوجة الاولىٰ والاولاد.

وإن نظر الرجل صدفة واعجبته امرأة، فانّ مع زوجته مثل ما معها، ولنقرأ قول المصطفى (ﷺ):

(اذا رأىٰ احدكم امرأة فاعجبته فلْيأتِ اهلَهُ فان ذلك يردّ ما في نفسه).

(اخرجه مسلم وأبو داود والبيهقي واحمد).

صدقتَ يا رسول الله ما احكمك!.

فالشبعان لا يلتفت كثيراً الىٰ الطعام، وعند مواقعة زوجته يهدأ بالهُ وينصرف تفكيره الى ما هو خير.

٣- تعدد الزوجات:

شرع الله سبحانه تعدد الزوجات للمسلمين، وفي ذلك العلاج الناجع والاكيد لمشكلات انسانية استعصت على الحل، ورحمة بالنساء لا تعادلها رحمة. وسنرى بعض آفاق هذه الرحمة.

ا- الحاجة للجنس:

قد تدعو حاجة الرجل الىٰ المرأة إلّا يكتفي بواحدة، ويوجد من هذا الصنف من الرجال في المجتمع كثير. فبدل ان يتخذ الخليلات ويقضي وطره في الحرام يتزوج بثانية...

وانحراف الرجل هذا يعني خسارة للمرأة دائماً، فالخليلات وبائعات الهوى نساء ايضاً ومن نفس المجتمع الذي يعيش فيه، ويهمنا أمرهن. فهنّ خاسرات دائماً مهما أغدق عليهنّ الرجل من مال، فسيأخذ متعته وينصرف دون التزام، ولن يلتفت الى احداهن إن ذَبل شبابها أو حتىٰ إن مرضت وتوعكت، وهي في ايام عزها وشبابها. فهو ينال منها مأربه بالثمن البخس، وتكون هي الضحية عندما يذوي شبابها، فلا نجد من ينظر اليها ولو بعين العطف والشفقة.

اذن، لماذا لا نرضى ان يتزوج الرجل باخرى ونحمّلُهُ مسؤوليتها ايضاً، والعناية بها، ويشاغلها ويصرف عليها، ويشقىٰ طول عمره لتلبية رغباتها..

ب- مرض الزوجة:

قد تكون الزوجة الاولى كثيرة المرض لا تصلح للمباشرة والحياة الزوجية، والرجل حينئذ إمّا ان يعيش محروماً او يتزوج باخرىٰ مع إبقاء الاولىٰ، وهذا خير لها وأفضل.

جـ- متطلبات المعيشة والانتاج:

قد يحتاج الرجل اكثر من امرأة لتساعده في مزرعته، وفي انجاب الاطفال وفي هذا خير للمجتمع كلّه من ناحية توفير اليد العاملة ووفرة الانتاج.

د- العوانس:

لا عوانس في المجتمع الاسلامي، ويندر ان تبقى أرملة إلّا من رغبت عن الزواج، والحركة الاجتماعية في تيار الحياة السريعة. وقد كانت فرص الزيجات للنساء المسلمات كثيرة. فزوجات الشهداء كُنّ يتزوجن بعد انقضاء

العدّة مباشرة إن تقدم اليهنّ خاطب، ولا ضيرَ في ذلك.

ورحمَ الله اسماء بنت عميس عندما استشهد جعفر بن أبي طالب - زوجها - وترك لها اطفالاً ثلاثة، وبعد انقضاء العدة خطبها أبو بكر الصديق وولدت منه محمد بن أبي بكر، وبعد وفاة أبي بكر تزوجها عليّ، وتربى ولدها محمد في بيت علي..

لم تتعطل الحياة عند المسلمات بفقدان ازواجهنّ بالجهاد، ولم تكن هناك مشكلة أرامل تضغط على الضمائر وتطلب الحل.

هـ- مسألة حسابية وبرمجة إلهية :-

كل رجل سيتزوج امرأة. والباقيات من النساء بغير ازواج ما مصيرهنّ؟.

وقف العقل الانساني حائراً.. ماذا يفعل تجاه هذه المشكلة؟ اما الحضارة الغربية، فقد حلّت بالترخيص بممارسة الجنس للرجل والمرأة كما قلنا، وهي تُعاقبُ اليوم على ما عملت وفرطت بحق الانسانية بكل الجرائم والانحرافات والأمراض التي تُصبّ على رؤوسهم..

أما المنطق الاسلامي ففيه الحل..

بعد أن يأخذ كل رجل امرأة واحدةً فما تبقىٰ من النساء دون زواج، يأخذهن المتزوجون. مثنىٰ وثلاث ورباع..

اذ لو لم توجد إمرأة أيّ (بلا زواج) لما استطاع المتزوج ان يتزوج بثانية.

والمجتمع الاسلامي مجتمع عفة وطهر ونقاء.. وقد حرّم الزنا. فتعدد الزوجات ضرورة لوقاية المجتمع من الانحرافات والابتذال، ولو اخذت الكنيسة بهدي الاسلام، ورخصّت للألمان بتعدد الزوجات بعد الحرب العالمية الثانية، لعرَفَ كلُّ الماني أباه، ولكنها جنت عليهم ولم تتوقف الحياة. فكان اغلبهم أولاد زنا لا يعرفون آباءهم.

اذن تعدد الزوجات تشريع سامٍ لحل معضلات المجتمع من التفكك والضياع، وحفاظ لصحة المرأة النفسية ولتأخذ كل النساء نصيبهنَّ من الحياة بكرامة وشرعية.

و- الاطفال :-

ينتشر العقم بين النساء اكثر من الرجال، وتكون حالات العقم ٧٠٪ منها

عند النساء و٣٠٪ عند الرجال.

وفي حالة العقم عند المرأة، فمن حق الرجل التزوج بثانية، وكثيراً ما يتم ذلك عن رضىً وقناعةِ الزوجة الاولىٰ.

واذا كان العقم من الرجل،فقد يكون طلاق المرأة وزواجها من آخر هو الأفضل ن كانت الرغبة في نفسها ملحةً للانجاب وهنا يجب ان نسجّل للنساء المسلمات وفاءهنّ لأزواجهن، إذ يندر ان تفترق عنه إن كان هو العقيم.

لماذا أباحَ الاسلام تعدد الزوجات للرجل دون المرأة؟.

سؤال قد يخامر اذهان أناسٍ من الرجال والنساء أومن المعترضين على التشريع الاسلامي..

وللأجابة عن هذا السؤال المشروع نقول:

١- ضياع النسب:

اذا تعدد الرجال على المرأة الواحدة، فلمَن سيكون الولد؟ ومن ايٍّ منهم هو؟ ومَنْ الذي سيتولى الانفاق عليه؟

٢- كبرياء الرجل وعزته:

لا يرضى احد من الرجال ان يشاركه غيره في زوجته، بل يأباها ولا يقبلها زوجة مطلقاً. ونجد هذه الظاهرة عند الذكور من غير البشر! . ففي الحيوانات مثلاً، بعضها يأبى ويقاتل مَنْ يقرب انثاه، مما يدل على انها فطرة خلقِ الذكر عليها. امّا عند المرأة، فعندما يتزوج الرجل بثانية، فمعناها ان الثانية قبلت ان تكون شريكةً للاولىٰ، ولم تجد في نفسها غضاضة من ذلك.

٣- الأمراض الجنسية:

ثبت علمياً اليوم، ولمستْهُ واقعاً المؤسسات الصحية وهي تعالج المريضات من النساء.

فالمرأة الخالصة لرجل واحدٍ لا تُصاب بالامراض الجنسية، والنساء المشتركات في رجل واحدٍ لا يُصبنَ بالامراض الجنسية إلّا عن طريق العدوى من الزوج ان كان مصاباً. ولكن تعدد المياه في الموضع (الرحم) الواحد، عامل مساعد لانتشار الامراض الجنسية ونمو الجراثيم وتكاثرها.

٤- الحاجــة:-

حاجة الرجل وصلاحيته لممارسة العلاقة الجنسية أكثر من المرأة التي

تتعطل في كل شهر اسبوعاً تقريبا عدا الامراض التي تنتابها، والحمل والوضع .

ففائض الطاقة في الاحوال الاعتيادية لابُدّ من توجيهه بالزواج النظيف الوجهة الصحيحة .

٥- لوحظ ان المرأة ذات الفطرة السليمة لا تستطيع ان تكون مخلصة إلاّ لرجلٍ واحدٍ، وحتى لو كانت فاسدة الفطرة او ساقطة، يبقىٰ الرجل الواحد هو المفضّل في حياتها، وتخلص له وتتعامل معه برغبة وتعلق وتخضع له، لذا نستنتج ان المرأة لا يمكن ان تُسْعِدَ إلاّ رجلاً واحداً كما فطرها الله سبحانه وشرّع لها.(١)

١٦- تنظيم النســل :

قد تدعو الحاجة كما سنبين الىٰ منع الحمل أو تنظيم النسل أو منعه ولا مانع في الأسلام من ذلك .

وقد أتبع الصحابة، رضوان الله عليهم طريقة العزل وهي عدم صب الماء (ماء الرجل) في الرحم . وكان القرآن يتنزل على الرسول (ﷺ) .

وقد قال الله سبحانه :

﴿وما كان رَبُّك نسيا﴾ .(٢)

اذاً لم ينس الله سبحانه شيئاً وسكوت القرآن عن هذه الممارسة يعتبر أباحة وجوازاً لممارستها .

وقد ورَدَ في الصحيحين عن جابر قال :

(كنا نعزل في عهد رسول الله (ﷺ) فبلغه ذلك فلم ينهنا عنه) .

وفي صحيح مسلم :

(كنا نعزل والقرآن ينزل) .

وهذا من رحمة الاسلام وتخفيفه عن الأم المريضة والهزيلة كما سنرىٰ .

الأسباب الموجبة للتنظيم أو منع الحمل :

١- صحة الأم .

قد تتدهور صحة الأم من الحمل المتعاقب وتنهك وتنتابها الأمراض

(١) محاورة مع الدكتور ناطق محمد جواد النعيمي / اختصتصي الأشعة - الموص / العراق .
(٢) سورة مريم / ٦٤

ويترهل جسمها. فمن الجائز ان يعمل الزوجان على وقاية الأم ومساعدتها وتنظيم الحمل كل عدة سنوات بأتباع طريقة التنظيم الملائمة لها من ضمن طرق المنع المنتشرة والمعروفة اليوم.

٢- الأمراض الوراثية.

قد يكون الأولاد مصابين بأمراض وراثية كالجنون والتخلف العقلي أو الخرس أو الطرش فلا داعي للحمل والأنجاب.

٣- مرض الأم.

قد تكون الأم مريضة بمرض عضال كالسل والسكري أو بعسر الولادة فهي لا تستطيع الأنجاب إلّا بشق البطن فمن الأفضل تحديد النسل حفاظاً عليها.

وهذا من فضل الله سبحانه علينا نحن المسلمين، مصداقاً لقوله تعالىٰ:

﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (سورة الحج /٧٨).

٤- عند وجود الفتن وضيق سبل العيش والخوف من ابتلاء الابناء، فمن الممكن تأخير الانجاب لحين انكشاف الغمة وتوافر اسباب العيش والأمن للاسرة واستقرارها.

٥- من الممكن تأخير الانجاب سنة أو سنتين للتأكد من حقيقة تمسك الأم بدينها وخُلُقها وحسن معاملتها لزوجها ورجاحة عقلها.[١]

---

(١) محاورة مع د. ناطق محمد جواد النعيمي - الموصل / العراق.

المحرمات في الاسلام

الخمـــر

حكمة التحريم.

هل توجد حالات الادمان في المجتمع الاسلامي؟.

امريكا وتحريم الخمر.

كيف عالج الاسلام ادمان العرب الخمرَ.

معلومات عن تأثير الخمر في وظائف الاعضاء في الجسم.

التداوي بالخمر.

المخـدرات.

اللواطـة

آثارهـا

الأيدز

المحرمات في الاسلام Prohibitons

تدخل غالبية المحرمات في الاسلام تحت موضوع الطب الوقائي، ولم يحرّم الله سبحانه شيئاً إلاّ وله الأثر الهدام في بُنية الانسان الجسدية والنفسية.
وتتضح فلسفة التحريم في الاسلام بالآية الكريمة:

﴿يسألونك ماذا أحلّ لهم * قل أحلّ لكم الطيبات﴾ (سورة المائدة /٤).

وما بعد الطيبات إلا الخبائث، فالله سبحانه قد أباحَ لنا كل الطيبات وحرّم علينا كل خبيث مؤذٍ يلحق الضرر بالانسان فرداً أو مجتمعاً.

الخمــر:

والدارس لكل المحرمات والممنوعات في الشريعة الاسلامية، مثل المسكرات والمخدرات والزنا واللواطة. نجد انها وسائل لتهديم كيان الانسان والأخلال بتوازنه الصحي الجسمي والنفسي.

وقد كفل الاسلام الوقاية لأتباعه من هذا كلّه بتحريم المخدرات والخمور وأشكال السلوك الانساني المنحرف عن الفطرة السليمة ونسمع اليومَ ونرى في مختلف بقاع العالم أن ألآف الأفراد تنهار قواهم العقلية بسبب معاقرتهم الخمر، وان عتاة المجرمين والأغبياء والبلهاء هم أبناء أسر حطمتها الخمر وادمانها. إذ ان المدمن لا همّ عنده إلاّ الخمرة وتناولها والأستزادة منها، وبتهدم شخصيته يفقد الشعور بحق اولاده عليه وتوجيههم. وفوق تأثير الخمر في الدماغ والخلايا العصبية، وبتوارث الصفات، ينشأ أولاد المدمنين وأحفادهم اغبياء بلهاء.

وما الاجرام في احد جوانبه الا انحراف نفسي وفكري يكثر فيمن يتعاطىٰ الخمور والمخدرات، يعرف ذلك كلُّ دارس للطب. مروراً بمراحل السكر من نشوة وتهييج وقوة ثم ارتخاء، وفي فترة التهيج والشعور بالقوة والغرور، تقلّ أو تكاد تفقد السيطرة في العقل على السلوك، فيُظهر من التصرف الشائن والاجرام ما لا يتعاطاه دون سكر.

وكم تركت الخمر من آثار ومصائب وخيمة في الأسر، ظهرت على شكل تخلف عقلي وصمم في الأحفاد.

وينتشر مرض تشمع الكبد بنسبة عالية بين المدمنين، حتى غدت هذه الظاهرة من بديهات الطب.

وتسبب الخمرة امراض المعدة والتهاباتها المزمنة. وقد ثبت تأثيرها في الدماغ بتقليل حجم مادته وتوسيع تجاويفه!! وكذلك يؤثر الخمر في الأجنة في بطون امهاتها اذ يكون اولاد شاربات الخمر أقلّ ذكاء ووزناً، ومتأخرين في فهمهم وتلقيهم. [1]

وتؤدي الخمر كذلك الى اذابة الكالسيوم من العظام في فترة الشيخوخة، مما يؤثر في المشيء ويسبب الألم ويعرض العظام للكسر.

حكمة تحريم الخمر:

ولمعرفة حكمة التحريم ننقل صوراً شتى ومعلومات مبنية على الاحصائيات من الدول المتقدمة التي يكاد كل شيء فيها أن يكون خاضعاً للتدقيق والأحصاء. وهذا لا يعني أنها المجتمعات الوحيدة التي تتناول الخمرة، بل الدول النامية والدول النفطية خاصة وكل المجتمع الانساني قد اكتوى بلظاها واعتمادنا على الأحصائيات الغربية هو للاستدلال لا للحصر.

١- يموت في فرنسا وحدها خمسون الفا من الفرنسيين كل عام بسبب الادمان على الخمر. [2]

٢- تصرف ٤٢٪ من ميزانيتها الصحية على معالجة الامراض الناجمة عن الأدمان الكحولي.

٣- ذكر البروفيسور جوليان بيانكون أنّ تشريح جثث الموتى أظهرت ان ١١٪ من مجموع الوفيات في فرنسا ناتج عن تعاطي الخمور.

٤- تعتبر الخمرة مسؤولة عن ٥٠٪ من حوادث السير هناك.

٥- اظهرت احصائيات هيئة الصحة العالمية ان فرنسا هي البلد الوحيد في العالم، حيث يشكل الخمر احد الأمراض الرئيسية الخمسة المسؤولة عن الوفيات ويأتي ترتيب الخمر الثالث بعد امراض القلب والسرطان.

والادمان في تناول الخمر يعتبر حالة مرضية تتطلب العلاج لانتشال

---

(١) مجلة التربية الاسلامية في بغداد / العدد -٢٧

(٢) عن كتاب الخمر بين العلم والدين /عبدالمجيد احمد الدوري/ بتصرف.

المدمن من المخاطر الحتمية على صحته، بل تهديد حياته، وقد بلغ عدد المدمنين من الأمريكان حوالي عشرة ملايين وهو بلا شك عدد هائل.[1]

ولم تكن الدول الاسلامية في معزل عن تعاطي الخمور، فموجة الاستعمار العسكري والاقتصادي، واخيراً الغزو الفكري نقل نمط الحياة الغربية بعيوبها الاخلاقية الى بلادنا وحرمنا من ثمرات التقدم العلمي والتكنلوجيا والتطور.

ففي دراسة أجراها الدكتور عمر الباقي حسن في الخرطوم على (٤٩٢١٠) من الشباب السوداني تبين ما يأتي :-

١- نسبة ٢ر٤٥٪ منهم يشربون الخمر.

٢- نسبة ٨٧٪ من الشاربين يتعاطون الشرب الجماعي.

٣- نسبة ١٣٪ من الشاربين يعتبرون سكّيرين (درجة اقل من الادمان).

٤- نسبة ١٨٪ من الشاربين هم مدمنون، وهي نسبة اعلى من نسبة المدمنين في انكلترا والتي تبلغ ٢ر٦ بالآلف.

أي اننا سبقنا الانكليز فيما يضرّنا ويهدم بنياننا الاجتماعي ولم نأخذ من اسباب البناء والتقدم إلّا النزر اليسير الذي لا يذكر.

هل توجد حالات الادمان في المجتمع الاسلامي؟

هنالك كثير من الامراض التي انتشرت في الغرب وانتقلت الى الشرق الاسلامي علماً انه لم يكن لها وجود إلّا ما ندر في مجتمعنا حتى سمعنا أن آباءنا سمّوا الامراض الجنسية بـ(الفرنجي) إذ أنّ القذرين جنود الاحتلال وفرقهم الفنية هي التي نقلت هذا المرض الىٰ الشرق الأسلامي. ولا زالت الفرق الفنية المستوردة تفعل ذلك. ويصح هذا الأمر علىٰ الخمر أيضاً.

فالخمرة في المجتمع الأسلامي محاصرة، أذ أنّ الاسلام حُرّمَ شربها وصنعها[2] حرام نقلها وحرام بيعها وحرام مجالسة شاربها ولا يُزَوّج ولا يثق به احد.[1]

هذا فضلاً عن تربية الأجيال على الأيمان بالله سبحانه وتناول الشريعة

(١) عن كتاب الخمر بين العلم والدين /عبدالمجيد احمد الدوري.

(٢) عن أبن عباس قال: قال (ﷺ) (أتاني جبريل فقال يامحمد أن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها) رواه احمد وابن حبان والحاكم.

بقوةٍ التزاماً وتطبيقاً، لا تراثاً نتغنى به ونخالفه في واقع الحياة.

يندر أذنْ وجود المخمورين في المجتمع الأسلامي وقد لا نجد مدمنين البتة.

وبهذا نرىٰ أنّ تعاليم الأسلام كانت خير وقاية للمجتمع من الوصول الىٰ الأدمان على الخمر. وعلينا إلّا نخلط بين مجتمعنا اليوم والمجتمع الأسلامي الذي ننشده ونتكلم عنه. وفي الوقت الذي نجح الأسلام في تحريم الخمر على أتباعه وضمن التزامهم لأن هذا الألتزام أرتبط بعقيدة الأيمان بالله سبحانه ورسالته. وهذا الأيمان بني على الاختيار أصلاً فلا أكراه فيه يدعو للمخاتلة. قال سبحانه:

﴿لا أكراه في الدين قد تبين الرشدُ من الغي﴾.

نجد الصورة الأخرىٰ وهي إخفاق الحضارة الغربية متمثلة بأمريكا في تحريم الخمر.

امريكا حرّمت الخمر:

ففي أوائل شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٣ صدر أعلان رسمي بألغاء قانون التحريم ورجع الامريكان الى معاصَرة الخمر بعدَ أربعة عشر عاماً قضوها في مشقة تحريمها وكان روزفلت قد تولى رئاسة الجمهورية الأمريكية فاتحة الأعلان بأنتصار الخمر على أوامر المنع والتحريم.

فأعقبه اولاً أباحة الشراب الممزوج بـ ٢ر٣٪ من الكحول في نيسان سنة ١٩٣٣ ثم بعدها ألغى التعديل الثامن عشر من مسودة الدستور الامريكي الذي يحظر بيع الخمر وشربها وصنعها وأستيرادها وتصديرها.

وكانت قد أقيمت في البلاد دعاية وأسعة النطاق ضد الخمر وبقيت الرابطة المحاربة لوجود الحانات تسعى وتجتهد في ترغيب الشعب وابعاده عن تعاطي الخمر وتثبيت مضارها بالقاء الخطب وتأليف الرسائل والكتب وعرض المسرحيات وأفلام السينما. وبذلت الأموال حتى قُدِّرَ أنّ كلفة النشرات والأذاعة بلغت تكاليفها ٦٥ مليون دولار ومجموع ما تحملته الدولة لتنفيذ قانون التحريم هو ٢٥٠ مليون دولار وقد أعدِمَ في هذه المدة ٣٠٠ شخصٍ وسجن ٥٣٢٫٣٣٥ شخصٍ وبلغت الغرامات ١٦ مليون دولار

وصادرت من الاملاك ما بلغ ٤٠٤ مليون دولار.

وكل هذا لم يزد الامريكان إلّا غراماً بالخمر وتعاطيها حتى أضطرت الحكومة عام ١٩٣٣ الى ألغاء هذا القانون.[1]

كيف عالج الأسلام أدمان العرب على الخمرَ؟

جاء الأسلام والمجتمع العربي شغوف بالخمر وتعاطيها وقد أنشد الشعراء العرب أروع القصائد في وصفها وتعدد أسمائها:

وساد أحساس لدىٰ قسم من المسلمين حولَ حرمتها لما عرفوا من أذاها فسألوا الرسول (ﷺ) فنزلت الآية ٢١٩ من سورة البقرة:

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس وأثمهما أكبر من نفعهما﴾.

فكان هذا أول تحذير من الخمر بأعتبار الأثم أي الضرر أكبر من النفع بشهادة من الله سبحانه وتعالىٰ.

ولما صلى بعض المسلمين سكارىٰ ولم يكن يدري ما يقرأ نزلت الآية:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ حتى تعلموا ما تقولون﴾ سورة النساء /٤٣

فحرم الله سبحانه وتعالى الخمر لفترات موقتة من النهار، وهي أوقات الصلاة وما قبلها وما بعدها، فصارت في اغلب النهار حراماً وجزء من الليل.

وكان دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً).

فنزلت آية التحريم النهائي بقوله عز وجلّ:

﴿يا أيها الذين آمنوا انما الخمرُ والميسرُ والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه. ﴾ (سورة المائدة /٩٣).

والتزمت بعدها اجيالُ المسلمين بالتحريم، إلّا ما ندر، وعاشت صحيحة الجسم والعقل بترك الأثم (الخمر).

فحرّم الاسلام الخمر، ولم يُرق في المدينة دم واحدٌ وانما أريقيت دنان الخمر في طرقات المدينة، وأهريقت الكؤوس على الارض، ولم ترتفع الى

---

(١) من كتاب الخمر بين العلم والدين (عبدالمجيد الدوري).

شفاه شاربيها بعد ذلك اليوم. ولم تنفق دولة الاسلام في المدينة حتى ولا ديناراً واحداً لمراقبة تطبيق آية تحريم الخمر.

وهذا هو الفارق بين الاستجابة الأيمانية والخوف من القانون في شرائع البشر.

معلومات عن تأثير الخمر المباشر في وظائف الاعضاء في الجسم :

١- يؤثر الكحول في وظائف الدماغ ومراكزه. فقد وجد ان تناول الكحول يؤدي الى تقليل سرعة رد الفعل، كما يقلل صحة التجاوب مع الأحداث، وتقدير الموقف، مثل وقوع حوادث السيارات لتأخر الاستجابة السريعة للحدث.

Decrease In the Spead & accurcy of reflex responsess

٢- يقلل عموماً قابلية الدماغ على التفكير وسرعته، مما يسبب اصدار القرارات الخاطئة غير مكترث بالآخرين ولا يتحرج من شيء يفعله.

من الخطأ الشائع والوهم الفاضح بين السكارى ومَنْ حولهم أنَّ الخمرة تؤدي الى نشاط الدماغ.

أما ما نراه من نشاط الذين يشربون كمية ليست بالكثيرة فهو من تجاوز الشعور بالحرج كما قلنا، وكثرة الكلام والتصرف، والاعتداد بالنفس، وهو ما لا يتقبل هو نفسه تعاطيه في احواله الطبيعية.

٥- غالباً ما يموت السكير اذا استمر بتناول الخمر حتى تصل نسبة الكحول في الدم من (٤٠٠ ملغم - ٥٠٠ ملغم) في المئة /سم^{٣} منه بسبب شلل الجهاز التنفسي.

٦- ما نجده من حمرة الوجه لدى السكارى ليس دليل النشاط والعافية وَأنما من جراء توسّع الاوعية الدموية في الوجه تحت الجلد.

٧- من الخطأ الشائع ان الخمر يزيد من القابلية الجنسية، وهذا خطأ من الناحية العلمية.

والعلم يقول: ان الخمر تؤثر في مراكز الاحساس، وتقلل الاستجابة للمؤثرات، ومنها المؤثرات الجنسية، وإذا استمر الشارب بتناول الكحول، فسيمر بمرحلة الارتخاء فى كل اجهزته واعضائه الجسمية، ويفقد توازنه،

واخيراً يفقد احساسه بالمحيط.

وكلام شكسبير في الخمر أنها (تحفز الرغبة وتأخذ القدرة) فالعبارة هذه ليست دقيقة من الناحية العلمية، فالكحول لا تحفز الرغبة الجنسية، ولكن بتأثيره في مراكز الاحساس والسيطرة على النفس عند شارب الخمر. يبدأ الشارب بالكلام واللهووالضحك والانشراح بلا ضوابط، فهي تقلل الحياء من الآخرين في كل السلوك الشائن، ومنها مثلاً التبول أمام الناس، ومخالفة طبيعة الأشياء، والكلام في الجنس، وفي مغامراته وقدرته مجرد كلام، وفترة من قلة الاحساس، وتستمر هذه لحين انخفاض نسبة الكحول في الدم، ورجوعه الىٰ حالته الطبيعية.

سؤال لأحد أصحاب الخمارات: -

سأل صديق لي جاره صاحب الخمارة عن معاناته أزاء تصرف السكارى الذي يؤدي الىٰ تدخل الشرطة ومجيئهم الىٰ الخمارة بين فترة وأخرى لفض النزاع، أو لأخذ أحد الندماء ليقضي بقية الليلة علىٰ أرض الموقف (السجن) وقال له السائل أنك بالتأكيد منزعج من كثرة المشاكل وتدخل الشرطة والأذىٰ الذي يلحق بك وبمحتويات الخمارة فماذا كان الجواب!.

قال صاحب الخمارة وهو يضحك منتشياً، أنَّ هذه فرصتنا فما أن يسكر أحدهم ويسَيء التصرف حتى يحتاط به أتباعه (أتباع صاحب الخمارة) ويسلبوه ما في جيوبه من كسب يومه أو مدّخراته وهو لايدري وبعد أن يصحو من سكرته ويفيق من الحلِم الذي كان فيه يأتي في اليوم التالي ليسأل عن نقوده فيقُال له كنتَ سكران ولا نعلم عنها شيئاً ربما رميتها في الطريق فيخرج يجر أذيال الخيبة.

هذا وأن المكتبة الأسلامية عامرة بما كُتب عن الخمر. وما كُنا لنكتب عن الخمر ليتعظ الخمارون. ففي الغالب هم لا يقرؤون وان هم قرأوا لا يتعظون.

انما الغاية من الكتابة لبيان عظمة الأسلام في نهيه عن كل ما يلحق الضرر بالانسان.

لذا قال الرسول(ﷺ) بعد نزول آية التحريم للخمر.

(أجتنبوا الخمر فأنها مفتاح كل شر) (الحاكم عن أبي عباس).[1]

(١) الترغيب ج٤ (ص٢٩٨).

وقال (ﷺ) :

(من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد الوثن) (رواه أبن حيان عن ابن عباس الترغيب ص٢٩٧) .

وروت أم المؤمنين عائشة (رض) .

(وكل مسكر خمر، وكل مسكر حرام) (رواه الامام مسلم وغيره) .

وقال رسول الله ﷺ :

(مَنْ كانَ يؤمِنُ بالله واليوم الأخر فلا يجلس على مائدة يُدار فيهَا الخمر) .

(رواه البزاز عن ابن عمر - الترغيب - ج٤ ص٣٠١) .

التداوي بالخمر :

حرّم الله سبحانه وتعالىٰ الخمر لحكمة بالغة وبصريح القرآن كما قرأنا. فهل في استعمالها للتداوي رخصة؟ . . .

سنتناول في بحثنا الخمر دواء .

الخمر كفاتح للشهية :

من صفات الخمر انها سريعٌ امتصاصهُا ويؤدي الىٰ زيادة في الشهية ، ولكن لهذه الزيادة في الشهية اسبابها :

١- انه يخرشّ الغشاء المخاطي المبطن للمعدة، مما يستدعي تناول الطعام كالذي يحصل عند تناول التوابل والمخللات، فهي ليست صفة أصيلة في الخمر، وانما هي آثارٌ جانبية ، وسيئة من سيئاتها، فأن شرب القليل منها يؤدي الىٰ زيادة الطعام ، والكثير منها يؤدي الىٰ التهاب المعدة والتقيؤ.

٢- لما كان تأثير الخمر مباشراً في الدماغ ، ويؤدي الىٰ فقدان السيطرة ، أو هبوط في مستوى اداء مراكز الدماغ المختلفة ، فأحد هذه المراكز المتأثرة هو مركز الطعام والشعور بالشبع . مما يؤدي الىٰ الاكثار من الطعام دون تحفيز مركز الطعام في الدماغ ، لأنه مخدّر لكي يصدر أوامره لبث الشعور بالأمتلاء والقناعة مما يؤدي الىٰ استمرار السكارى بالطعام والشراب طوال وقت الجلوس علىٰ مائدة الخمر.

فاذن ما يقال عن الخمر، من أنها فاتحة للشهية ، هو من آثارها السيئة ، لذا فهو كما قال رسول الله (ﷺ) :-

ففي صحيح مسلم - عن طارق بن سويد الجعفي - أنهّ سأل النبي (ﷺ) عن الخمر فنهاه أو كَرِهَ أن يصنعها.

فقال إنما أصفها للدواء. ... فقال له (ﷺ):

إنه ليس بدواء ولكنهّ داء.

وروى ابو دواد والترمذي في السنن أنه (ﷺ) سُئل عن الخمر يُجعل في الدواء، فقال:

(انها داء وليست دواء).

وفي صحيح مسلم عن طارق بن سويد الحضرمي قال:

قلت يا رسول الله أنّ بأرضنا أعناباً نعتصرها، فنشرب منها؟

قال لا فراجعته، قلت إنّا نستشفي للمزيض. قال (ﷺ): (أنّ ذلك ليس بشفاء ولكنهّ داء)

هذا التأكيد القاطع من الرسول (ﷺ) بأنها داء وليست دواء والمنع من أستعمالها للتداوي ليس فقط أثبتته الدراسة الفارماكولوجية[1] للخمر. وأنما منع أيضاً محاولات الألتفاف على النصوص والتحايل على اوامر الشريعة، عند ذلك سيدعي أناس كثير أنهم مرضى وما أكثر المرضى وأنما يتناولون الخمر للأستشفاء.

ومن بركات هذا النهي عن أستعمال الخمر حتىٰ في الدواء نجد تمنع كثير من المسلمين عن تناول الأدوية التي تحتوي نسبة من الكحول لأستقذارهم لها وتجنب خبثها.

وذكر عنه (ﷺ) قوله

(من تداوىٰ بالخمر فلا شفاه الله).[2]

ويقول أبن القيم رحمه الله

(أنْ في أباحة التداوي به ولا سيما اذا كانت النفوس تميل اليه ذريعة الى تناوله للشهوة واللذة، لا سيما اذا عرفت النفوس أنه نافع لها مزيل لأسقامها جالب لشفائها. فهذا أحب شيء اليها. والشارع سدّ الذريعة الىٰ تناوله بكل ممكن).[3]

(١) الفارماكولوجي هوعلم الأقرباذين اوعلم تأثير الادوية على الجسم.

(٢) أخرجه ابو نعيم في الطب والفتح الكبير ١٧٧/٣.

(٣) كتاب الطب النبوي لأبن القيم ص١٢٣

٣- لا توجد قناعة لدى شارب الخمر فمن تناول كأساً اليوم فسيتناول اثنين غداً وسيتعدى حدود فتح الشهية المزعومة الى ادمانها.

ويستمر الرسول (ﷺ) في تأكيد حرمتها بقوله فيما يرويه أبو داؤد في سننه من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله (ﷺ)

(إنَّ الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داءٍ دواء. فتدَاوَوْا ولا تداوَوْا بحرام) أخرجه الطبراني ايضاً ورجاله ثقات.

وذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قوله (ﷺ)

(أنَّ الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم) وأخرجه احمد والطبراني.

استعمال الخمر في لسعة البرد والاجواء الباردة:

استعمل الاطباء سابقاً الخمر في علاج حالات لسعة البرد، ولتدفئة المرضى في المناطق شديدة البرودة، لما للخمر من تأثير على الأوعية الدموية في الوجه، وتحت الجلد، مما يزيد من حيوية ونشاط المريض، حيث تبدو عليه الراحة والشعور بالدفء.

واليوم تراجع الاطباء عن استعمالها لهذا الغرض للسبب نفسه، وهو انها توسع الأوعية الدموية تحت الجلد، ويفقد المريض حرارة جسمه بزيادة مساحة الجلد المعرض للمحيط الخارجي، وقد يؤدي ذلك الى وفاته من جراء الانخفاض الكبير في درجة حرارة الجسم وهو ينعم بالدفء الكاذب.[1]

استعمال الخمر في علاج الذبحة الصدرية:

(وكان الاطباء على مدى مئات السنين، يصفون الكحول كعلاج وحيد لحالات الذبحة (Angina) باعتبار انه موسعٌ للشريان التاجي للقلب، ثم تبين نتيجة التجارب في السنوات الأخيرة أن الكحول لا توسع شرايين القلب، وليس لها تأثير فيها، وأنَّ الشعور بزوال الألم هو شعور وهمي، وقد يؤدي بالمريض الى الوفاة! نتيجة تخدير مركز الألم في الدماغ.[2]

استعمال الخمر كمذيب لبعض الأدوية:

يستعمل الخمر مذيباً لجملة من الأدوية التي تدخل ضمن بعض الوصفات والأمزجة، والتي لا تذوب إلاّ في الكحول، كالمواد الدهنية

(١) الطب الوقائي النبوي / د. محمود الحاج قاسم - ص٤٤ - الموصل ١٩٨٨.
(٢) المصدر السابق نفسه.

والقلوية وأصباغ بعض النباتات، ومن هذه الأمزجة التي لا زالت مستعملة هي الجرعة الطاردة (Mist Carmenative) ، والجرعة المدررة Mist Diuratic ، ويستعمل في اشربة السعال والمقويات.

وللوقوف على الحقيقة في هذا الاستعمال نقول:

١- لأن التصنيع الدوائي، والوصفات غربية المنشأ، لا يتحرج الغربيون من استعمال الكحول، لذلك لم يُبذل جهدٌ لمحاولة إذابة هذه المواد بمذيبات أخرى.

٢- يوجد بدائل عن هذه الأدوية، فلا حرجَ على المسلم، ويستطيع الاستغناء عنها.

٣- حاول الآن بعض اطباء وصيادلة مسلمون، ايجاد المذيبات البديلة، ولا زالت البحوث مستمرة، لم تصل مرحلة الدخول في الصناعة الدوائية.

ان أحتاج المريض لأحد هذه الأدوية قبل نزول البدائل للاستعمال: -

ذكر الدكتور محمود الحاج قاسم نقلاً عن صاحب كتاب (مغني المحتاج) جواز الاستعمال بشروط:

١- ان لا يكون هناك دواء آخر خالٍ من الكحول ينفع تلك الحالة.

٢- ان يدلّ على ذلك طبيب مسلم عَدْلٌ.

٣- ان يكون القدر المستعمل قليلاً لا يسكر.[1]

المخدرات:

وعندما نهى الاسلام عن الخمر، تضمن نهيه كل نوع من أنواع المخدرات ومغيبات الوعي القديمة والحديثة، والتي لها تأثير مباشر على الجهاز العصبي المركزي للأنسان بأنواعها كافة.

قال (ﷺ):

(كل شراب أسكرَ فهو حرام).[2]

وفي حديث أم سلمة:

(نهى (ﷺ) عن كل مسكر ومفتر).[3]

---

(١) ذكره ايضاً محمد علي البار نقلاً عن المصدر نفسه في كتابه الخمر بين الطب والفقه ص٢٤

(٢) متفق عليه من حديث عائشة (رضي الله عنها).

(٣) رواه الامام احمد وأبو داود عن ام سلمة، ورمز اليه السيوطي بالصحة.

استعمال المخدرات في الطب

لا نعرف استعمالاً للمخدرات في الطب الحديث إلّا ما يستعمل منها اثناء التخدير وأجراء العمليات الجراحية، وكمسكّنة قوية للالآم اثناء النوبات القلبية وتعطىٰ لبعض مرضى السرطان الذين يعانون من الآلام المبرحة، وبجرعات يحددها الطبيب المختص حسبما تقتضيه الحالة، ويدخل استعمالها هنا في باب الضرورة في الشريعة الاسلامية، وسدّ الذريعة الى تفاقم الحالات المرضية المفضية الى الموت.

العقاقير التي تسبب الأدمان:

١- العقاقير المنشطة.
٢- العقاقير المهبطة (المهدئة).
٣- العقاقير المهلوسة.
٤- العقاقير المخدرة.
٥- الكحول: (تقدم شرحه).

العقاقير المنشطة:

وتشمل هذه العقاقير البنزدرين، الأمفتامين، والميثادرين، والدكسترين.

وتؤدي الى زيادة في الأنتباه وزيادة في الطاقة الجسدية (نشاط)، وفي الثقة بالنفس اثناء الاستعمال، ويسمى مجموع تأثيرها (بالتسريع) ولو أنها تقلل اعراض الأكتئاب النفسي إلّا انها تؤدي الى اضعاف الشهية واحياناً الى الجنون. ولوحظ قبل ٣٠ سنة، ان الذين يستعملون الأمفتامين، يعانون من داء الأضطهاد، أو من الأوهام الأضطهادية، ولم يستطع العلماء فهم طبيعة عمل الأمفيتامين فهماً تاماً.

ويحتاج المتناول الى رفع كمية الجرعة للحصول على المستوى السابق نفسه من المتعة.

وإذا توقف الشخص الذي اعتاد تناول هذه المواد، فانه سيفقد إلمبادرة ويتعرض الى حالة استرخاء تام يصبح خلالها أشبه بالنائم.

وتشير الأدلة الى أنّ هذه العقاقير قد تسبب تلف الدماغ، ومن المنشطات المشهورة، الكوكائين - وتشير أرقام الكميات التي ضبطها رجال الكمارك في

اوربا، الى ضخامة المبالغ التي يدفعها المدمنون لشراء هذه المادة العالية الادمان، اذ انها تؤثر تأثيراً كبيراً في الجهاز العصبي المركزي، ويكون تناولها عادةً عن طريق الاستنشاق أو الوريد بجرعات صغيرة تعطي هذه المواد تأثيرات ممتعة، أما اذا استخدمت بجرعات كبيرة فانها تؤدي الى تشوش الوعي والاهتياج الشديد، ونوبات الصرع، وقد يضطر المتعود الى السرقة والأجرام لشراء حاجته من المادة بسبب التعود.

ومنهم من يخلط الكوكائين مع بيكاربونات الصوديوم للحصول على مفعول اقوىٰ، ويسمون هذا المزيج بالمفرقع.

ان التوقف عن تناول الكوكائين، يؤدي الى هلوسة رهيبة ومرعبة، فقد يتصور المريض بان هناك حشرات تزحف تحت جلده، وقد يضطر الى إحداث جروح في نفسه للتخلص منها.

وقد استعملت المنشطات اثناء الحرب العالمية الثانية، واستعملها الانكليز واليابانيون والألمان لتنشيط الجنود، وقد وزع الانكليز ٧٢ مليون قرص على افراد الجيش.[١]

العقاقير المهبطة (المهدئة):

يستخدم المدمنون العقاقير المنشطة لزيادة طاقاتهم الجسدية والفكرية لكنهم يرغبون احياناً في الحصول على الاسترخاء لأزالة التوتر او النوم، لمقاومة الأرق، ولتحقيق ذلك فانهم قد يلجأون لاستعمال العقاقير المهدئة كمركبات الباربتيوريث أو البنزادايازيبيم (اللبريوم، الفاليوم، الأتيفان) أو المبروباميت.

وقد وجدت الدراسة ان في بريطانيا وحدها تصرف المؤسسات الصحية ١٧ مليون وصفة من هذه المواد سنوياً.

ويؤدي استخدام المهدئات فترت طويلة، الى زيادة الحاجة النفسية لها، وهذا ما نسميه (تعوّداً).

فهذه العقاقير تعمل عملاً مماثلاً للكحول، ان الجرع الصغيرة تقلل القلق. اما الجرع الكبيرة فتؤدي الى التلعثم في الكلام، وزيادة في التوتر

(١) مترجمه عن Medicine Corp Intrnational - المجلة الطبية العسكرية العالمية من قبل د. مازن درويش.

والقلق والغثيان، وحتى الهذيان، ولها صفات مرضية ومهدئة ومضادة للتشنجات الصرعية.

لكن التوقف عن تناول هذه المواد يؤدي الى ضعف الشهية، وضعف العضلات، واضطراب في انتظام دقات القلب، ويتطلب استعمالها زيادة الجرعات للحصول على التأثير نفسه، وقد يضطر متعاطيها للقيام بطرق غير مشروعة للحصول عليها.[١]

وقد لاحظت الدراسات، ان نسبة عالية من الوفيات كان سببها تناول هذه المواد بكميات كبيرة، كما انها تكون اكثر خطراً عند تناولها عن طريق الوريد.

وقد تكون هذه المواد ضرورية في بعض الحالات المرضية مثل علاج التشنجات الصرعية بالفينوباريبتون، وعلاج امراض نفسجسمانية (Psycho. Somatic)

وهذه الحالات الموجبة لأستعمال هذه الأدوية يقدرها الطبيب المعالج.

العقاقير المهلوسة:

من أهم المواد الشائعة الاستعمال في هذه المجموعة الكنابس (الحشيشة) التي عرفت منذ ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد والتي تعتبر أقل العقاقير المهلوسة ضرراً لأنها عنصر مهلوس ضعيف حيث يشعر الذي يتداولها بأرتخاء عام وأهم اعراض تناول هذه المادة هي الدوار، خفة الرأس واضطراب التوافق العضلي. ثقل الأطراف. تيبس الحنجرة والفم وطنين الأذن والمادة الكيمياوية المستخلصة من الحشيشة والمسؤولة عن احداث التأثير هي التراهايدروكنابينول.

ولهذه المادة تأثيرات بعيدة المدى اذا استخدمت بجرعات عالية، ولقد أجريت تجربة في امريكا لمعرفة تأثيرات الماريوانا التي تحتوي على نفس المادة تتراهايدروكنابينول في أداء الطيارين ونشرت نتائجها في المجلة الطبية الامريكية للطب النفسي وهي:

تم تدريب عشرة طيارين لمدة ثماني ساعات على الطائرات المحاكية في

---

(١) مترجمه عن Medicine Crop International - المجلة الطبية العسكرية العالمية من قبل د. مازن درويش.

احوال مشابهة للطيران الفعلي. ثم اعطي كل واحد منهم بعدها سيكارة تحتوي على ١٧ ملغم من التراهايدروكنابينول. ثم اعيد تقديم ادائهم بعد ٢٤ ساعة. ولوحظ أنه حتى بعد هذه الفترة وجد أولئك الطيارون صعوبة في التركيز والاستقرار وصعوبة في الهبوط على مركز المدرج، فقد هبط احدهم خارج المدرج تماماً ومع أنّ هذا التأثير قد يؤدي الى كوارث مفجعة لو طار هؤلاء في طيارات حقيقة. لكن أياً منهم لم يعترف بأنه كان يعلم بانحطاط ادائه أثناء التجربة لذا تم استنتاج أن تعاطي الماريوانا يؤدي الى مشاكل كبيرة على الرغم ان الماريوانا لا تسبب الادمان ولا تنتج اعراضاً انسحابية عند الأنقطاع لكن استعمالها قد يؤدي الى مضاعفات ذهانية اي جنونية. [١]

أنواع أخرى من العقاقير المهلوسة:

من هذه المواد مادة المسكالين والسايكلوسبين والسايلوسبين و Psilocybinccsd والمسكالين هو العنصر الفعال لأحد أنواع الصبير الامريكي المحتوي على مادة مخدرة والذي يكثر في المكسيك وقد استخدمت هذه المادة في الأحتفالات الدينية لقرون عديدة، لكنها استحصلت من نبات الصبير، لأول مرة سنة ١٨٩٦، وتبين انها تشبه مادة الأدرينالين، ويشعر متناولها بهلوسات بصرية، ورؤية مناظر زاهية الألوان، وسماع أصوات واضحة، كما انها تحدث أضطراب في التفكير والمزاج، حيث يشعر مستعملها بنشوة أو رعب أو حزن أو عزلة، وتدوم تأثيراتها عدة ساعات وقد يؤدي تناول جرعات كبيرة منها الى الموت. [٢]

العقاقير المخدرة.

من المعروف ان مشتقات الأفيون تقلل الألم وتساعد على النوم، ومن مشتقاتها: المورفين، الداكتيال مورفين، الهيروين، والميثادرين، وتستعمل استعمالات مشروعة في الطب، ولكن ادمانها يعتبر لعنة تصيب صاحبها.

وتؤثر في الجهاز العصبي.والنفسي، ولها تأثيرات منشطة يتبعها شعور بالأرتياح، وتأثيرات مهبطة لأنها تؤثر في قشرة الدماغ فيتباطأ القلب، وتضيق الحدقتان، كما تبدأ بعد تناول هذه المواد حالة من الشعور بالمتعة والارتخاء

(١) مترجمه عن المجلة الطبية العسكرية Medicine Corps International من قبل د. مازن درويش.

(٢) المصد السابق نفسه.

والعزلة، ولهذه المواد تأثيرات غير مريحة مثل الغثيان، الأمساك، الحكة الجلدية، التعرق، احمرار الجلد، هبوط درجة الحرارة وتباطؤ التنفس.

ان اكثر الحقائق ايلاماً، هي ان متعاطي الهيروين، يصبح متحملاً للعقار بسرعة، فهو يستطيع تناول ٩٠٠ - ١٦٠٠ ملغم) في اليوم، وقد يتحمل البعض الآخر (٥٠٠٠) ملغم من المورفين أي (٢٥٠) مرة اكبر من الجرعة الكافية للاغراض التمريضية عندا استعمالها لتخفيف الألم، اما اعراض الانسحابية فتبدأ بعد ساعات قليلة من تناول آخر جرعة وهي غير مريحة الى درجة انها سميت بالعذاب المقيت.

تبدأ الاعراض الانسحابية على شكل [تثاؤباً ورشحاً وتعرقاً،] شعوراً شديداً بالنعاس، زيادة على الشعور بالقلق وعدم الاستقرار، واضطراب النوم، ونوبات ألم مع تناوب الحرارة والبرودة في الجسم، وقد تؤدي الى ارتفاع في ضغط الدم وتقيؤ وفقدان سوائل وجفاف الجلد بحيث يصبح مُميزا يشبه جلد الديك.

إن مدمنَهُ قد يرتكب جرائم عديدة للحصول على العقار، أو على المال لشرائه، واستعمال هذه المواد عن طريق الوريد يؤدي الى انتشار امراض خطيرة، مثل مرض التهاب الكبد الفايروسي، ومرض فقدان المناعة (الأيدز).

ومن الممكن تمييز هؤلاء المدمنين إذ يتصفون بضعف الصحة العامة، ولبس نظارات سوداء في اوقات غير مناسبة ووجود آثار زرق الأبر في اليدين أو الساقين.[1]

اللواطـــة:

ومن الأمثلة لانحراف في السلوك الانساني في ابتغاء اللذة هو اللواطة: وعند اندحار الكنيسة في الغرب وتعالي أصوات الداعين الى الحرية، طرحت بين الشباب والرجال والنساء المطبوعات والنظريات التي تدعو الى اطلاق العنان لشهوات الانسان ونزعاته، ولم يلتفت أحدٌ الى صوت العقل، واعتبر ذلك من الماضي العتيق.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

وألف المجتمع الغربي الحديث ذلك أو سكت عنه حتى أقرَّ القانون الانكليزي اللواطة! ولم تعد جريمة يحاسب عليها.

ورغم ما كان معروفاً عن اللواطة من آثار سيئة في صحة متعاطيها نضيف اليها ما يأتي :-

١- التمزق بالعضلة العاصرة للشرج ممَّا يؤدي الى حدوث القرح والاسهال والتغوط غير الارادي.

٢- الاصابة باللواطة السلبية لمن كان لوطياً ايجابياً، تصيبه هذه الحالة في شيخوخته، والعياذ بالله.[1]

٣- التدهور في الصحة النفسية والسقوط اجتماعياً على اقل تقدير في مجتمعاتنا الشرقية الاسلامية:

هذا ما كان معروفاً من آثار اللواطة سابقاً، أما اليوم فجاءت: الأيدز.

٤- الاصابة بمرض الأيدز الذي أحدث ضحة كبيرة في عالم الطب. وأنتاب الخوف منه مجتمعات كثيرة في أوربا وأمريكا، وربما انتقل الى الشرق عن طريق حثالات العرب المترفين المتهالكين على فضلات الاوربيين وابتكاراتهم في سوق اللذة والرذيلة، وقد صرّح وزير الصحة في الولايات الامريكية في شهر مايس سنة ١٩٨٧ بقوله. (ولم تسمعوا بعد شيئاً عن مرض الأيدز).[2]

وقد انتشر الأيدز أول الأمر في امريكا بنسبة عالية بين المنتكسين جنسياً، الذين يتعاطون اللواطة، رغم أنه ينتشر عن طريق الدم، وقد يصاب به عن طريق الحقن او نقل الدم من مصاب الى سليم.

والتفسير العلمي لأصابة اللوطية بفقدان المناعة هوما يحصل من تمزّق في المخرج، وجروح تدخل منها الجراثيم والفايروسات من ناقل المرض الى آخر، أوقد تكون هذه الجروح الملوثة مرتعاً لتكاثر العامل (الفايروسي) الذي ينقل المرض علماً ان (نهاية الأمعاء موطن لكثير من الجراثيم مع تحوّط الجسم لها).[3]

وقد ثبت ان العاهرات والزناة والشاذين جنسياً ومدمني المخدرات

(١) د. وجيه زين العابدين /مجلة التربية الاسلامية.
(٢) الاستاذ ابراهيم النعمة/ الموصل.
(٣) مجلة النور الكويتية /العدد ٤٧/ ذو الحجة ١٤٠٧هـ.

يتعرضون الى امراض مستعصية الشفاء، وانهم أوهن الناس تجاه المرض.

وقدرت منظمة الصحة العالمية عدد حالات الايدز الموجودة في العالم في الوقت الحاضر بحوالي ٤٩٫٦٧٧ حالة، وقال المتحدث بأسم المنظمة ان الرقم ازداد من ٤٨٫٥٢٧ إصابة، حتى آخر تسجيل في السابع من رمضان ١٤٠٧هـ، الموافق للشهر الخامس من سنة ١٩٨٧، ويقدر خبراء لدى المنظمة في جنيف، ان حوالي نصف عدد المرضى المصابين بالأيدز قد توفوا.

وذكرت اذاعة لندن يوم الجمعة المصادف ١٩٨٨/٨/٤ تقريراً من منظمة الصحة العالمية حول مرض (الأيدز): ان عدد المصابين بهذا المرض قد ارتفع الى ٨٠٠٪ في الشهر الماضي (تموز ١٩٨٨). وأن عدد المصابين قد يصل الى مئتي الف اصابة. وهناك حالات كثيرة لم يتم الابلاغ عنها اولم يتم تشخيصها.

كما يقدر خبراء المنظمة عدد الأشخاص الذين يمكنهم نقل فايروس الأيدز بما يتراوح بين خمسة ملايين وعشرة ملايين شخص من الحاملين لهذا المرض.[1]

إزاء هذا الخطر الداهم والموت المحقق قررت المحكمة العليا الأمريكية اعتبار (اللواطة) جريمة عقوبتها الحكم المؤبد.

واصدر كبار القضاة بعدما اثبت الواقع، ان الانحراف عن أمر الله والفطرة السليمة التي فطر الناس عليها يضر بالمجتمع الى حد الموت الزؤام، وانه اصبح مصدر خطر لويلات يعاني منها العالم كله قراراً نشرته جريدة الشرق الأوسط يوم ١٩٨٦/٧/٢

(واشنطن، الوكالات: أيدّت المحكمة العليا في الولايات المتحدة قانوناً صدر في ولاية (جورجيا) يعتبر ان اللواط جريمة حتى لو كان الذين يمارسونه من البالغين الراشدين، فذلك لا يعطيهم أيّ حق دستوري في ممارسة الشذوذ الجنسي في مجالس خاصة.

وأكدت أعلى جهة قضائية في الولايات المتحدة، الأخذ بهذا القانون الذي يحرم اللواط والافعال الشاذة الاخرى، حتى لو ارتكبها زوجان ويحرم

(١) الطب الوقائي النبوي /د. محمود الحاج قاسم ص٣١. الموصل ١٩٨٧

هذا القانون العلاقات الجنسية التي يرتكبها متزوجون غير شرعيين، وجميع هذه الافعال تعرض من يرتكبها لعقوبة السجن مدة عشرين عاماً.

وإذ تحرم الهيئات القضائية اليوم اللواطة، وتعاقب فاعليها، فقد أراحنا الله منها وعَصَمَنا وحرمها وجعل عقوبة الاعدام لمن يمارسها، فبتر العضو التالف من الجسم ضرورةً ليسلم الجسم كله لنا.

ومن لم يرضى بشريعة الله غذاءً طيباً مستساغاً، يتجرعها دواءً مُرّاً او يرد القبر مرغما بالمرض مذموماً مدحوراً!!.

هذا ما عرف الانسان عن اللواطة الىٰ حد الآن!.

هنا تتجلىٰ عظمة الاسلام في أمره ونهيه وفي كل شيء أباحه، وفي كل شيء حرمه.

قال الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبين لهم أنه الحق، أولَمْ يكفِ بربك انه علىٰ كل شيء شهيد﴾ سورة فصلت/٥٣

وقد انكشف للمجتمع البشري بعد نزول القرآن الكريم كثير من الحقائق واسرار الحياة، وكانت هذهِ الآية البشارة للحركة العلمية التي بدأها المسلمون، وتناولها الغرب وطوّرها في فترة النكوص عن الاسلام والبعد عنه.

وستنكشف لنا حكمة التشريع الاسلامي يوماً بعد يوم علىٰ صفحات الزمن بتعاقب الاجيال...

وكل ما تقدم هو تصديق وتحقيق لما أشار اليه الرسول (ﷺ). قبل الف واربعمئة عام بقوله في حديث ابن عمر (رض)

(لم تظهر الفاحشة في قوم حتىٰ يعُلنوا بها الأ فشا فيهم الاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا.

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلّا أخذوا بالسنين وشدّة المؤونة وجور السلطان.

ولم يمنعوا زكاة اموالهم إلّا مُنعوا القَطر من السماء، ولو البهائم لم يمطروا.

ولــم ينقضـوا عهـد الله وعهدَ رسوله الاّ سلطَ الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما في ايديهم.

وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ألاّ جعل بأسهم بينهم) (رواه ابن ماجة والبزاز والبهيقي).

فانتشار الفاحشة الىٰ حد الاعلان بها كما في كثير من المجتمعات الانسانية ملازم لانتشار الامراض وكثرتها وتنوعها.

وإنّا لنعتبر ما ورد في حديث المصطفى (ﷺ) قوانين تصطلح عليها الحياة. والتزامها يعني وقاية الانسان من المرض، ووقاية المجتمع البشري كله من تعاسة الحياة وظلمتها.

فانتشار الفاحشة يعني انتشار المرض ووبائيته كالأمراض الزهرية والسيلان والأيدز وغيرهما.

وفساد وخراب ضمائر الناس والغش، وانقاص الكيل وبخس الناس حقوقهم، يؤدي الى شحّة المواد وغلاء الأسعار، وما نسميه بالتضخم النقدي، وظلم الحكام لشعوبهم واستخفافهم بهم.

واذا منع الناس الزكاة، ولم يرحم الأغنياء الفقراء، وانتهى التكافل الاجتماعي بين الناس، وقلّت الرحمة في قلوبهم، واستغلّ الاغنياء الفقراء، حجب الله عنهم رحمته ومنع عنهم الأمطار وأصيبوا بالجدب وقلة الخيرات، وما يتنزل من ماء من السماء وقتها هو لأدامة الحياة حتىٰ لا تموت البهائم (ولولا البهائم لم يمطروا).

واذا ترك الناس عهدَ الله وعهدَ رسوله بالطاعة والعبادة والتزام الشريعة، والأخذ بالاسلام كاملاً وعدم تعطيل ركن من أركانه أوفريضة من فرائضِهِ، كما ترك المسلمون اليوم فريضة الجهاد وعطلوها في بعض اقطارهم، وتشبثوا بالحياة وان لم تكن حرّة كريمة. حينئذ يسُلط الله عليهم عدوّاً من غيرهم فيأخذ ما في ايديهم مما فرحوا به وجمعوه وكرّسوا حياتهم له.

وإن عطل المسلمون الحكم بالقرآن، واستجدوا لهم دساتير وضعية بديلة من صنع البشر من الشرق او الغرب، انتفت العدالة وانتشر الظلم، وانفرط عقد الحكم، وضعفت سلطة الدولة واضطر كل فردٍ الىٰ ان يأخذ حقه بيده، دون الرجوع الىٰ المحاكم لانتفاء العدل فيها، عند ذلك يقتل الناس

بعضهم بعضاً، ويكون بأسهم بينهم شديداً، ويدخلون في حالة من الخصام والثارات والتشرذم والاقتتال بينهم فتذهب ريحهم ويلحق بهم الدمار فيخسرون دنياهم وآخرتهم . .

والذي حملني على هذا الاسترسال في شرح الحديث الشريف، هو أننا نجد كل هذه المقدمات ونتائجها ماثلةً اليوم امامنا!! في عدة اقطار من اقطارنا.   فهل من مُدّكر!!.

الطعام في الطب الوقائي

الميتة ، ما أهل لغير الله بِهِ .
المنخنقة ، الموقوذة .
المتردية ، النطيحة .
ما اكل السبع ، اللحم الحلال .
الصيد بالكلاب المدربة .
الاكثار من اللحوم .
الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة .
الدم .
الذبح وفق الطريقة الاسلامية .
لحم الخنزير .
تحريم الجلالّة .
تأمين الغذاء .
الطعام لكل الناس .
توفير الطعام للأسرة .
الاشارة الىٰ الأغذية في القرآن .
اللبن
العسل .

الطعام في الطب الوقائي Nurition In Preventive Medicine

عمل الاسلام اولاً على توفير الطعام لكل محتاج، وحث عليه كما سنرى في فصل تأمين الغذاء.

ما يعنينا هنا ان نذكر بشيء من التفصيل انواع الطعام المحرّم، وعلة التحريم.

في الوقت الذي نرى كثيراً من شعوب الارض وقبائلها يأكلون بلا تحفظ، نرى الاسلام قد وضع اصولاً للطعام، وحرّم انواعاً منه، واباحَ انواعاً أخرى وحثّ على تناولها.

وقد تناولت الآية الثالثة من سورة المائدة انواعَ الاطعمة المحرّمة بقوله تعالى:

﴿حرّمت عليكم الميتة والدمُ ولحمُ الخنزير وما أهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبعُ إلاّ ما ذكيتم. ﴾.

ولما كان منهج الاسلام هو تربية الانسان على العقيدة أولاً، وانه ينطلق في سلوكيته كلها في مواقفه من النظرة الأيمانية نرى أنّ الله سبحانه حرّمَ ايضاً: -

وما أهِلّ لغير الله به.

في بيئة فقيرة تحتاج الى اللقمة، رغم ذلك، فكل ذبيحة تذبح لغير الله سبحانه، لا يأكلها المسلم، لانها تحمل معاني الخنوع والذلة والتقديس. هذه مظاهر تعبْدية صِرف، لا يصح ان تكون إلاّ لله، لذا كان حكم ما يذبح لغير الله هو حكم الميتة النتنة التي تعافها الأنفس.

وما زال كثير من لم ينتبهوا الى هذا التحريم، ويذبحون على اعتاب الاضرحة ويقدمون النذور للأولياء. وقد غاب عن بالهم، بأن ذبيحتهم حرام إن كان المقصود بها التعبد لغير الله والتقرب من صاحب القبر والظن إن صاحب القبر ينفع او يضر، فهي لاستجلاب المنفعة ودفع الضرر بهذا الاعتقاد تكون الذبيحة قد دخلت في حقل (وما اهل لغير الله به).

الميتة : -

وقد حرمت الميتة لان التفسخ والتعفن وتكاثر الجراثيم بدأ منذ اللحظة التي توقف القلب فيها وبدأ الدم يتخثر، وانقطع الاوكسجين عنها، وتراكم ثاني اوكسيد الكاربون في الانسجة مؤدياً الى تسممها.

وتموت البهائم في الاغلب لأصابتها بالامراض، أو من جراء/اكلها أعشاباً سامة، فهي تنقل المرض أو السموم الى الانسان. أو قد تكون هرمة أصيبت بتليف الانسجة وأجهزة الجسم المختلفة. فتكون في هذه الحالة عسرة في الهضم قليلة الفائدة الغذائية أو معدومة.

عدا ميتة البحر التي اباحها الرسول الكريم (ﷺ) بقولِهِ:

(البحر هو الطهور ماؤهُ الحلُ ميتتهُ).

ميتة السمك : -

بعد التأكد في الوقت الحاضر من عدم تلوث المياه التي يعيش فيها السمك بالسموم من مخلفات المصانع. كما حدث من تلوث بعض الشواطيء والانهار في العالم بمركبات الزئبق، والذي ادىٰ الىٰ تسمم عدد من الذين تناولوا تلك الاسماك.

وكذلك اباح الاسلام ميتة الصيد ايضاً. على ان تتم عملية الذبح بعد الصيد مباشرة وان الذبيحة بكامل عافيتها ونشاطها.[1]

وقد لا تتفسخ الميتة بالدول والمناطق المنجمدة من العالم والباردة لكن تشريع الله سبحانهُ عام لكل البشر، وان توصلنا الىٰ معرفة بعض اسباب التحريم وحكمتهِ، فلربما غاب عن علمنا وعقليتنا اليوم اشياء كثيرة ستتكشف في مستقبل الايام. وقد يكون سبب التحريم هو المرض الذي ادىٰ الى الوفاة!.

المَنخنقة : -

وهي التي تموت بقطع الهواء عنها فلا يدخل الاوكسجين الى الرئتين فيتراكم في الدم ثاني اوكسيد الكاربون وينتقل الى انسجة الجسم الاخرىٰ كافة، فتتسمم وتموت ثم تتفسخ ويبقىٰ الدم فيها.

---

(١) ترك عبدالله بن عمر ميتة الصيد ولم يأكل منها ويقول الامام مالك في الموطأ: (ولا ارىٰ بأساً بما اصاب المعراض اذا خسق وبلغ القاتل أن يؤكل).

الموقوذة :-

هي التي تضرب ضربة تفضي الىٰ الموت فتكون هي والميتة خنقاً سواء.

النطيحة :-

ما نطحها غيرها من الحيوانات فأدّى الىٰ اتلاف بعض انسجتها وتعطيل اجهزتها فحصلت الوفاة أوما مات دهساً بحوادث الطرق الكثيرة اليوم فحكمه حكم النطيحة والميتة.

المتردية :-

هي الحيوانات التي تقع من مرتفعات، كالتي تتردى من جبلٍ او من سيارة او من سطح عالٍ، فيصلها صاحبها وهي ميتة ولم يستطع تذكيتها أي ذبحها قبل ان تموت فيخرج منها الدم.

ما اكل السبع :

الحيوانات التي تفترسها السباع (وهي الحيوانات آكلة اللحوم ذات الانياب كالذئب والأسد والكلب) فتموت من جرّاء ذلك إذ قد تكون تلك الحيوانات مصابة بمرض فينتقل إلىٰ الفريسة ومنها إلىٰ الانسان إذا أكل منها.

اللحم الحلال :

وقد أباح الاسلام أنواعاً من الذبائح، كان عرب الجاهلية يحرمونها باسلوب رائع ساخرٍ من عقولهم الصغيرة التي حرّمت هذه الذبائح علىٰ نسائهم واحلتها لرجالهم!!.

قال سبحانه وتعالىٰ في سورة الانعام /١٤٠

﴿وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم علىٰ أزواجنا وان يكن ميتةً فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم﴾.

﴿ثمانية أزواج منٍ الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آالذكرين حرّم أم الانثيين أما إشتملت عليه أرحام الأنثيين نبؤني بعلم إن كنتم صادقين﴾ سورة الانعام /١٤٣

﴿ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين قل آالذكرين حرّم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين...﴾ سورة الانعام /١٤٤.

ولما كان التحريم والتحليل هو من حق الله وحده فما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وليست القضية متروكة لأهواء المتنفذين وشهوات الحكام والأسياد من البشر. لذا ردّ الله سبحانه علىٰ المشركين تحريمهم.

قال سبحانه:

﴿ولا تقولوا لما تصّف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علىٰ الله الكذب. . . ﴾ سورة النحل /١١٦

كذلك نرىٰ الديانة البوذية تحرم اكل اللحوم على أتباعها. والذين يسمون النباتيين بحجة ان الذبح يشتمل علىٰ القسوة والعنف، وقد ثبت ان الذي يعيش علىٰ النباتات يصاب بالهزال وسُوء التغذية وفقر الدم. فعمدت حكومات تلك الشعوب إلىٰ ادخال اللحوم في برامج التغذية في المعاهد والمؤسسات الحكومية.

لأن اللحوم تحتوي علىٰ البروتينات الضرورية لصنع خلايا جديدة تعويضاً عما يتهدم من خلايا الجسم وتحتوي ايضاً علىٰ كميات مناسبة من الحديد وفيتامين (B12) الضروريين لبناء خلايا الدم الحمراء في الجسم. وتكون هذه المواد في اللحوم اكثر ملائمة لحاجة الجسم مما في النباتات ولنصغِ بخشوع الىٰ قول الله سبحانه في القرآن رداً علىٰ يهود:

﴿يا موسىٰ لن نصبر علىٰ طعام واحد فأدع لنا ربّك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها. قال أتستبدلون الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير﴾ سورة البقرة /٦١

وما أدق التعبير القرآني عندما يقول (أدنىٰ).

فالأطعمة المطلوبة من البقول والحبوب والخضر تفي بالحاجة للعيش ولكنها (أدنىٰ) اقل شأناً في الطعم والقيمة الغذائية والافضل منها اللحم ولحم الطير اسهل هضماً من بقية اللحوم وتقل نسبة الدهون في شرائحه عن بقية انواع اللحوم وبالتالي تكون نسبة الكوليسترول منخفضة فيه والكولسيترول يؤدي كما هو معلوم إلى تضييق الشرايين.

وذهبت في هذا الوهم الكنيسة المسيحية أذ تحرّم على اتباعها اكل اللحوم ومشتقاتها وحتى السمن الحيواني طيلة مدة الصوم التي قد تصل الى

الستين يوماً أو التسعين وطبيعي لا تحتمل النساء الحوامل والمرضعات ولا الشيوخ الكبار الابتعاد عن هذا المصدر الغذائي المهم طيلة هذه المدة.

والله سبحانه الذي سخّر هذه الحيوانات وخلقها مؤهلة للذبح ولخدمة الانسان فمنها طعامه ولباسه وركوبه وزراعته وصناعته لذا قال سبحانه: -

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾. [1]

وقد سوّد الله الانسان علىٰ هذه الحيوانات جميعاً.

ولم ينسَ الاسلام الرحمة والرأفة بالحيوان وهي جزء من تعاليم الذبح في الاسلام. وبعد النهي عن انواع الذبح والممارسات الخاطئة بين الرسول (ﷺ) لاتباعه التعامل المطلوب فقال: (ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحَ وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته). [2]

ونهى رسول الله (ﷺ) أن يكون الحيوان هدفاً للرمي حتىٰ يموت، وقال في الحذف وهو قذف الصيد بالحجارة او الرمح او السهم قال صلوات الله وسلامه عليه: (اياكم والحذف؛ فانها تكسر السن، وتفقأ العين، ولا تنكيء العدو). [3]

ويفهم من هذا الحديث ان الصيد لا يجوز ان يتم في المناطق المسكونة بل يجب ان يكون في الغلوات الخالية من الناس لقوله تكسر السن وتفقأ العين.

الصيد بالكلاب المدربة: -

اباح الاسلام الصيد بالكلب المعلّم المدرب ليستعين به صاحبه علىٰ مطاردة الفريسة والأمساك بها قال سبحانه:

﴿... أحلَّ لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلِّبين تعلمونَهنَّ مما علمكم الله * فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا آسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب﴾. [4]

ولكن بشرط ألاّ يأكل الكلب من الحيوان المصاد شيئاً فان اكل منها فهي

---

(١) سورة المائدة /٨٧.

(٢) رواه الامام احمد ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه الطبراني عن عبدالله بن مغفل باسناد ضعيف.

(٤) سورة المائدة /٤.

له وهو احق بها لأنه جائع .

والشرط الآخر هو ان تُسمّي الله وانت تطلق الكلب لمطاردة الفريسة.

قال (ﷺ): (إذا وجدت مع كلبك كلباً آخر فلا تأكل فأنما سميت على كلبك ولم تسمِّ على غيره). (صحيح مسلم).

والحكمة جلية واضحة من ذلك وهي أنَّ صاحب الكلب يعرف كلبه وصحته ومرضه فالتسمية تسبقها معرفة الكلب والتدريب والالفة. ولكنه يجهل حالة الكلب الآخر فلربما كان مصاباً بمرض فينتقل المرض بلعابه الى الفريسة.

وهذا من بركات التسمية واتباع هدى الرسول ﷺ.

انّ المسلمين اليوم وحدهم على هذه الارض يملكون هذا الارث الضخم من العلم والنور ولكن

أأنثر الدرَّ لبائعة الفحم
أم أقرض الشعر لسارحة الغنمِ

(الامام الشافعي)

الاكثار من اللحوم:

انطلاقاً من الآية الكريمة التي حددت التوازن المطلوب في الطعام حيث قال سبحانه:

﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾. [1]

يقتضي تحديد استعمال اللحم ايضاً وعدم الاكثار منه ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (اياكم واللحم فانّ له ضراوة كضراوة الخمر). فمن الأفضل للأنسان ان يستفيد من تعدد الأطعمة وتوافرها ليحضَ بفوائدها كلها، وتكمل تغذيته من العناصر الضرورية للبناء وإدامة تزويد الجسم بالطاقة، وقد يصاب من يكثر من اللحم بداء النقرس اي الم المفاصل الشديد. وسببه تجمع الأملاح التي تنتج عن هضم اللحم في

(١) سورة الأعراف / ٣٠

الجسم وتسريبه وطرحه حيث تتجمع في مفصل الركبة او مفاصل اصابع القدم فتحدث الماً شديداً ويسمى هذا داء الملوك أو داء الاغنياء.

فلا إفراط بالزيادة ولا تفريط بالحرمان.

كما ان الاكثار من اللحم قد يسبب نوعاً من انواع حصاة الكُلى.

الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة: -

حرم الاسلام اكل لحوم الحيوانات آكلة اللحوم من الحيوانات البرية وبعض الطيور. وتسمى الحيوانات البرية (السبع) كالكلاب والذئاب والاسود والثعالب وحرم اكل الطيور الكواسر الجوارح.

وحكمة التحريم هي ان عضلات هذه الحيوانات وانسجتها قوية وعسرة الهضم لانها سريعة الحركة قوية الوثب وتبذل جهداً كبيراً في الكر على الفريسة ولربما لكونها تأكل الجيف واللحوم النتنة المتفسخة.

وقد حرم الأسلام كل ما يأكل الجيف كما سنرى. وحتى الحيوانات التي احل الله لحومها تحرم إذا هي عاشت على الجيف.

حرّم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الانسية ولحوم البغال وكل ذي نابٍ من السباع وكل ذي مخلبٍ من الطير).[1]

الـــدم: -

يقوم الدم بنقل الاوكسجين الى انسجة الجسم كافة ويأخذ ثاني اوكسيد الكاربون كما يقوم بنقل كافة المواد الغذائية الى الانسجة ثم يحمل الفضلات من المواد البولية والافرازات العرقية وبقية عناصر تحليل الطعام وتمثيله ومخلفات الأدوية ونواتج عصارات الجسم المختلفة وبقاياها. ثم يقوم الدم بنقل هذه المخلفات الى الكلى حيث يتم ترشيح المواد الضارة وتطرح خارج الجسم.

والدم باحتوائه على المواد البروتينية والدهنية والسكرية يعتبر وسطاً جيداً لنمو الجراثيم وتكاثرها لذا يستعمل في المختبرات في زرع وتكاثر الجراثيم المختبرية والنماذج المراد فحصها ومعرفة ما تحمله من جراثيم. اذ ان هذه الجراثيم خلال ساعات تكونّ مستعمرات واضحة جداً للفاحص.

---

(١) رواه احمد والترمذي من حديث جابر وأصله في الصحيحين

وللتخلص من هذه الجراثيم التي تتكاثر وتعيش على الدم وبقية السموم اشترط الاسلام ان تتخلص الذبيحة من الدم كله، إلّا ما بقي داخل الانسجة والعضلات. اما المسفوح فهو المحرّم.

قال سبحانه:

﴿قل لا اجد في ما اوحي اليَّ محرّماً على طاعم يطعمُهُ إلا ان يكون ميتة أو دماً مسفوحاً.﴾ سورة الانعام / ١٤٥

الذبح وفق الطريقة الاسلامية:

اشترط الاسلام ان يكون الذبح وقطع الاوعية الدموية الكبيرة والذبيحة بين ايدي القائم بالفعل في اتم صحتها ونشاطها ويستمر قلبها بالنبض حتى يطرح اكثر ما يمكن من الدم بقوة الدفع هذه حتى تموت وتكون قد تخلصت من اكثر دمها.

وقد عقد مؤتمر في لندن سنة ١٩٨٧ حول طرق الذبح المستخدمة.

وقد تكلم المؤتمرون في التغيرات التي تحصل للذبيحة عند الصعق الكهربائي.

وافتتح المؤتمر الاستاذ اوبانيك رئيس منظمة اتحاد الجامعات لرعاية الحيوان. وقدم الدكتور لامبوي من معهد البحوث في هولندا بحثاً عن التطورات في الصعقة الكهربائية ورَبطَها بالتغيرات الفيزيولوجية في جسم الحيوان.

والشيء الملفت للنظر انه قدم صوراً لِلحم المذبوح بدون صعق وصوراً اخرىٰ لِلَّحم المذبوح باستخدام الصعق. فكان اللحم الناتج عن الذبح وفق الطريقة الاسلامية يبدو طازجاً بينما اللحم المذبوح الناتج عن الصعق ازرق اللون كأنه مخنوق، وهو فعلاً حكمهُ كالمخنوق لان الدم المشبع بثاني اوكسيد الكاربون لم يغادر الذبيحة وسرعان ما يتغير ويتفسخ.

وصل المؤتمرون الى ان طريقة الذبح الاسلامي هي الفضلىٰ لانها ارفق بالحيوان من جانب. ولا تؤدي الى أذاهُ ولا الى المشكلات الناتجة عن الخطأ في الصعق بأشكالهِ المختلفة.[1]

---

(١) مجلة النور الكويتية العدد (٤٥).

لحم الخنزيـر: -

حرم لحم الخنزير على المسلمين بقوله تعالى:

﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**﴾ سورة المائدة /٣

وسنحاول معرفة شيء من الحكمة الالهية في هذا التحريم وأوجه الوقاية من الاصابة بالامراض التي تصيبنا ان لم نلتزم هذا التحريم.

ومما هو معروف ان الخنزير يأكل الجيف والقاذورات فأنّ الاسلام قد حرَّم الحيوانات التي تاكل القاذورات تحريماً مؤقتاً حتى تترك اكل القاذورات وسماها الجلالة كما سنرى. ولكن الامر يختلف، فالخنزير محرَّم تحريماً قطعياً، وقد يقول قائل بان الاوربيين الآن يربون الخنازير كما نربي نحن العجول. الاغنام ويطعمونها العلف النظيف.

وان ما يذكر من وجود نسبة عالية من الأصابة بالديدان الشريطية في لحوم الخنازير هو موجود في لحوم الأبقار.

فلماذا حرّم أذن؟

سبب التحريم: [(١)]

هناك فرق كبير في خطورة الأصابة على صحة الانسان بين دودة الخنزير واسمها العلمي Taenea Solum والدودة التي تعيش في الابقار واسمها Taenea Saginata فالثانية التي تصيب الأبقار تنتقل الى الأنسان وتعيش في امعائه بسهولة يتخلص الانسان منها بجرعة دواء عن طريق الفم[(٢)]

اما دودة الخنزير Taenea Solum فانها لا تكتفي بالحياة في الأمعاء فكثيراً ما تكمل دورة حياتها في جسم الشخص المريض نفسه او في جسم اي انسان آخر إذ تخرج الاجنة (اليرقات) من البيض وتخترق جدار الأمعاء الى الدورة الدموية وتتوزع في الأجهزة الحيوية للجسم حيث تتحوصل اليرقة في غلاف سميك الجدار وقد تصل الى حجم حبة الفول (٢سم تقريباً)، ومما يزيد خطرها انها تفضل التحوصل في الجهاز العصبي وتسمى الحويصلة Cysticercus cellultosae فاذا كانت الحويصلة في المخ اصابت الانسان

---

(١) الطب الوقائي في الاسلام للدكتور احمد شوقي الفنجري، بتصرف.
(٢) يتناول المريض (٤ حبات) يوميزان.

بالجنون او الشلل او التشنجات العصبية واذا كانت في العين اصابتها العمى ! .

واذا كانت في القلب اصابته بالهبوط والذبحة القلبية وقد وجد في اوربا ان نسبة ٢٥٪ من الاورام في المخ سببها دودة الخنزير هذه .

ولا تتأثر الحويصلة بالأدوية عن طريق الفم لأنها مغلفة بجدار سميك وربما متكلسة ولا علاج لها إلا بأزالتها عن طريق الجراحة .

٢- الدودة الثانية التي تصيب الانسان عن طريق اكل لحم الخنزير هي التريكينا Trichinosis - Trichinella Spiralis.

وقد وجد ان بين كل ستة خنازير يوجد واحد مصاب بهذه الدودة .

وقد بلغ عدد المصابين في العالم سنة ١٩٤٧ حوالي ٢٦ مليون اصابة .

واعراض الاصابة بالتركينيا:

ارتفاع في درجة حرارة الجسم ، تورم الوجه ونزلة معوية حادة تؤدي الى هبوط القلب ، ويصعب تشخيص المرض ويعالج المريض على انه مصاب بحمى اعتيادية ويصعب اكتشاف الدودة عن طريق تحليل البراز ولا يوجد علاج لها الى حد الان ولا للتينيا سوليوم

وقد يعترض علينا معترض فيقول : ان طهي اللحم جيداً قد يقتل هذه الديدان ! . ومن المعروف ان الطهو الجيد للحوم في درجة حرارة لا تقل عن ٧٠مْ مدة ثلاث ساعات ، يمكنه ان يقتل جميع الديدان في الغنم والبقر. ولكن لحم الخنزير يستوي في درجة حرارة اقل وفي مدة اقصر من غيره من اللحوم مما يمكّن تلك الديدان من الاحتفاظ بحياتها وخاصة التي داخل طبقات اللحم . ولم يبق للوقاية التامة اذاً سوى الامتناع عن اكل لحم الخنزير وامتثال الامر الألهي لتسلم لنا الحياة .

٣- ان لحم الخنزير له قابلية لنقل جميع الامراض المايكروبية المعدية اكثر من كل اللحوم الاخرى وقد ورد في نشرة هيئة الصحة العالمية سنة ١٩٥٣ ان مختبراتها في الدانمارك التي تقوم بفحص انواع اللحوم الحيوانية قد وجدت ان ٦٠٪ فقط من لحوم الخنازير خالية المايكروبات و٤٠٪ يحمل انواعاً مختلفة من المايكروبات المعدية وغير المعدية . في حين ان المايكروبات شديدة العدوى في لحوم الغنم لا تزيد عن ٣٪ في حين أن هذه

النسبة في لحم الخنزير تزيد عن ١٤٪.[١]

تحريم الجلاّلَة:

وزيادة في الحيطة والأخذ باسباب الوقاية، نهى الرسول ﷺ عن اكل لحم الحيونات المباح اكلها اذا هي عاشت على العذرة اي (النجاسة).

ولم يكتف بذلك بل نهى ﷺ عن ركوب ما يستعمل منها ايضاً خشية تلوث جسم وملابس الملامسين لها.

عن ابن عباس (رض) قال:

(نهى رسول الله ﷺ عن شرب لبن الجلالة). رواه الخمسة إلاّ ابن ماجة وصححه الترمذي.

فحرّم لحمها ولبنها وركوبها.

فعن عمر بن شعيب (رض) قال:

(نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمرُ الاهلية وعن الجلاّلَة عن ركوبها واكل لحومها). رواه أحمد والنسائي وأبو داؤد.

والجلاّلَة: هي الحيوانات التي تاكل العذرة (النجاسات) من الابل والبقر والغنم والدجاج والاوز وغيرها حتى تترك اكل القاذورات وتتغير رائحتها.
فان حبست بعيدة عن العذرة زمناً وعلفت طعاماً طاهراً، طاب لحمها وطرحت القاذورات ومكوناتها من جسمها وذهب عنها اسم الجلاّلَة وصفتها وخطرها وكانت حلالاً لأنّ سبب النهي والتغيير زال عنها.[٢]

وهنا نجد ربط التحريم مباشرة بالسبب الذي هو اكل القاذورات وما ينجم عنه من نقل للمرض وبزوال السبب الذي هو علّة التحريم تصبح حلالاً

وصدق الله العظيم اذ يقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾.[٣]

انها الحياة المستقرة للنفس والحفظ والوقاية والعيش الهنيء للجسد.

---

(١) من اراد الاستزادة في الموضوع فليرجع الى كتاب الطب الوقائي في الاسلام (١٧٣) للدكتور احمد شوقي الفنجري اذ أنه قد تناول الموضوع بكثير من التفصيل.

(٢) فقه السنة السيد سابق ص٢٨

(٣) سورة الانفال / ٢٤

تأمين الغذاء:

الغذاء عامل رئيس في حفظ الحياة فضلاً عن زيادة قابلية الفرد لمقاومة المرض. ولا حياة بلا طعام.

فلا غرابة ان نجد الاسلام يولي الاهتمام اللازم لتوفير الغذاء للناس، لكل الناس.

واعتبر الاسلام تأمين الغذاء مسألة بالغة الأهمية لذا نجد آيات القرآن حافلةً بالحث علىٰ الانفاق وبذل المال وتقديم العون للمحتاج الىٰ الدرجة التي يشعر معها المسلم انه لا يملك شيئاً، وعليه ان يقدم ما يزيد عن حاجته للناس.

فيقول الله سبحانه بعد كل آيات التكاليف المالية من زكاة وصدقة وهدي. ﴿وأنفقوا مما جعلكم الله مستخلفين فيه﴾.[1]

وإذا أنعمنا النظر في كلمة (مستخلفين فيه) وما توحيه من معان في نفوس المؤمنين نجد ان معناها.

انكم لا تملكون علىٰ وجه التحقيق وانما هي اموال انتقلت اليك وغداً تكون لغيرك ان لم يكن في حياتك فبعد موتك لذا لا مبرر للبخل بها وهي زائلة حتماً. لمن الملك إذنٍ!!

لله وحده! ونحن مستخلفون استخلافاً مؤقتاً.

فالانفاق مما تدّعيه انه مالك مجازاً وهو في الحقيقة مال الله استخلفك فيه امتحاناً لك فلا تحرم اهلك واخوانك ومجتمعك ما أستطعت.

من اي نوع من المال تنفق؟

لا تنفق من سقط المتاع ومما لا يستفيد منه انسان والأنفاق هو هديتك وقربانك الىٰ الله سبحانه:

ولا يعني هذا انك أن لم تستطع ان تنفق خير ما عندك تمتنع عن الانفاق بل اعط ما زاد عن حاجتك وأعلم ان البِرَّ منزلة ان اردت وصولها فقدم اليها مهرها وهو الانفاق ممّا تُحِبُّ.

قال سبحانه:

---

(١) سورة الحديد /٧.

﴿لن تنالوا البِرَّ حتّىٰ تنفقوا ممّا تحِبّون﴾ .[1]

ولا زلنا نرىٰ من بقايا تمسكنا بالاسلام من يحمل الطعام (اللحم) في سيارته قاصداً المحتاجين إليه في أيام عيد الاضحى .

الطعام لكل الناس :

هذا توجيه الاسلام ، الطعام لكل جائع علىٰ اختلاف العلاقة والعقيدة والقومية .

إلاطعام في الاسلام علىٰ حُبِّ الله لكل البشر بكل ما تحمل هذه الكلمات من معانٍ خيرةٍ وعطاء لا ينضب لا علىٰ مقياس آخر.

﴿ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا﴾ .[2]

والأسرىٰ عادة هم من اعداء المسلمين ، رغم ذلك ، فالاسلام يوصي بهم لا ينساهم وحث علىٰ اطعامهم والاعتناء بهم لأن الانسان بناء الله بغض النظر عن كل الاعتبارات وحتىٰ الحيوانات ، لها نصيبها من العناية والاطعام .

قال ﷺ : (في كلِّ ذات كبدٍ رطبةٍ اجرٌ) .[3]

وينفرد المسلمون بين اهل الأرض قاطبة بالاهتمام وسد حاجة الفقراء دون مقابل لا كما تفعل الرأسمالية بسد حاجتك بدينار اليوم لتدفع لها خمسة في المستقبل او اكثر.

ان النظم الوضعية التي عرفتها البشرية في وقتنا الحاضر ودرجت عليها من شيوعية واشتراكية ورأسمالية لتتوارىٰ خجلاً من الاسلام من سوء ما عملت ايديهم في مسيرة الانسان وتجويعه وظلمه وإبادته احياناً .

وحرم الاسلام احتكار المال والارزاق وحبَّبَ الىٰ المسلمين العمل وخاصة اقتناء المواشي وان يكون لكل واحد منهم شاة على الاقل .

فان لم يستطع فلكل اثنين شاة يشتركان فيها من اجل الحصول على الحليب وادامة الحياة .

وفي المفهوم الاسلامي يكون المسلم بعيداً كل البعد عن الله ؛ من ياكل وحده وحوله الجياع وهنا يقول الرسول ﷺ :

---

(١) سورة ال عمران /٩٢ .

(٢) سورة الدهر /٨ .

(٣) رواه الأمام مالك في الموطأ والبخاري ومسلم وأبو داوْد عن ابي هريرة .

(ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الىٰ جنبه وهو يعلم به). [1]

ومما يؤسف ان الدول الاسلامية كانت تصدر للدول الصناعية ما يبلغ (١١) مليون طن من الحبوب سنة ١٩٣٥ [2]

في حين نجد اليوم غالبية الشعوب الاسلامية تعتمد في طعامها على غيرها ويموت منهم اعدادٌ لا تحصى تشكو الى الله سبحانه جهل المسلمين بدينهم ودنياهم وأول قرار اتخذه الرسول ﷺ في المدينة على مستوى الجماعة الاسلامية هو توفير الطعام لكل الناس.

فقد آخى ﷺ المهاجرين الذين لا مسكن لهم ولا مال مع الانصار أي وفّر لهم الطعام والسكن.

ومن بقي منهم كانوا قُرب المسجد يدفع اليهم الرسول ﷺ ما يأتيه من طعام من مختلف المصادر وقد اشتهروا بأسم (اهل الصفة) وهم فئة من فقراء المسلمين يسكنون المسجد حيث لا مأوىٰ لهم غيره ولا مال وكانوا يمثلون في الوقت نفسه قوة طارئة لحماية المسجد والاسلام الفتي وعلى استعداد في كل وقت.

وكان ﷺ لا يأكل الصدقات بل يدفعها كلها اليهم.

وتبلغ عناية الاسلام بطعام الناس وتوفيره لغير القادرين على الكسب ذروته عندما يقرن كثيراً من العبادات بذبح الماشية وتوزيعها على الفقراء مثل عيد الاضحى، والنذور، والافطار في رمضان لكبار السن والمرضى والمزمنين وزكاة الفطر.

هذا غيض من فيض من توجيهات الاسلام قدر ما يسمح به الموضوع من البحث في تأمين الغذاء لأدامة الحياة ووقايتها.

توفير الطعام للأسرة: -

اشاد الرسول ﷺ بالمسلم الذي يسعى الى تحصيل الرزق لاطفاله وتحسين مستواهم المعاشي وتوفير الأمن الغذائي لهم حتى بعد موتِهِ.

جاء ذلك جواباً لاحد الصحابة الذي استوضح الرسول (ﷺ) عما يترك لأولاده او ينفق ما عنده فقال (ﷺ) لهُ:

---

(١) رواه البزار والطبراني عن انس ورمز اليه السيوطي بالحسن.

(٢) Preventive Medicine P. 760

(إنك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس) .[1]

وقال ﷺ :

(ومهما انفقت فهو لك صدقة حتىٰ اللقمة ترفعها الىٰ في امرأتك) .[2]

مشيراً بذلك (ﷺ) الى العناية الخاصة بالمرأة التي كثيراً ما تصاب بفقر الدم وسوء التغذية في فترات الحمل والرضاعة) .

وحبب الرسول (ﷺ) الىٰ المسلمين الرزق الحلال والطعام الطيب .

الاشارة إلىٰ بعض الاغذية في القرآن :

١- اللبن .

٢- العسل .

اللبن :

ومن الأغذية المهمة لحياة الأنسان السهلة الهضم والطيبة اللَّبن .

لذا نجد القرآن يذكر اللبن ويصفه بانه (سائغٌ) اي ملائم وسهل الهضم ومقبول الطعم ولا يمكن الأستغناء عنهُ .

قال تعالىٰ : ﴿نسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ .[3]

دليل للقدرة والخلق والابداع والتخصص في وظائف الأجهزة والاعضاء حتى يتم صنع اللبن ويستخلص من بين فرثٍ ودمٍ .

وقال الرسول ﷺ :

(فانه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب إلاّ اللبن) . رواه ابو داؤد واللفظ له والترمذي وابن السني عن ابن عباس .

ومفهوم لكل ذي بصيرة فوائد وأهمية اللبن إذ هو ديمومة الحياة للانسان وهو طفل حتى سن الستة اشهر لا يحتاج الطفل الىٰ اية مادة اخرىٰ غير الحليب ثم نحاول اعطاءه بعض مركبات الحديد قطرة أو قطرتين كل يوم . لان الطفل يولد وفي جسمهِ ما يكفيه من الحديد لتوليد كريات الدم اكتسبها من الام مدة ستة أشهر.

---

(١) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص .

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص .

(٣) سورة النحل /٦٦

ولو اضفنا التمر الى الحليب في غذاء الكبار كان الغذاء كاملاً بكل عناصرة وربما استقامت بهما الحياة عند الضرورة.

العسل[1]:

ومن الاغذية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم: العسل.

قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿يَخرُجُ من بطونها شرابٌ مختلفٌ الوانه فيه شفاء للناس﴾.[2]

وقال الرسول ﷺ:

(نعم الشراب العسل.. يرعى القلب ويذهب برد الصدر).[3]

وروي عنه ﷺ (رواه ابن أبي نسيبة في (مصنفه) وابن عدي عن ابن مسعود موقوفاً. كما قال البيهقي: (العسل شفاء من كل داء).

العسل في التاريخ والاديان:

لم يحدث ان اهتم الانسان بغذاء معين قدر اهتمامه بعسل النحل.... وقد وجد ان عسل النحل مخزوناً في مقابر الفراعنة منذ اكثر من خمسة الآف سنة. اعتقاداً منهم ان الانسان اذا قام يوم البعث فسوف يأكل العسل ويسترد بذلك عافيته وقوته.

والغريب ان هذا العسل قد احتفظ بطعمه وخصائصه في الآنية التي وضع فيها ولم يتغير منه سوى لونه الذي اصبح يميل الى السواد.

وورد ذكر العسل في اسفار قدماء الهنود في اناشيدهم المقدسة غذاءاً ودواءاً. وورد ذكر العسل في التوراة ايام النبي يعقوب عليه السلام حين سافر اولاده الىٰ مصر إذ نصحهم بتقديم قدر من العسل إلى فرعون مصر هدية.

وعندما أوفدِ رسول الله ﷺ الى الملوك يدعوهم الىٰ الاسلام اخذ المقوقس يسأل حاطب بن ابي بلتعة حامل رسالة الرسول عن طباع الرسول وعاداته وأحب الطعام اليه.. فلما علم انّ الرسول (ﷺ) يحبُّ العسل أرسل اليه عسلاً من مدينة بنها فقال الرسول (ﷺ):

(بارك الله في بنها العسل).[4]

---

(١) هنا الكلام عن العسل ننقله لفائدته بشيء من التصرف من كتاب الطب الوقائي في الاسلام للدكتور احمد شوقي الفنجري.

(٢) سورة النحل /٦٩.

(٣) رواه الديلمي عن عائشة (رض) مرفوعاً.

(٤) أوردَ هذا الحديث الدكتور أحمد شوقي الفنجري ولم نجد له أصلاً.

كيف تصنع النحلة العسل؟

العسل هو ناتج الرحيق الذي تمتصه النحلة من مختلف الأزهار ثم تختزنه في الخلايا السداسية للأقراص الشمعية.

وقد خص الله سبحانه النحلة بقدرة فائقة على التميز بين الأزهار النافعة والضارة والسامة.

وقد اجريت تجارب على النحل عدة مرات في معامل البحث ووضع أمام النحل أزهار بعض النباتات والأعشاب ذات الخصائص الطبية، النافعة وفي جانبها أزهار نباتات عديمة النفع ثم اخرىٰ ضارة أو سامة. فكأن النحل كله يحط على النوع الاول وحده مهما تغير مكانه أو لونه او نوعه.

وبعد ان تمتص النحلة الرحيق تخرج لسانها اثناء عودتها لكي تعرضه لأشعة الشمس المفيدة والمساعدة على تبخر الماء منه وتركيزه. وعندما تصل النحلة الىٰ الخلية تبدأ عملية تركيز العسل فتفرز عليه خمائر من لعابها تحوله من سكر القصب (سكروز) الىٰ سكر الفواكه (ليفيلوز) والىٰ (دكستروز) وهكذا تُسهل النحلة للأنسان عملية الهضم وسرعة الأمتصاص. وتقوم النحلة في الوقت نفسه بتثبيت الفيتامينات في العسل ومنعها من التحلل والفساد.

والنحلة الواحدة تعطي يومياً حوالي ١٠غم من العسل ويقتضيها ذلك ستين مرة ذهاباً وأياباً.

تركيب العسل:

يتركب العسل من ١٩ مادة حيوية مفيدة لجسم الانسان منها البروتين الذي يعطي الطاقة الحرارية ويساعد في نمو العضلات.

والكربوهيدرات في شكل سكر بسيط يسهل هضمه وأمتصاصه للمرضى والناقهين وفيتامين B6, B2, B1 الذي يستعمل في علاج حالات التيفوئيد والغثيان وحامض النيكوتنيك أسد الذي يؤدي نقصه الىٰ ظهور مرض البلاجرا.

والبلاكرا مرض يصيب الذي يعانون من سوء التغذية ونقص الامتصاض ومن اعراضه الاسهال المتواصل والتهاب الجلد والخرف.

ويحتوي العسل على فيتامين E الذي يساعد علىٰ الانجاب عند الرجال

والنساء وفي العسل ايضاً املاح الكالسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والمغنيسيوم والحديد والنحاس والفوسفور والكبريت والكلورين ومن هذه المعادن ما تكون في صورة املاح تساعد على تهدئة الاعصاب في حالات الأضطراب النفسي والعصبي واملاح الكالسيوم مفيدة للأطفال وتساعدهم على المشي وظهور الاسنان واملاح الحديد مهمة لتوليد كريات الدم الحمراء، وزيادة نسبة الهيموكلوبين. وحتى عهد قريب جداً لم يكن المتخصصون في التغذية والاطباء المعالجون يعلقون اهمية كبيرة على هذه المقادير في عسل النحل ولكن اتضح اخيراً ان هذه المعادن رغم ضآلة كميتها موجودة في العسل بنسب متوازنة تجعل الجسم البشري يستفيد منها بسرعة اعظم وبصورة اكمل من الكميات المركزة.

وقد اجرى فريق من الباحثين بكلية كلورادوا الزراعية عدة تجارب على النحل برئاسة الدكتور (ف. ج ساكيت) لكي يعرفوا أثر العسل في القضاء على الجراثيم فوضعوا في العسل مايكروب التيفوس والتايفويد والباراتايفويد والمايكروب المسبب لألتهاب الرئة والمكورات العنقودية ومايكروب الديزانتري فوجدوا أن العسل يقضي عليها جميعاً في مدة تتراوح بين ١٠ ساعات و٢٤ ساعة في حين ان هذه المايكروبات تستطيع ان تعيش على انواع السكريات الأخرى سنين طويلة وتتكاثر وتنمو وتزداد.

(فيه شفاء للناس)

١- استعمال العسل لفقر الدم:

ولما كان العسل يحتوي على مادة الحديد فمنَ الممكن اعطاؤه للأطفال بتركيز ملعقة صغيرة في ١٠٠س س من الحليب يومياً بدل قطرات الحديد التي في الغالب تؤدي الى الاسهال. والطفل يحتاج الى اعطائه الحديد قبل الشهر السادس.

٢- علاج الجروح المتقيحة والحروق:

يستعمل الأطباء الروس والصينيون مرهماً مركباً من العسل وزيت كبد الحوت بنسبة ٤/١ يزاد عليه بعض المطهرات وهذا المرهم له خواص سريعة في تخفيف الالم وتعقيم الجرح إذ أن الجراثيم لا تعيش على العسل ويحول

دون ظهور الفقاعات الجلدية والانتفاخات بعد الحروق.

٣- العسل في علاج قرحة المعدة والأثني عشر.

العسل مادة قلوية وهو بذلك يقلل بعض حموضة المعدة ويزيل آلام القرحة ويقلل حالات القيء والمغص الناجمة عن القرحة ولكي يكون العلاج ناجحاً يؤخذ العسل قبل الطعام بساعة.

٤-العسل علاج للبرد والزكام والتهاب الحلق:

يوصي الدكتور هيرتويج استعمال ١٠٠غم من العسل مع نصف ليمونة علاجاً للزكام والرشح.

٥- العسل في علاج التهاب الكبد:

يزيد العسل من مخزون الكبد من مادة الجليكوجين عن طريق زيادة الجلوكوز. لأنه يحتويه - وباتحاد الكلوكوز مع المادة الصفراء في الدم يتخلص من افراز الصفراء الزائد في الدم فيساعد على شفاء المريض.

ويستعمل العسل في علاج التسمم الكحولي ايضاً وتخليص الكبد من نسبة الكحول العالية وكذلك الدم.

٦- يستعمل العسل مسكناً للسعال ومزيلاً للرشح: ودخل فعلاً الصناعة الدوائية في المستحضرات الطبية لعلاج السعال مثل شراب Melrosum وشراب Venos اللذين يحتويان نسبة ٤٠٪ من العسل.

٧- ولما كان العسل مادة معقمة ومرطبة لذا استعمل في مستحضرات البشرة التي توصف لتشقق الجلد وخشونته وجروح الشفة والتهابات ضربة الشمس.

ولما كان العسل غذاء قبل ان يكون دواء فلا ننصح بالاعتماد الكلي على ما وَرَدَ من استطبابات في العسل بل يؤخذ رأي الطبيب المختص في كل حالة ويكون العسل هو البديل عن الدواء في الحالة المناسبة.

(وقد عالجت كل الجروح والخدوش والبثور الصغيرة في البشرة التي تصيب الاولاد بالعسل فكان الشفاء تاماً ١٠٠٪م.

كما عالجت الفطريات التي تكون بين اصابع القدم ويشكو كثير من الناس منها بالعسل الخالص وكانت النتيجة مشجعة). [1]

(١) تجربة المؤلف عمر محمود.

الصحة النفسية

١- العبادات الجماعية

ظاهرة انحراف الشيخوخة.

٢- دور الأسرة.

٣- طمأنينة الايمان.

٤- الأمل في الاسلام.

الأنتحار.

٥- ظاهرة العنف.

٦- مقارنة بين الحضارة الغربية والاسلام.

العناية.

اللذة والمصلحة.

تفكك الأسرة.

الهدوء والسكينة.

الأصوات المنكرة.

صفاء النفس.

٨- الترفيه عن النفس.

٩- الرعاية الأجتماعية.

الصحة النفسية : Psychologicol Health

في كتب الطب العربية نجد الكثير مما يشير الىٰ اهتمام جاد من الاطباء في الربط بين امراض النفس وامراض البدن اي العلاقة بين الامراض النفسية والأمراض العضوية وهو ما يطلق عليه اطباء اليومَ الطب النفسي البدني : Psych Somatic Medicine.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما يذكره ابن القيم في اسباب القيء :

(من الاعراض النفسانية، كالهم الشديد والغم والحزن وغلبة اشتغال الطبيعة والقوىٰ الطبيعية به رأوا اهتمامها بوروده عن تدبير البدن وإصلاح الغذاء وانضاجه وهضمه، فتقذفه المعدة. . . فان كل واحد من النفس والبدن ينفعل عن صاحبه ويؤثر كيفيته في كيفيته).[1]

ويعتبر فرعاً مهماً من فروع الطب ويبحث في العلاقات المتبادلة بين الجسم والنفس وفي تطبيق ما يعرف من الانفعالات علىٰ مشاكل المرض. فقد تأكد ان للحالة النفسية الأثر البالغ علىٰ وظائف الاعضاء الفسيولوجية فالتوتر العصبي والقلق النفسي، والارق والخوف، وغيرها قد ترفع من ضغط الدم وتساعد على الاصابة بقرحة المعدة أو اضطرابات القولون او الذبحة الصدرية وقد ترفع نسبة السكر في الدم وهناك انواع من الشلل النفسي والعمى النفسي وفقدان النطق العارض من التأثيرات النفسية.[2]

وكان للأسلام الأثر الكبير في الوقاية من الامراض النفسية بما شرعه من عبادات وما منحه لأتباعه من ثقافة ورحابة فكر وإيمان ركائز للوقاية من الامراض النفسية وتحمل الصدمات وتقليل اثرها.

العبادات الجماعية :

يمتاز الأسلام بالعبادات الجماعية والتي قوامها الحركة كالصلاة والتي تمتزج فيها الحركات الجسدية بالتطلعات الروحية والمناجاة بين الله سبحانه والأنسان. يتكلم مع خالقه ويطلب منه ويشكو له همومه ويبثه احزانه.

قال تعالىٰ : ﴿وإذا سألك عبادي عني فأني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾،[3]

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ص١٠٣

(٢) دكتور محمود الحاج قاسم في كتاب الطب الوقائي النبوي /ص٥٠ الموصل ١٩٨٧.

(٣) سورة البقرة /١٨٦

واستفادت مدارس العلاج النفسي الحديث من ظاهرة التجمع هذه لمتكررة في علاج كثير من الأمراض النفسية وسموها العلاج النفسي الجماعي.

والتوجه الىٰ المساجد والمكوث فيها خمس مرات في اليوم والليلة، يولّد ألفةً بين المصلين ومحبة وتعارفاً وتشابك مصالح احياناً وتقارباً بالزيجات من بنات وأخوات بعضهم لبعض. كل مظاهر الألفة هذه، تنهي العزلة التي تفترس كثيراً من ضحايا الأمراض النفسية. وعلى هذا الغرار من الألفة والمودة في هذا التجمع انشئت نوادٍ للعلاج النفسي في الغرب Cluppsycho Therapy (١)

وهناك في باحات المساجد وأروقتها تختفي الفوارق الطبقية تماماً ويؤم المسلمين أقرؤهم للقرآن واكثرهم علماً وورعاً بغض النظر عن بقية الأمتيازات الفردية الاخرى من مناصب وغنىٰ وانتماء قبلي أو قومي أو حزبي.

وفي ساحة المساجد يجد الانسان العزاء والراحة النفسية لكل من فاتته فرصة الحياة فسبقهُ الآخرون.

ويشعر الفرد بالمساواة أمام الله سبحانه ولا أفضلية لصاحب تلك المواهب والمكتسبات الا بالتقوى.

وباب التقوى مفتوح لكل الناس على سواء كلٌّ يستطيع ولوُجَهُ والتزود منه بالقدر الذي يريد.

وفي المسجد يشعر كل فرد باهميته فالجماعة تسأل عنه اذا غاب، وتزوره اذا مرض، وتساعده على قسوة الحياة اذا إحتاج، وتقف الىٰ جانبه في المصائب والملمات، وتشاركه الفرحة وقتها إذا فرح.

فيشعر كل فرد بالانتماء الى المجتمع المتعاطف المتوادد.

وهذه السلوكية الأجتماعية تلازم المسلم طوال حياته فلا فراغ ولا ملل.

وفي المسجد ينعم المسلم بأجواء العلم والفلسفة والمناقشات التي تحصل قبل الصلاة وبعدها، ويشارك كل فرد فيها بحرية مطلقة، فيدلي بما عنده فيفيد ويستفيد.

---

(١) دكتور أديب حسين عقراوي اخصائي الامراض النفسية في مستشفىٰ الموصل العسكري: التسميات الانكليزية نقلاً عنهُ.

(العلاج النفسي الجماعي Grouppsycho Therapy)[1]

حيث يتم مشاركة بين عشرة الى خمسة عشر مريضاً ممن تتشابه اعراضهم وسماتهم الشاذة في مناقشات جماعية تعقد عدة مرات اسبوعياً ولهذا العلاج اثر نفسي ذو قيمة إذ فيه المجال الرحب لانطلاق الانفعالات واسقاطها على اعضاء الجماعة وفي الشعور بكونهم ليسوا وحيدين في المعاناة ما يقوي لديهم شعور الانتماء للجماعة وثقتهم بها وتوحدهم بها مما يكون صورة السند العاطفي للمريض يعينه على الاستبصار.

أما المسلم في المسجد فيملك قوى إضافية منها الايمان بالسند الآلهي والشعور بالتوحد الفكري والمصيري مع المسلمين المجتمعين معه).[2]

وبالعبادات الجماعية هيأ الاسلام لاتباعه الاجواء الضرورية للتعاطف والألفة والتوحد.

وافتقرت المجتمعات الغربية لمثل هذه اللقاءات، مما جعلهم يعيشون حياة العزلة رغم الصخب والزحام.

وقد اطلق علم النفس الحديث على هذه الطريقة في اللقاء والمناقشة الحرة وادلاء كل فرد بما عندهُ بفكرة التداعي الحر (Free Asso Ciation).

ويجد المسلم في المسجد الاجيال من حولهِ تسعى في طريق العبادة لله والطاعة له، فهذا شيخ كبير وهذا الطفل الصغير. وهذا شاب مراهق وهنا كهل حصيف منسجمون كلهم يجمعهم النداء للصلاة.

وكانت المساجد ولا زالت كذلك مدارس ومعاهد يتخرج منها العلماء والادباء ومنتديات تنتشل المسلم من الجهل والفراغ.

ولكبار السن ما يشغل وقتهم ويعينهم على دنياهم والفوز بالاخرة فهم رواد المساجد والمقيمون فيها وعمّارها.

وبعد أن ودّعت النفس هوىٰ الشباب واستقرت، وقادته التجربة مع العقل إلى أنَّ الزبد يذهب جفاء وان ما ينفع الناس يمكث في الارض، ولا شيء يخلد الّا التقوىٰ، نجد شيوخنا قد عمّروا المساجد، يقيمون فروض

(١) شرح طريقة العلاج النفسي الجماعي / للدكتور صباح عبيد فندان عقراوي / طبيب الامراض النفسية والعصبية / الموصل - العراق.

(٢) التسمية الانكليزيه نقلا عن د. اديب عقراوي اختصاصي الامراض النفسية / الموصل.

العبادة لله سبحانه والتقرب اليهِ. وتكاد تغيب عن المجتمع الاسلامي انحرافات الشيخوخة.

ظاهرة انحراف الشيخوخة :-

قد يستغرب القاريء المسلم الشرقي من هذا التعبير -أنحراف الشيخوخة - فقد صكَّ سمعه انحراف الشباب وطيشهُ فكيف ينحرف الشيوخ؟

نعم انحرف الشيوخ في اوربا ايضاً بل أمعنوا في الاجرام والانحراف.

وقد جاء في تقرير عن امريكا في مؤتمر العنف والجريمة الذي عقد في لندن سنة ١٩٨٦ ، ان نسبة عالية من الجرائم والاعتداء الجنسي على الفتيات الصغيرات والاطفال الصغار وقتلهم بعدها، نفذها كبار السن ومع احفادهم احياناً.(١)

الحمد لله غابت عن مجتمعاتنا الاسلامية انحرافات الشيخوخة كما غابت من قبلها انحرافات وتسيب الشباب مع الأمتناع عن المحرمات فسَلِم المجتمع وسلِمت النفوس وضاقت دائرة المرض.

٢- دور الأسرة:

وللمسلم في أسرته حماية فريدة من نوعها. فتعهد الأب والأم والأخ الأكبر للأسرة ورعايتها يحمي صغارها ومرضاها ومعوزيها من الضياع والتشرد والحسرة والألم ويقي الأرامل والأيتام ويوفر لهم الأمن.

أنّ المجتمع الاسلامي مجتمع أسري من الدرجة الأولى ولا زلنا ننعم ببركاتهِ ورعايتهِ وألفته حتى يومنا هذا رغم أننا أبتعدنا عن المنهج الأسلامي كثيراً.

فنجد الأب يضحي بكل ما عنده لأسرته ويفني عمره وأحياناً يُهمل نفسه متمنياً أن يكون كل فردٍ في أسرته يعيش حياة أفضل من تلك الحياة التي عاشها هو، واكثر من ذلك الأم قبله تفعل. وهذه الاواصر القوية تجعل الأسرة متكافلة متعاونة فهي خلية فاعلة منتجة وتتحمل مسؤولية أفرادها وتتعاطف معهم لأجتياز صعاب الحياة.

فلا تترك أفرادها يصارع كل واحدٍ منهم قدره وحده فيخفق أو تهوي به

---

(١) محاضرة القاها د. رأفت خالد: في مستشفى الموصل العسكري ١٩٨٦

الريح في النوادي الليلية وأقبية المخدرات ودهاليز الجريمة والأنحراف.

بل نجدُ تحملَ المسؤولية والتعاون والنصرة والنجدة مُثل لا يُسمح المساس بها والنيل منها.

٣- طمأنينة الأيمان:

أنّ الطمأنينة التي يشيعها الأيمان بالنفوس أنطلاقاً من الأيمان بتوحيد الله سبحانه والقناعة بعدله والفوز برضاه وحبه واللجوء اليه في كل امر، وجمال التوكل عليه والأمل بلقائه ورضوانه والنعيم بالجنة التي أعدّها الله سبحانه للصابرين والصالحين من عباده. قال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية﴾.

كل هذا معلوم لدىٰ المؤمن. ولا مجهول في حياته وزوايا نفسه يخشاه ويرتعد منه.

والموت عند المؤمن ولادة جديدة في ملكوت الله سبحانه والفوز بالنظر إليه.

فلا مجهول يُرعب المسلم في حياته، ولا قنوط ولا يأس، بل استعداد عالٍ للتحمل وخدمة الآخرين والتضحية للمجتمع البشري بأسره.

بل رأفته ورِفُقه أمتد ليشمل كل ذات كبد رطبة... وأمتد أفق الرحمة في الاسلام الى قول الخليفة الراشد أبي بكر رضي الله عنه: لا تقطعوا شجرةً.

ومن حقائق الأيمان التي تشيع الطمأنينة في النفس قوله سبحانه: ﴿ما عندكم ينفذ وما عند الله باقٍ﴾.[1]

اذن كل شيء في الحياة يفنى ويبقىٰ العمل الصالح يرفعه الله اليه ليجزي صاحبه الجزاء الأوفىٰ. وان المال والبنين زينة للحياة مؤقتة ايضاً والباقيات من الأعمال الصالحات هي الثواب والأمل.

ويصور الشيخ محمد علي شاكر، طمأنينة الأيمان بقصيدة طويلة نختار منها الأبيات الآتية:-[2]

---

(١) سورة النحل /٩٦.

(٢) القصيدة منشورة في مجلة الأيمان / العدد الثاني / السنة الثانية ١٣٥٤هـ.

في حيَهم أحيو النداء
وتفتحت لهم السماء
علموا مقام العابدين
القانتين ولامِراء
الصائمين القائمين
الى الصلاة بلا رياء
جعلوا هداهم في رضا
الله والدنيـا هباء
ولعل ام البؤس لمْ
تحمل بغير الاغنياء
واظن ثدي الضعف
لم يرضعه إلا الأقوياء
وإذا جرى ضعف على بؤس
فقد تم الشقاء
وانظر رعاك الله أين
يكون في الدنيا الهناء
أو ليس اهل الله قد
عرفوا الحقيقة عن صفاء
تركوا طريقاً فيه دنيـ
ـانا تسيرُ علىٰ الثراء
سلكوا سبيلاً قومـ
ـته وعبدته الانبياء
ويسير فيهم بعدهم
اهل الصلاح الاولياء
الصابرون الحامدون
الخاشعون الاتقياء
والله نسأله الهدىٰ
والله يهدي من يشاء

العمل الصالح يعني ان تزهد فيما يتكالب عليه الناس. ان تدفع للفقير من ثروتك. ان تمد يد المساعدة الى كل محتاج، وتتجاوز عتبة الأنانية التي يعيش فيها كثير من الناس ويتنازعون باستمرار للفوز بمغانم الحياة وفرصها.

فيقل الخصام والمهاترات عند المسلم وتنعم نفسه بالهدوء والاستقرار والأيمان بان الدنيا هي ليست نهاية المطاف وانها مزرعة وموسم الحصاد آت لا محالة غداً.

هذه النظرة المتناسقة المتكاملة للأنسان والحياة تطرد الحزن والقنوط والشعور بالغبن وتدفع الانسان لتغيير واقعه المؤلم دون مساس بحقوق الآخرين والاعتداء واغتصاب.

قال سبحانه:

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا...﴾. [1]

(وما ذكر يعتبر تخفيف لعوامل التناقض في المجتمع مما يؤدي للأستقرار النفسي والوقاية من الاضطرابات النفسية). [2]

٤- الأمل في الاسلام:

قال الرسول ﷺ:

(ان قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة فان استطاع ان لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها). [3]

اذاً هو الأمل العريض في الكسب الحلال والعمل الدؤوب والتوكل الصحيح. وكل عمل ينجزه المسلم له مع الكسب السريع في الدنيا والأجر والمثوبة عند الله.

فمهما يجد المسلم من صعاب في طريق الحياة وتعثر وانتكاسات يبق حادي الامل يشدو بنفسهِ بكلام النبوة الخالد.

إذا قامت الساعة على احدكم وبيده فسيلة فليغرسها. فتنكشف الغمة وتبدأ الحياة باستئناف العمل والاستبشار.

لا يأس في حياة المسلم من تغيير الواقع السيء وقد منحه الاسلام هذا

---

(١) سورة القصص /٧٧.

(٢) تعليقه الدكتور صباح عقراوي.

(٣) رواه الامام احمد والطيالسي والبخاري في (الأدب الفرد) عن انس مرفوعاً.

التشبث بالعمل وتغيير الواقع لمصلحته فان غُلِبَ على أمره فلا قنوط من رحمة الله أبداً.

وان فاتته الفرصة اليوم فلن يخسر غداً ابداً مادام قد التزم المنهج الألهي (وذلك ما يعزز قدرته على الصمود في الشدائد والأزمات دون إسراف في العدوان والتهور أو استدرار العطف او الرثاء للذات).[1]

الانتحار: حرم الاسلام الانتحار وقتل النفس في اية حالة كانت. قال سبحانه:

﴿ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً﴾.[2]

وجاء في صحيح البخاري كتاب الطب عنه (ﷺ) أنه قال:

(من تردىٰ من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردىٰ فيها خالداً مخلداً فيها ابداً).

ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها ابداً).

ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها ابداً).

ولم يحرم الأسلام الأنتحار وحده بل منع المسلم من تمني الموت في حالك الايام ومر المصائب قال (ﷺ) في صحيح البخاري في باب المرض:

(لا يتمنين احدكم الموت لضرٍّ أصابه فان كان لابد فاعلاً فليقل اللّهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي).

إن ما نسمعه ونقرأه اليوم من ازدياد غدد المنتحرين في الغرب من الذين هم في قمة الثروة والشهرة وندرة ذلك في الشرق الاسلامي.

حسب مقاييس الغرب المادية وللحاجة والفقر والتخلف الذي نجده في اكثر المجتمعات الاسلامية، يجب ان تكون نسبة الأنتحار في الشرق اكثر من الغرب.

وبلغت حالات الانتحار في السويد والنرويج عشرين في كل ١٠٠ ألف وفي امريكا (١٩) وفي انكلترا وفرنسا ١٨

---

(١) المصدر نفسه أدناه.

(٢) سورة النساء / ٢٩

وفي العالم العربي ٢ في كل ١٠٠ ألف.

وقد انتحر مليونير امريكي في نيويورك وترك رسالة يقول فيها:

(قلّما يدرك ماهية العزلة ومدىٰ آثارها وذلك لأن الحشد ليس هو الصحبة والزحام لا يزيل الشعور بالوحدة). [١]

وسبب كثرة الانتحار في الغرب المترف هو:-

الفراغ الهائل في النفس الانسانية بسبب ضعف الايمان بالله، او فقدانه. وبقايا الايمان عندنا في الشرق الاسلامي والتوكل على الله، مازال يعطينا الامل بان الله سبحانه سيكافئنا على كل المعاناة التي نجدها في دنيانا الصغيرة المحدودة التي سنعبرها الى الاخرة حتماً.

قد يُنعم الله بالبلوىٰ وان عظمت
ويبتلي الله بعض القوم بالنعم.

وأنّ أجسادنا وديعة الله وخلقه وحياتنا منه سبحانه فلا ننهها بارادتنا لاي سبب كان.

والأيمان من عناصر القوة والاستقرار في شخصية الانسان يدفعه الى التشبث بالحياة والمثابرة والعمل وتغيير الواقع نحو الافضل.

والافضل في نظر الاسلام هو الذي يرضي الله سبحانه ومن المفاهيم الاسلامية، اليد العليا خير من اليد السفلىٰ، والعامل خير من القاعد وهذه من الثوابت في الضمير الاسلامي كما ان المسلم يعلم يقيناً ان ما اصابه لم يكن ليخطئه.

قال تعالى: [٢]

﴿ما اصاب من مصيبةٍ في الارض ولا في انفسكم إلّا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختالٍ فخور﴾.

ويحق لنا ان نقول ان الاسلام مرادف للحياة وضرورة لها.

وصدق شاعرنا محمد اقبال اذ يقول:

---

(١) الطب الوقائي في الاسلام د. احمد شوقي الفنجري.
(٢) سورة الحديد /٢٢ -٢٣

اذا الايمانُ ضاع فلا أمانٌ
ولا دنُيا لِمْن لم يحييِ دنيا

ومن رضي الحياة بغير دين
فقد جعلَ الفناء لها قرينا

وبعد ان يبذل المسلم جهده يرضى بالواقع فينشر هذا الرِضى القناعة في النفس ليصونها من التمزق بين الواقع المرفوض والأمل المرغوب فيه الذي قد يصعب تحقيقه او يستحيل. ومنحنا الاسلام سرّ السعادة والرضى بقوله سبحانه:

﴿. . لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم﴾ .[1]

فالسعادة التي ينشدها الطب الحديث، ويخطط لها الطب الوقائي لتوفيرها للناس ليست بالثراء وحده. فالحضارة الغربية متقدمة وثرية وان أعلىٰ نسبة من المنتحرين كانت في الدول الاسكندنافية ذات المستوىٰ المعاشي الجيد والحريات المطلقة.

كل هذا الثراء والترف لم يحقق للانسان الاستقرار المنشود والسعادة المرجوة مع البعد عن المنهج الالهي في مسيرة الحياة. فينهار المترف من اول صدمة يروح ضحيتها ويتجلد المسلم ويصبر ويحتسب امتثالاً لقوله سبحانه:

﴿وبشّر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا: أنّا لله وإنا إليه راجعون﴾ .[2]

فبعد ان يكل المسلم الامر كله لله ويصبر تمتليء ساحة الضمير ببركات الله ورحمته قال سبحانه:

﴿. اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ .[3]

وهذا هو منهج الهداية للمؤمن واستمرار الحياة.

﴿. واولئك هم المهتدون﴾ .[4]

وفي مسند الامام أحمد عنه ﷺ انه قال:

---

(١) سورة الحديد /٢٣
(٢) سورة البقرة /١٥٥ /١٥٦
(٣) سورة البقرة /١٥٧
(٤) سورة البقرة /١٥٧

(ما من احد تصيبه مصيبةٌ فيقولِ إنّا لله وانا إليه راجعون).

(اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلاّ آجره الله في مصيبته واخلف له خيراً منها).

وقال ﷺ:

(الصبر عند الصدمة الاولىٰ). [1]

فعلّم الرسول ﷺ اتباعه الصبر والتجلد للمصائب والاحزان حتى قال عمران بن الحصين (احبُّه إليَّ احبُّه إليه) توافقاً وقناعة وتجلداً لكل مصيبة وحزن.

والذي يعين المرء مع الصبر الصلاة والدعاء من الله سبحانه واللجوء اليه. فهو القادر على كشف الغم وازالة الهم بيده الامر وهو على كل شيء قدير. قال سبحانه:

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾. [2]

(والدعاء يتيح للانسان التنفيس عن المشاعر والهموم في حضرة من بيده الأمر والنهي فيحسن بالامان والاطمئنان. فتقوىٰ عزيمته ويتغلب على كل شيء وما يثير في نفسه القلق واليأس والقنوط فبذلك يكون في منجىٰ من الامراض النفسية والعصبية). [3]

٥- ظاهرة العنف :-

اجتاحت العالم الغربي موجة من العنف وفقدان الامل والجريمة احياناً حتى أضحت سمة من سماتهِ.

وبين فترة واخرىٰ نسمع عن منحرفين ومجرمين وقتلة خطرين مثل قصة الرجل الذي يهوي قتل السيدات الأرامل خنقاً فقتل ست عشرة امرأة لغير سبب سوى انهنَّ أرامل وحيدات!!

وقصة الشاب البريطاني الذ كان يعتدي جنسياً على اطفال المدارس ثم يقطع رؤوسهم ويعلقها على سور المدرسة. [4]

زد على ذلك حوادث العنف ومظاهرات الشباب والصدامات العنفية دون

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة البقرة / ٤٥.

(٣) الطب الوقائي في الاسلام د. احمد شوقي الفنجري.

(٤) كتاب الطب الوقائي النبوي د. محمود الحاج قاسم الموصل ١٩٨٨

مبرر كحوادث العنف في ملاعب كرة القدم واعمال الاعتداء التي قام بها الشباب الأنكليز في ملعب كرة القدم في أحدى الدول الأوربية والتي راح ضحيتها العشرات من الابرياء اما حوادث العنف في الدول الفقيرة فلها ما يبررها: من سوء توزيع الثروة وتعاسة الفقراء الى اضطهاد السلطات والأستئثار بالمغانم وكتم الأنفاس.

أمّا أن يمارس العنف والجريمة شعب حلّت مشاكله الأقتصادية وبرلماناته عامرة وفي صحفه وتعدد الأحزاب فسحة لكل رأي معارض أن يُطرح وأن يُعبّر عن نفسه.

أنها بالتأكيد مسألة تستحق الدراسة والنظر! ولقد مارس الإوربيون بحريتهم غير المحدودة كل ما يخطر على البال للحصول على اللذة والتمتع بالأستقرار فلم يُفلحوا. فمع مناداة سارتر بمذهب الوجوديّة الألحادية التي تدعو الىٰ حرية الأنسان المطلقة ورفع القيود عنه كلياً...

وظهور موجات الهيبز والخنافس الىٰ أنتشار الانحرافات الخلقية وتفشي تعاطي المخدرات. والأباحية الجنسية والتعري في الطرقات على شكل جماعات نساء ورجالاً وأنتشار افلام الجنس والعنف والجريمة.

وأزاء هذا الوضع الأجتماعي المتدهور فَطنَ قسم من الأوربيين والأمريكان الىٰ دراسة هذا الوضع وهذا الفراغ الذي يعاني منه الشباب.

وقد كتب الدكتور لويس فيور كتاباً سمّاه الحرية الطلابية (Academic Freedum) جاء فيه:

(أن ظاهرة العنف بين طلبة الجامعات تعود الىٰ وجود خواء أخلاقي في حياتهم.. والىٰ عدم وجود رسالة أنسانية مما يولد لديهم الشعور بضعة الحياة وتفاهتها.. ثم يقول التقرير. لقد أخفقت تربيتنا في اعطائهم هدفاً رفيعاً يصلح أن يكون رمزاً أو محوراً يُنَظِّمونَ حوله حياتهم ويبنون عليه طموحاتهم الأجتماعية والأنسانية).[1]

وقد يسأل القاري.

ان كانت كل هذه العيوب في الحضارة الغربية وفي المنهج الغربي في الحياة فما بالهم متقدمين علينا بمئات السنين نحن المسلمين؟

(١) الطب الوقائي في الاسلام د. احمد شوقي الفنجري.

من نحن؟

يجب أن نحدد أولاً من نحن، وهل نحن مسلمون حقاً، وكم نملك من الأسلام؟

وهل استفدنا من أسلامنا هذا، وهل عشناه سلوكاً ومعاملات وعبادة كما ندّعيه!

اعتقد جازماً بأنّ الأجابة لا

نحن وُلدنا مسلمين نملك الأسلام أسماً وتراثاً ويسمينا العالم كُلّه بالعالم الأسلامي.

لكن رصيدنا من الاسلام في واقع الحال قليل جداً.

تركنا الاسلام على الرفوف العالية واستجدينا من الغرب والشرق سقط المتاع وفتات الموائد وأعتبرها سادتنا وزعماؤنا أنظمة وألزمونا أياها ونحن لها كارهون.

فما قَدّمت لنا شيئاً يذكر وضيّعنا هويتنا الأسلامية الحقيقية وأصبحنا شرقيين أو غربيين في مناهجنا وتربيتنا وسلكونا في بيوتنا وفي مدارسنا وفي دوائر السياسة وصنع القرارات في برلماناتنا ومجالسنا.

فنحن مسلمون أسماً وغربيون ثقافة وسلوكاً ومنهج حياة. والمنهج واحد في الغرب الرأسمالي الحائر والشرق الشيوعي المقهور وفي كثير من بقاع الأرض المختلفة.

فتقاربت الثقافات وعمّ المنهج الغربي في الحياة حتى طغى على كثير من بلاد المسلمين أو فُرض عليهم.

لذا نجد أن امراض الحياة الغربية أصابتنا وأن كنّا لم نبلغ مستواهم في التقدم العلمي والصناعي.

فالقلق والخوف من المجهول والقلوب الفارغة الحيرىٰ التي لا تلوي على شيء، والضياع والتمزق بين ان تكون مُحمداً سلوكاً وثقافة أو أن تكون مستر سمث أو مستر جونسن! كل ذلك من سمات شبابنا وتمثل الحضارة الغربية اليوم كل الحضارة الجاهلية البعيدة عن الله...

٦- مقارنة بين الحضارة الغربية والاسلام:

١- الغايــة :-

يفتقر الانسان الغربي الى القيم التي يؤمن بها ويسعى الى تحقيقها. فالغربي لم يَعدُ يؤمن باله الكنيسة وطقوسها وتمثيلياتها واناشيدها . . .

والثقافة الحديثة لم تعطِ البديل فاصبح خاوياً لا يملك أي رصيد ايماني كان. وسقطت القيم وتحطمت المثل وخاب الضمير وعادَ الغربي لا يحسب لأله السموات والارض ايّ حسابٍ كان، ولم يبق عنده شيء جائز وآخر لا يجوز فكل ممكن في حسابهِ يتناوشه. . وكل ما استطاعه علمه ووصلت اليه يده فعله وما كان غير معقول عند أحمد فهو معقول عند جوني! لذا نجدهم بتمتعهم بمطلق الحرية فعلوا كل ما يحلو لهم حتى ولو ساء واضرّ بهم وبمجتمعهم. .

والعقل هنا لا يكفي ان يكون القائد والموجه، فالعقول متفاوتة ومختلفة والاذواق شتى ولا تلتقي دائماً.

فمن يكون الحَكَمْ بين مختلف العقول والاذواق والمصالح؟

ومن يضع للنفس حدودها ويردعها عمّا فيه حتفها؟

انه الله سبحانه الذي يقول:

﴿يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾. [١]

فالحياة لا يصونها إلاّ الايمان. وادامتها وتوازنها باتباع منهجه سبحانه وشريعته.

فالمسلم المطلوب اليوم الذي يؤمن بالله سبحانه ويتحرى حدود الشريعة فلا يتعداها طوال حياتهِ.

فلا فراغ روحي وعقائدي يعاني منه، فهو مسؤول امام الله سبحانه حتىٰ عن وقتهِ.

قال ﷺ:

(لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عن أربع: عن عمرهِ فيـم افناه وعن علمه ما فعل فيه. . وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ انفقهُ وعن جسمه فيمَ ابلاهُ). [٢]

(١) سورة الانفال / ٢٤

(٢) رواه الترمذي عن أبي برزة.

فالغاية واضحة المعالم في ضمير المسلم فهو يعرف ما يريد وانه وجُدَ لعبادة الله واستعمار الارض واقامة العدل واعطاء كل ذي حقٍ حقهُ. وميدان السباق هو أيام العمر على مسرح الحياة. . والسابق فيها من يعمل الخير اكثر من غيره.

قال ﷺ:

(خير الناس انفعهم للناس).[١]

وقال سبحانه:

﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً﴾.[٢]

وقال ﷺ:

(خياركم خيركم لأهلِهِ).[٣]

فليست اللذة هي الهدف ولا المصالح كما في الفكر الاوربي.

فللوصول الى اللذة كل شيء عندهم جائز.

ونيل المصلحة باي اسلوب كان ومهماً كان خسيساً.

ولا شيء عندهم خسيساً والاخر سامياً، كما غابت عن حياتهم كلمة الشرف وسلامة العرض من الدنس. طالما هو يمارس حريته في اقتناص لذته. وهذه مضمونة له.

اذن على الامةِ كلها من الله السلام!!!.

٢- اللذة والمصلحة:

طالما أن اللذة والمصلحة هما البديل عن الله سبحانه الذي يسعى المسلم لارضائه والعيش في منهجه. اذن لا شيء محرّم في قاموس الغرب ولا معنى للحلال. لذا إستَشْرَت[٤] كل الموبقات واشكال الانحراف وتطورت، كالمخدرات وادمان المسكرات والقمار واللعب بكل شيء. . .

وهم في غمرة البحث عن اللذة لم يجدوا الا العذاب الذي قادهم الى الانتحار وفي كذبتهم على المسيح عليه السلام بالمقولة التي ينسبونها إليه: (قليل من الخمر تصلح المعدة).

---

(١) رواه القضاعي عن جابر.

(٢) سورة الانسان /٨.

(٣) رواه الطبراني عن أبي كبشة ورمز اليه السيوطي بالحسن.

(٤) استشرت: ازدادت شدة او انتشاراً (تفاقمت).

نراهم شباباً ونساءاً ومراهقين قد حطمتهم الخمرة والمخدرات وادمانها. وما الضمان للنفس الانسانية ان تقف عند حدود معينة، حتى لو اخذت القليل من المسكر اليوم فستدمنه غداً وتعود لا تقنع بالقليل بل كل يوم تريد المزيد من الجرعة حتى تتلف ولات ساعة مندم.

وأورثت اللذة الألم، وبدل السعادة جلّبت الحسرة.

وبدل أن نفكر بالجياع والمرضى رحنا نعالج المترفين من أثر الاسراف والبذح والانحراف.

٣- تفكك الأسرة :-

لفشل الانظمة الاجتماعية في العالم وللاخفاق في استقرار الاسرة من جراء التسيب الخلقي واضفاء الاعتراف على العلاقات المحرّمة مع كلا الزوجين وترك الامهات لبيوتهن. الاثر الكبير في ضياع الشباب وانحرافهِ وتردي صحة الاطفال والحاق الاذىٰ الجسدي والنفسي بهم.

وانطلاقاً من مبدأ اللذة والمصلحة والأنانية لم يقْدِر الرجل والمرأة ان يصيق كل منهم تحمل اخطاء الآخر، فكثرت نسبة الطلاق بل أصبحت حالات الطلاق تتم موافقة القضاء عليها بالجملة في المحاكم المدنية وبتفكك الاسرة يضيع الأبناء ويتشردون فلا الأب المنغمس في اللذات يؤدبهم ولا الأم المخمورة ترحمهم، فيضيعون في دروب الحياة، ليتخرجوا فيها محترفي جريمة لتأمين حاجاتهم من مطعم ومسكن في البداية وهواية محببة في الكبر لانهم يكسبون دون تعب الثروات والأموال الكثيرة.

وهذا سبب ظاهرة تشكيل العصابات الكبيرة مثل المافيا وغيرها في الغرب الذي يفوح عطراً. وجمالاً في اذهان السُذّج من شبابنا.

في الوقت نفسه ينعم الاولاد والبنات في محيطنا السليم بالهدوء والطمأنينة في احضان أسرِهِمْ يلفَهم الهناء من كل جانب بحنان الام وجهد الاب. ومسؤولية المسلم تتجاوز حدود الاسرة الصغيرة الى الاقارب وصلة الارحام لتلف المجتمع كله بوارف ظلال الرحمة.

فمثلوم دينه من لم يصل رحمهُ وهم الاقارب من الأم والاب وتفرعاتهما ويقول الله سبحانه في محكم كتابه:

﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام﴾ .[1]

وصف الله سبحانه المجتمع الجاهلي بقوله :

﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض، اولئك هم الخاسرون﴾ . سورة البقرة /٢٧

والمسلم ابن مجتمعه لا يعيش منفصلاً عنه بل يترابط أشد الترابط فمسؤليته بعد الأسرة والأرحام عن الجيران.

فهو لهم أخ وصديق ومعين على تكاليف الحياة.

ويحدثنا القرآن بأحلى الكلام عن العناية بالجار وأحترامه

﴿والجار ذي القربى * والجار الجنب * والصاحب بالجنب * وأبن السبيل. . ﴾.[2]

وبعد هؤلاء أنت لكل من يحتاجك عون.

ولك وقفة مسؤول فيها أمام الله إنْ أستعان بك انسان ذو حاجة وأنت قادر ولم تسرع بحاجته

وبذا يُخرج الاسلام الفرد من دائرة (الأنا) المسيطرة البخيلة المحبة الخير لها فقط، الى رحاب الأسلام الواسعة.

﴿ . أن الانسان لِرَبّهِ لكنود وأنّه على ذلك لشهيد وأنّه لحب الخير الشديد. . ﴾ سورة العاديات.

فلا تظلم أنسان البتة. وكيف تظلم والأسلام يُلقنك من نعومة أظفارك.

(كلّ المسلم على المسلم حرام).

ولا تستخف بجهد الناس ولا تستغلهم ولا تبخسهم أموالهم. يقول سبحانه:

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ .[3]

أي شيء من مال أو متاع أو جهد عليك أن تقيّمه ولا تستغل حتى جهل صاحبه به.

---

(١) سورة النساء /١

(٢) سورة النساء /٣٦.

(٣) سورة الأعراف /٨٥.

فالمصلحة مشروطة بالشرع كما كانت قبلها اللذة. فلا كل ما تناله يدك مباح ولا كل ما تحصل عليه حلال فالحلال هو ما كان بلا بخس ولا أستغلال ولا أغتصاب والمسلم يتربى منذ الصغر على الغاية الكبرىٰ وهي رضى الله سبحانه. ومن كان الله غايته هانت عليه الدنيا وأبتعد عن الظلم والبغي والعدوان على الناس.

هذه بعض ملامح العيش في ظل الاسلام بطمأنينة واستقرار. ويريد اعداء الحياة التافهون طمس معالم النور الالهي.

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾.[1]

وقد سدّ الاسلام كل ذريعة (وسيلة) أو طريق يؤدي الى مفسدة أو خلل في حياة الفرد وسلامته وأمنه ومنع اقلاقه وترويعه.

وللقاريء ان يسأل!

اين ما تقوله. واين نجده؟

نقول له:

ان هذه الصورة هي صورة المجتمع الأسلامي الذي نصبو إليه وترنو عيوننا إليهِ ونود أن ننعم بمعطياتهِ.

وهو الحل لمشكلات الحضارة الحديثة. وهو الوقاية والعلاج للعلل والأمراض النفسية من التوتر والقلق والعنف والجريمة التي تعاني منها كل المجتمعات الأنسانية.

وعندما نسوق الامثال من اوربا وامريكا انما لكونها مثلاً مفتوحاً امامنا يطفو على السطح كلما يتفاعل داخل المجتمع ويخضع في كثير من الأحيان للدراسة والأحصاء. ان المجتمع الانساني كله يعاني اليوم من هذه الامراض.

٧- الهدوء والسكينة: -

من ميزات الحياة الاسلامية الهدوء والسكينة في كل مفاصل الحياة وصفحاتها الفردية منها والجماعية والبعد عن الصخب المرهق، والداخل الى

---

(١) سورة الصف /٨.

مساجدنا اليوم في صلاة الجمعة والخطيب يتكلم وقد يكون في الجامع الآلاف بل قد يجتمع في بيت الله الحرام ما يربو على المليون، فلا تسمع لهم صوتاً ولا همسا.

وهذا تدريب وتعليم وممارسة للعلم والتعلم لكل المستويات بمنتهى الأدب والانضباط وعدم التأثير على الآخرين. والأساءة اليهم.

قال ﷺ: (مَنْ مَسَّ الحصى فقد لغا).[1]

يقصد يوم الجمعة والخطيب يتكلم.

والتزم المسلمون بذلك فترىٰ الكبار والصغار المثقفين وغير المثقفين ملتزمين صامتين.

والمسلم هاديء في مشيته بلا استكبار وتعالٍ وجبروت فلا يترفع على اخوانه ومجتمعه، ويعاملهم بالرحمة، ولا يؤذيهم بسرعة سيارته ان كان من اصحاب السيارات ولا يُربِكهم ويرعبهم باستعمال المنبة باكثر مما تدعو اليه الحاجة.

قال سبحانه:

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾.[2]

حقاً، انها صورةٌ مُثلى للمجتمع الفاضل الذي يريده الاسلام.

الاصوات المنكرة:

نهى الاسلام عن الاصوات المنكرة والعالية دون مبرر اكثر مما يحتاج اليه السامع مما يثير الضجيج واختلاط الاصوات التي تثير النفوس وتعكر صفوها وتؤدي الى التوتر وشد الاعصاب دون مبرر.

قال سبحانه:

﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الأصوات لصوت الحمير﴾.[3]

لا مبرر للصياح ولا داعي لرفع الاصوات اكثر مما يحتاج اليه السامع في

---

(١) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة.

(٢) سورة الفرقان / ٦٣

(٣) سورة لقمان / ١٩

لغة التخاطب كما لا مبرر للتماوت، وخفض الصوت دون المستوى المطلوب وللمجالس ادابها

وقد علّم القرآن المسلمين إلاّ يرفعوا اصواتهم فوق صوت النبي ﷺ فقال سبحانه:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ . ﴾. [1]

ولتأثير الصوت العالي في نفس الانسان متكلماً او سامعاً اعتبر القرآن الكريم خفض الصوت من التقوىٰ.

قال سبحانه:

﴿ان الذين يغضون اصواتهم عند رسوُل الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ لهم مغفرة واجر عظيم﴾. [2]

وما كان صحيحاً مع رسول الله ﷺ يكون صحيحاً مع كل الآباء والامهات والاساتذة والشيوخ وكبار السن، ثم يتعودها المسلم في حياته فيكون من سماتِه الكلام الهاديء الواضح دون اثارة الصخب.

وعاب القرآن على بعض الاعراب مناداتهم الرسول ﷺ وقلة ذوقهم وجفوة طباعهم فقال سبحانه:

﴿ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون. . . ﴾. [3]

ومنع الاسلام الاصوات العالية دون مبرر حتى في الصلاة اذ يقول سبحانه:

﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بينَ ذلك سبيلا﴾. [4]

وفي الوقت الذي يوصينا الله سبحانه ألاّ نرفع صوتنا حتى في الصلاة. نجد ما يفعله الجاهلون اليوم الذين يستعملون مكبرات الصوت في المحلات العامة والشوارع والمطاعم واسواق البقالة ومحلات التسجيلات بمختلف الاصوات والاغاني السمجة الثقيلة على السمع التي تصل احياناً إلىٰ درجة القرَف والتقزز من كثرة التكرار.

---

(١) سورة الحجرات /٢

(٢) سورة الحجرات /٣.

(٣) سورة الحجرات /٤.

(٤) سورة الاسراء /١١٠

وانت تكره ان تسمع ما لا تحب، فقد تجاوز الجاهل على حريتك واقتحم عليك هدوءك وتفكيرك . . .

وقد أولت دولٌ موضوعَ الصخب والضوضاء اهميته وحرّمت استعمال المنبهات في بعض الشوارع، حتى خصصت منظمة الامم المتحدة اسبوعاً لمحاربة الضوضاء والتقليل منها!.

وكنا كذلك نحن المسلمين السبّاقين الى ذلك كما مرَّ بنا.

ونجد الهدي النبوي لم يترك المسلمين يرفعون اصواتهم اكثر من الحاجة حتى في الدعاء فنهاهم الرسول ﷺ في احدى الغزوات عندما تعالت اصوات المسلمين بالدعاء بقوله: (. فانكم لا تدعون اصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم).[1]

ونهاهم ايضاً عن رفع صوتهم بالقرآن في المساجد لئلا يؤثر بعضهم في قراءة الآخر فلا يفهم ما يقرأ ولا يتدبر تلاوته، ولا يقدر المصلي علىٰ اتمام صلاته في وسط الضوضاء واختلاط الاصوات فقال (ﷺ):

(ان كلاً منكم يناجي ربّه فلا يؤذي بعضكم بعضاً ولا يرفع بعضكم على بعض في القرآن)[2]

القرآن في مكبرات الأصوات:

ما نجد اليوم من استعمال مكبرات الصوت لقراءة القرآن بكل قدرة مكبرة الصوت ليصل الى ابعد مدىٰ هو ليس من التقوىٰ في شيء! . . . .

بل القرآن الكريم كتاب الله وشرعه ولائحة احكامه المقدسة ارفع واكرم من ان يتخذ وسيلة للأعلان عن موت فلان من الناس، وقسم كبير لم يعرف القرآن طوال حياته ولم يدخل القرآن بيته إلّا في القراءة بمأتمة.

وتراهم يروحون ويجيئون يحملون القهوة والماء والسكائر، وكل اثنين مشغولون بطيب الحديث بينهم، والقرآن يُتلىٰ باعلىٰ صوت ولا من مستمع منهم!! اللهم الا الجيران والمرضى والاطفال الذين يُرهقهم الصوت العالي المستمر ويحرمهم الراحة والنوم.

فارباً بالقرآن ان يكون بوقاً للأعلان عن وفاة فلان دونما اتعاظٍ به وانصات

(١) رواه البخاري ومسلم وأبي داؤد عن أبي موسى.

له وتقديس!!.

وعلى الاتقياء من المسلمين ان يكونوا القدوة لغيرهم. ولا يتبجح علينا في هذا أحد في دينهِ.

فصاحب التشريع ﷺ قال للذي رفع صوته اكثر من حاجة السامعين وهو يؤذن في الفلاة بكامل طاقته الصوتية (بعض هذا.. فليس بينكم غائب تنادونه ولا اصم تسمعونه).[1]

وذكر ابو قتادة قال:

بينما نحن مع النبي (ﷺ) إذ سمع جلبة رجال فلما صلىٰ قال:

(ما شأنكم قالوا استعجلنا الىٰ الصلاة. قال فلا تفعلوا. اذا اتيتم الصلاة فعليكم السكينة فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا).[2]

ولا بد من وصية هنا الىٰ كل المصلين ان يلتزموا تعليمات الرسول ﷺ. وعدم استخدام مكبرات الصوت في المساجد لغير الأذان بصوت معتدل جميل. وقد ياتي المسجد من لا يعرف اصول قراءة القرآن في هدوء الفجر بل في هجعة الليل يمسك بلاقطة (مكبرة الصوت) ليجرب صوته بأعلى نبرة وإنْ يمنعه احد فسيقول له إني أقرأ القرآن!.

وينسى تعاليم الرسول ﷺ بالهدوء وعدم رفع الصوت وبحسن الصوت بالقرآن.

قال ﷺ: ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنىٰ بالقرآن يجهر بهِ).[3]

فمن لم يجد في صوته النغمة العذبة الشجية ليسمعه الناس فليحتفظ به لنفسه، فهو مأجور إذا قرأ لنفسهِ فقط، وليعطِ الفرصة للأصوات الملائكية أن تصدح بآي الذكر الحكيم فتبدع في إداء القرآن وكأنه يتنزّل عند سماعه أول مرة.

صــفاء النفــس:-

أو راحة البال، ان تنام ليلتك دون أرق ولا قلق، دون خصام ولا تكالب على الحياة يمنع عن جفونك الكرىٰ فتضطر لسحبه باستعمال المهدئات

(١)
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه الامام احمد والبخاري ومسلم وأبو داؤد والنسائي عن أبي هريرة.

والمنومات.

دخل احد المسلمين مسجد الرسول ﷺ فقال ﷺ من أراد أن يرىٰ رجلاً من اهل الجنة فلينظر الىٰ فلان فوقعت كلمات الرسول (ﷺ) في نفس احد الصحابة فذهب من يومه الىٰ دار الصحابي الذي اشار اليه الرسول بانه من اهل الجنة فاستضافه وبقي عنده ثلاثة ايام ينظر فيها ما يفعل الرجل ويرىٰ درجة تقواه وكثرة عبادته. فلما لم يجد في الرجل فضلاً وزيادة عما عليه بقية المسلمين سأله بقولهِ سمعت رسول الله (ﷺ) يبشرك بالجنة وجئت انظر عبادتك فما رأيت فيها زيادة عنا فما سبب ذلك وبما فزت بالبشرىٰ بالجنة.

فقال الرجل:

والله ان اكرمني الله بالجنة فما بصلاة اكثر منكم ولكني لم أبتِ ليلة وفي قلبي ذرة حقد علىٰ مسلم.

وقد ذكر لي احد الصالحين انه في كل يوم يأوي الىٰ فراشه يناجي الله سبحانه بهذه الكلمات:

اللهم اغفر لكل من أسأتُ إليهِ.

اللهم اغفر لكل من ظلمته دون علمٍ مني.

اللهم سامح كل من اساء اليَّ.

بهذه النفوس الطيبة المطمئنة وراحة البال وهدوء الخواطر يأوي المسلمون بعد عناء النهار الىٰ مخادعهم لا طالب ولا مطلوب!!

كَسَبَ رزقه بالحلال وانفق في الحلال وارضى ربّه ولم يظلم احداً وليس في قلبه حقد ولا ضغينة علىٰ أحد.

هذه الصورة المشرقة الوضاءة لنفس المسلم الهادئة الرضية... تقابلها صورة شوهاء لبعض الناس يصفهم الرسول ﷺ بقوله:

(ان الله يبغض كل جعظري جوّاض سخاب في الاسواق جيفة في الليل عالم بامر الدنيا جاهل بأمر الآخرة) رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي.

هذا الذي يقضي بياض نهاره في الصراخ والصياح والمهارشة وايذاء الآخرين، وحلف الأيمان الكاذبة لغش الناس، ثم يأوي الىٰ فراشه آخر النهار فينام بلا وضوء ولا صلاة ولا نظافة كالجيفة. وصوته منكر مرتفع مزعج كصوت الحمار في النهار.

والنموذج الآخر:

هو الرجل الغربي الذي يقضي ساعات العمل ثم يندس في علب الليل وصخب الموسيقى العالية والرقص المجنون حتى يهده التعب ليعود الى بيته منهكاً وينام ليستأنف العمل غداً. والقلق يمزق نفسه حتى تصبح حياته رتيبة تافهة ثم تستبد بنفسه المخاوف فلا يجد نفسه الا في عيادات الأمراض النفسية او عند المنجمين يقرؤون له أولها طالعها ومستقبلها

٨- الترفيه عن النفس:

ان الاسلام دين الحياة.

والحياة التي أرادها الله سبحانه لعباده لا كهنوت فيها وما يصلح للمتدين يصلح لغيره وليس في الاسلام فئة خاصة يطلق عليها رجال الدين.

ان كل مسلم هو رجل دنيا ودين وطلب العلم فريضة على كل مسلم لذلك نجد النشاطات الانسانية المختلفة من جِدّ وهزل وترويح عن النفس ولهوٍ نظيف قد اباحها الاسلام واعترف بها وشجعها وجعلها من ميزاته احياناً لخلق جو الفرح الذي يكسر الروتين ويبدل اشكال وقوالب الحياة اليومية الرتيبة المملة احياناً بين فترة واخرى.

والانتقال من نشاط الى آخر يحفز النفس لمواصلة العمل ويساعدها على الاستمرار بهمة عالية وتقبُل اكثر لبرامج الجد اذا تخللها بعض الهزل.

ونجد ان الاسلام لم يضيق باللهو على انه نشاط انساني مسموح به في حدود الشرع ما لم يدع الى رذيلة او يدفع الى معصية. كافراح الاعراس وحفلات الختان التي يتخللها الطعام وولائم المواليد (العقيقة) والمناسبات الجميلة والاعياد.

قال سبحانه وتعالى معاتباً المسلمين الذين انفضوا عن الرسول ﷺ وهو يخطب فيهم:

﴿وإذا رأو تجارة او لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً﴾ سورة الجمعة.

فذكر القرآن اللهو نشاطاً انسانياً كما ان التجارة نشاط انساني كلاهما مسموح به فى حدوده الشرعية.

وعلى الانسان ألَّا يتمادىٰ ويخرج عن الحد فلكل وقته وللتقوىٰ الهيمنة على كل نشاطات الانسان فالمسلم يمزح ويتَنزّه ويلهو ويضحك ولا يطعن

في احد ولا يسخر من احد ولا يكذب.

قال (ﷺ):

(رَوِّحوا القلوب ساعة فساعة) اخرجه ابو داؤد في المراسيل.

وكان (ﷺ) يخرج مع اصحابه وكان (ﷺ) كثير التبسم ولم يكن عبوساً. بل كان لين الجانب دمث الخلق.

قال سبحانه:

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ [1]

فالحزن والكآبة وتعذيب الجسد والأنقطاع عن الناس ليس من الاسلام في شيء. لذا قال الرسول ﷺ:

(اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلَعَ الدَيْن وغَلبة الرجال) رواه احمد والبخاري ومسلم وغيرهم.

فرسول الله ﷺ يستعيذ بالله سبحانه من الحزن الذي يأخذ بتلابيب النفس ويودعها اقبية الهم والحزن والكآبة فإلى كل الذين لبسوا كهنوتاً كئيباً حزيناً لا تعرف البسمة الى شفافهم من سبيل ولا تناغي الفرحة قلوبهم ولا الاستبشار بكرم الله وعطائه نقول لهم:

انتم على دين اخترعتموه لأنفسكم ومأزق دخلتموه بارجلكم فالرسول (ﷺ) يقول:

(ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فانَّ المنْبَتْ لا أرضاَقطع ولا ظهراً ابقى). [2]

(المنبت) المتعب المحمَّل اكثر مما يستطيع لا يقطع المسافة التي يريد صاحبه قطعها ولا يستطيع حمَل صاحبه.

وسمح رسول الله (ﷺ) للأحباش باللعب في مسجده وقام أمام عائشة تنظر اليهم من خلفهِ.

وما خيِّر بين أمرين ﷺ إلاّ اختار أيسرهما.

وذكر ابن الاخوة الغناء فقال: [3]

(١) سورة آل عمران / ١٥٩

(٢) رواه البزار عن جابر ورمز اليه السيوطي بالضعف.

(٣) كتاب الحسبة لابن الأخوة ص٢١٢ مطبعة الفنون بكمبرج ١٩٣٧

(اما سماع الغناء فمختلف فيه أما اهل الحجاز فأباحوه ونقل عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة كراهيته ولم يبيحوه على الأطلاق ولم يحرموه على الأطلاق ويوسطوا فيه الكراهة واستدل من اباحه بما روىٰ عن النبي (ﷺ) انه مرَّ على جارية لحسان بن ثابت وهي تغني هل عليّ ويحكما ان لهوت من حَرج] فقال (ﷺ) لا حرج ان شاء الله. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الغناء زاد المشتاق. وكان إذا خلا في داره يترنم.

وكان لعثمان جاريتان تغنيان في الليل فاذا جاء وقت الأستغفار (قال لهما اسكتا..)

وهذا جميعه بشرط إلاّ يقع الاكثار منه والانقطاع اليه.

أما قوله سبحانه وتعالى:

﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله﴾.[1]

فهذا ينطبق على بعض المجتمعات الجاهلية التي تكرس اعلامها الاذاعي والتلفزيوني والسينمائي، لأداء الغناء الرخيص المبتذل الذي يدعو للرذيلة ويصرف الشباب عن كل امرٍ مثمر نافع لحياتهم بل يؤجج فيهم الشهوات وينفقون الاموال الكثيرة ويستجلبون الساقطات من اقطار الأرض جميعاً لهذا الغرض الرخيص.

فأمثال هؤلاء انفقوا أموال المسلمين وضيعوها على لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله.

ويقول الشيخ الجليل ابن تيمية رحمه الله:-

(واما سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصيته الافراح للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار، فان دين الاسلام واسع لا حرج فيه).[2]

٩- الرعاية الاجتماعية:-

هذه لمحة من تاريخ الحضارة الاسلامية وشواهد تطبيقية لتعاليم الاسلام وعنايته بالنساء المنقطعات والأرامل منهنَّ والمسِنّات اللواتي لا معيل لهنَّ، ولا قدرة لهنَّ على العمل، حفاظاً عليهنَّ من التشرد والضياع، أو

---

(١) سورة لقمان /٦

(٢) كتاب مجموعة الرسائل الكبرىٰ الرسالة السابعة، الوصية الكبرىٰ ص٣١٩. دار إحياء التراث العربي بيروت لابن تيمية.

اضطرارهن الى ممارسة الاعمال المرهقة، دونما رحمة لشيخوختهن وامتهان لكرامتهنّ، كما هو حال قسم من النساء. وقد شاهدَ الكثير من زوار الغرب من شبابنا ورجالنا المكانةَ المتردية للنساء العجائز، فهي إمّا تجمع الاوساخ أو تنظف الموائد في المطاعم العامة، بحركة مستمرة دونما رحمة بها وشفقة عليها وعلى كبر سنها، او تحمل حطامها وسقط المتاع في كيس متسكعة في أنفاق القطارات. في حين فطن المسلمون السابقون لهذه المشكلة فبنوا دوراً لمأوى النساء المذكورات، وسميت هذه الدور بالرباط. وتوفر لهنّ هذه الرباطات السكن والملابس والطعام والتثقيف.

(ان الرعاية الاجتماعية تعتبر سنداً مُهماً للفرد تنفس عنه الكرب النفسي، وتزيد من مناعته ومقاومته للأمراض النفسية، بل قد ثبت علمياً كونها من العوامل الحاسمة التي تؤثر في مصير المريض العقلي (Prognosis) بتأثيرها الايجابي في إطمئنان الفرد والتقليل من المعاناة، وكذلك بتوليد المبادءة (Initiation) نحو التحسن ومواصلتها الى حين الشفاء).[1]

ومن هذه الرباطات:

أمرت بانشائه السيدة فوز جارية علي بن احمد الجرجاني الوزير، بجوار مسجدها واوقفته على أم الخير الحجازية الواعظة، وكانت الحجازية واعظة زمانها، وقد تصدرت حلقات الدروس في جامع عمرو بن العاص حوالي سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤م). كما عنيت بتثقيف المقيمات بهذا الرباط.

ورباط الأندلس، ورباط البغدادية، ورباط سنقر السعدي وخانقاه أم أنوك.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة حافلة بالتوصيات بالأرامل والأيتام، وليس هنا موضع التفصيل.

ممارسة الطب: Practicing The Proffession Of Medicine

اعترف الاسلام بالطب علماً وتجربة وجرده من الخرافة والكهانة ونقل الاسلام الطب من التخلف والادعاء الى مجال العلم والتجربة.

فالعلم بالمفهوم الاسلامي هو:

---

(١) الدكتور صباح عبدخنداق طبيب الامراض النفسية والعصبية تعليقاً على الرعاية الاجتماعية في الاسلام وأهميتها.

علم الأديان وما يتعلق بها من فلسفات ورسالات سماوية وما كانت عليه الجاهلية من تعبدّ لغير الله وكل حقول المعرفة الانسانية التي تتفرع او تترتب على عقائد البشر المختلفة ونظرتهم الىٰ الدين والحياة.

وعلم الأبدان وكل ما يصلح الابدان من علوم المادة ويوفر لها ديمومتها والحياة الفضلىٰ ويخدمها، وأصل النظرة الاسلامية ان كل ما في الكون القريب مسخر له حتى اجواء الفضاء من حوله والمجموعة الشمسية وما في الارض جميعاً، يتبوأ منها حيث يشاء.

قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿الم تروا أنّ الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض واسبغ عليكم نعمهُ ظاهره وباطنه﴾ سورة لقمان / ١٩

فالطب علم وتجربة ومن لا يملكها لا يجوز له ممارسة المهنة. وللمتطفلين علىٰ المهنة بغير علمٍ ولا هدىٰ ولا تجربة موثقة ودرايةٍ يشهد لهم بها مجتمعهم حسب تطور المجتمع ومستواه العلمي خشية الحاق الضرر بالمجتمع، بخلل الممارسة وأخطائها.

قال ﷺ:

(من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن). [١]

وبهذا القرار النبوي الحاسم وضع الرسول (ﷺ) عقوبات علىٰ من مارس الطب بغير علم سابق به والحق الضرر بالناس وينسحب هذا القرار على كل من ينصح غيره باستعمال دواء معين او يصف له ذلك الدواء ويعلمه طريقة في العلاج وهو غير مؤهل لهذه الممارسة وليس له علم بها فلا يحق له الاشارة على غيره لانه يجهل أبعاد الدواء وتأثيراته الجانبية. وكمن علم من دواء بعض فوائده وغابت عنه تأثيراتِه السمية والتخريبات التي يحدثها سوء استعماله او زيادة جرعته.

وهذه الحالة موجودة وعلى نطاق واسع في مجتمعنا وكثيراً ما شاهدنا اناساً كثيرين يسعون لشراء دواء معين مثل الكوريتزون (دكسون أو سلستون) وعند سؤالهم عن دواعي الاستعمال يقولون بان فلاناً جاره او جارتها نصحت باستعماله للسمنة!! في حين ان الدواء المذكور يؤدي الى الورم وتجمع

(١) رواه ابو داؤد والنسائي وابن ماجة من حديث عمر بن شعيب.

السوائل في الوجه ويسمى (وجه القمر) وتبدو عليه علامات الصحة ومن هنا جاء الوهم بانه يسبب السمنة وهذه حالة مرضية وتأثير جانبي لسوء استعمال الدواء المذكور والامثلة كثيرة على سوء استعمال الادوية ولأدعياء الطب والذين لا يقدرون عواقب الاستعمال السيء للادوية.

ولا زلنا ونحن في عصر التقدم العلمي وانتشار الثقافة نسمع ونرىٰ اناساً يمارسون الطب بغير علم ويدّعون المعرفة وهم يسيؤون الى الناس ويؤذونهم من حيث لم يحتسبوا.

وكم من جاهل غبي تناول عصاه ليضرب شاباً او فتاة مرَّ بأزمة عصبية او حالة نفسية والحق بجسديهما الضرر والألم المبرح مدّعياً المشيخة او التقوىٰ وقد ألتف حوله مجموعة من قليلي العقول ضعاف العقيدة وجهلة الشريعة.

وكم من متناول لدواء يلقىٰ به حتفه دون استشارة طبيب حاذق.

حوادث غريبة لا مجال لذكرها باعداد لا تحصى الحقت الاذىٰ بالناس، وامرَ الرسول ﷺ ان يتضمن المزاول لمهنة الطب بغير علم التعويض للمريض عن الضرر الذي لحق به او اي تدهور في صحته من جراء اخطاء هذا المدّعي.

وقد ذكر كثير من الفقهاء المسلمين وجوب دفع الدية اذا هلك المريض من جرّاء عمل الطبيب الجاهل الذي مارس التطبيب وأودىٰ بحياة المريض ولم تكن له سابق معرفة.[1]

ولم يكتفِ الرسول ﷺ بهذا التحذير، بل نصح بالمبادرة الى مراجعة امهر الاطباء. فقد ذكر البخاري في صحيحه ان النبي ﷺ زار مريضاً وامر باحضار الطبيب فجيء بأثنين فقال لهما ﷺ: (ايكما أطب؟).

ايكما اكثر علماً وتجربة فليعالج المريض. لم يكتفِ باستدعاء الطبيب وانما اراد ان يختار الاكثر علماً وتجربة.

ولم يدَّع الرسول ﷺ العلم بكل شيء. فما بال غيره من الناس؟ واختيار الأكثر علماً وممارسة يعطي المريض الفرصة الفضلىٰ للشفاء العاجل.

---

(١) كتاب الطب النبوي لابن القيم ص١٠٩

امراض جهاز الهضم والوقاية منها:- Castro Intestinal Diseases & Their Prevention

حبب القرآن الكريم الى الانسان الأعتدال والتوازن في كل أمره.

وللأهمية البالغة للطعام في حياته فقد حبب للأنسان الاعتدال فيه وإلا تأخذه شهوة الطعام الى حد الاسراف.

قال سبحانه: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾.[1]

لا مانع من تنوع الطعام واختيار الافضل منه والمناسب للعمر والأنفع في حالتي الصحة والمرض.

قال الأمام الشافعي رحمه الله:

(ما شبعت منذ ست عشرة سنة، إلّا شبعة طرحتها لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة).[1]

كل ذلك دون الوصول الى الاسراف والاكثار.

بهذا قد يتجنب الأنسان كثيراً من امراض المعدة والجهاز الهضمي كله كالتخمة والحموضة وعسر الهضم وآلام الغازات وتهيج القولون وتقرحه ويحفظ لنفسه العافية ولماله ان يتسرب الىٰ اجور للفحص والعلاج. وهذا ما يقع فيه غالبية الناس فهم عن رد نفوسهم عن الطعام ضعاف. وما اكثر الذين يسرفون في طعامهم الىٰ حد الشكوىٰ والمرض فيضطرون والحالة هذه الىٰ زيارة الطبيب وتجرع الدواء.

ويتبدل الحال من تناول كفاية من الطعام لأدامة الحياة الىٰ المرض وعلاجه.

وكم من عائش ليأكل بدل ان يأكل ليعيش وشتان بين الأثنين. وقد شاهدنا الكثير من المرضى يسرفون في الطعام وجيوبهم مليئة بالدواء. لا يستطيعون منع انفسهم عن الأسراف.

وشخّص الرسول (ﷺ) هذه الظاهرة عند قسم ليس بالقليل من البشر. فقال ﷺ: (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن

---

(١) سورة الاعراف / ٣٠

(٢) آداب الشافعي لابن ابي حاتم الرازي ولعائشة ص١٠٦ ونقله ابن القيم في الطب النبوي ص١٣

صلبه، فان كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسهِ).[1]

واوضح الرسول (ﷺ) المسألة وبسَطها بشكل تفصيلي، فان دفعت شهيّته الطعام، الانسان للشراهة في الاكل والاكثار منه فليتذكر فعاليات الجسم الحياتية الأخرى بعد الطعام ومنها شرب الماء.

وان اكثر من الطعام والشراب فسيولد ذلك جهداً زائداً علىٰ القلب ويتولد نتيجة الهضم وازدراد الطعام كثيراً من الغازات التي تؤدي الى انتفاخ المعدة فتدفع الحجاب الحاجز فيضغط على الرئتين فيتولد ضيق التنفس الذي اشار إليه حديث المصطفى بقوله: (وثلث لِنفسهِ).

السمنة:

وتؤدي كثرة الطعام كما هو معروف الىٰ السمنة في الغالب لمن عنده استعداد كبير لأمتصاص وتمثيل الطعام وكثير ما هم، وأن ادّعى الرجل السمين والمرأة البدينة بأن طعامهما قليل.

فلا سمنة دون زيادة في الطعام عن حاجة الجسم اليه عدا السمنة المرضية المتأتية من فرط الهرمونات أو الورم وتجمع السوائل في الجسم وهذا لا يدخل في حساب السمنة.

وتأتي السمنة تصحبها ما نكره من الأمراض مثل السكري وضغط الدم والذبحة الصدرية وآلام المفاصل.

وليس كل مريض بما ذكرنا مفرط في طعامه أوسمين. إنما السمنة تزيد الأستعداد للأصابة بالأمراض المذكورة.

وقد يؤدي الاسراف في الطعام الىٰ زيادة مادة الكولسيترول في الدم والتي كانت موضوع بحث وتتبع من العلماء منذ ما يقارب خمسين سنة وقد جزؤوها وبحثوا في كل جزء منها بحثاً مفصلاً، حتىٰ رأوا تقليل الاطعمة التي يكثر فيها الكولسيترول مثل الزبدة والحليب الدسم والقيمر يقلل من إصابة شرايين القلب بالتضيق نتيجة الترسب فيها.[2]

ونظر الاسلام للسمنة والبطنة من وجهة النظر التعبُدية. واعتبرها اسراف لا فائدة منه.[3]

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم.

(٢) مجلة التربية الاسلامية في بغداد.

(٣) أورد بعض الكتاب (اياكم والبطنة فانها مفسدة للدين مورثة للسقم). وهو لا أصل لهُ.

لانك اكلت ما تستطيع ان تتصدق على جائع فتشبعه من غير ان تجوع او تظمأ أو تمرض. ولو اكلت ما لا تحتاجه أسرفت على نفسك وبذرت اموال الامة دون فائدة.

والسمنة مورثة للسقم كما تقدم شرحه ومكسلة للعبادة. فالاكل الكثير يستجلب النعاس ويخسر المسرف قيام الليل فينثلم شرفه الايماني حيث يقول الرسول ﷺ:

(شرف المؤمن صلاته بالليل وعزّه استغناؤه عما في ايدي الناس).[1]

ولا حتى اتمام صلاة العشاء احياناً. كذلك ثقل الوزن وكبر البطن يقلل قابلية الحركة.

فالسمين لا يستطيع التنطط ولا الهجوم ولا الصولة على الهدف ان كان من رجال المشاة ولا حتىٰ المناورة والالتفاف والكر على الاعداء في سوح الجهاد.

فان كسل عن الصلاة ولم يستطع تحمل اعباء الجهاد ولا الحج كذلك بصورة صحيحة فقد قصَّر في فرائض الدين.

وأورد بعض الكتاب الاحاديث ادناه وهي موضوعة لا أصل لها. (اعوذ بامتي من كبر البطن ومداومة النوم والكسل).

(اذِيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم).

ومن المعروف ان كثرة الطعام الدسم والاستمرار عليه توصل صاحبها الى غرف العناية المركزة والانعاش في المستشفيات اذ غالباً ما يصاب الأكلون بتضييق الشرايين التاجية للقلب كما اسلفنا والجلطة القلبية!.

يَنحصِرْهَمْ الأكول في توفير الطعام وتنوعه وتحسينه وتناوله. وكثير من الأكولين يبدون قليلي الأهتمام بالآخرين ويمتازون بكثرة الكلام الجزاف والتعابير الفَظَّة مع الآخرين والتبجح مما يدل علىٰ سماجة الذوق وتبلد الحس. وبعض الحرمان يستحث العواطف وعكسها الشبع.

علاج البطنة والسمنة وتخفيف الوزن:

ورَدَ في الاثر:

---

(١) رواه العقيلي في الضعفاء والخطيب.

قم من الطعام وانت تشتهيه.[1]

فلا ترخ لنفسك العنان وتستسلم للشهية حتىٰ تحس بالامتلاء مثلما يفعل الكثير من الناس. فالشبع عندهم الأحساس بالامتلاء.

وكلما ملأت معدتك فستعود ذلك وتطالبك بقدره في الأكلة القادمة ولو عودتها القليل لاستقامت لك واوحت اليك بالكف فتحس فعلاً بالشبع بهذا القليل.

ومما يساعد على الاقلال من الطعام ألاّ يأكل السمين مع عدد من الناس فهذا يزيد من شهيته وخاصة عند انسجامه بالحديث والمجاملة احياناً ويحبذ ان يأخذ قسطه من الطعام بماعون مفرد يضع فيه ما يحتاجه ولا يأكل مع المجموع في قصعة واحدة.

وغالباً ما يأكل السمين بعينيه قبل فمه فالأفضل ان لا يديم النظر إلىٰ الطعام، كما تفعل بعض ربات البيوت بترددها على الثلاجة وتناول ما تراه مما يزيد شهيتها ولا تستطيع منع نفسها عنه. وعلى السمين ان يكثر الخضار مثل الخيار والقثاء وبعض الطماطة والخس قبل الطعام ليشغل بعض فراغ المعدة فيساعده ذلك على الأحساس بالامتلاء والقناعة بالقليل من الطعام بعد ذلك.

التسمم وسوء الهضم :-

يقول الرسول ﷺ :-

(المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة، فاذا صحّت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا سقمت صدرت العروق بالسقم).[2]

المعدة هي حوض الهضم وقليل من الامتصاص لبعض المواد كالماء والكحول والسكر البسيط والسموم الذائبة.

فاذا كان الطعام ملوثاً ودخل المعدة فسرعان ما تتكاثر الجراثيم ان لم تمت بعصارات المعدة وحامضيتها وربما تفرز هذه الجراثيم سموماً تصدر عن المعدة الىٰ الجسم كله فيشعر الانسان بالغثيان والقيء والاسهال واضطراب القلب وارتفاع في درجة حرارة الجسم كله.

فهي تصدر الاسقام لكل العروق ان كان فيها سم (سقم) وتصدر

(١) أورد بعض الكتاب (قم من الطعام وانت تشتهيه) وهو موضوع على أنه حديث.

(٢) رواه العقيلي وابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعا والحديث ضعيف.

العروق بالصحة والعافية في حالة الطعام الطيب المستساغ القليل دون جهد على القلب أو ضغط على الرئتين ودون تجشؤ.

التجشــؤ: -

يوجد الهواء بصورة طبيعية في المنطقة العليا من المعدة يحمي نهاية المريء من الحوامض المعدية العالية التركيز، كما يعمل كصمام لعدم ارتفاع الطعام الى الأعلى وعندما يكثر الانسان من الطعام اكثر من طاقته وبحركة المعدة وتقلصاتها الدورية المعتادة مع الافرازات الطبيعية تكون هذه التقلصات قوية مما يؤدي الى دفع الطعام إلى بوابة المعدة الىٰ الاثني عشر وقسم منه يندفع الى الاعلى عبر الفتحة العليا للمعدة فيندفع امامه الهواء الموجود في اعلىٰ المعدة محدثاً ظاهرة التجشؤ.

فهو علامة الشبع والزيادة عن الحاجة.

ولهذا قال ﷺ في مجلسه للمتجشيء:

(كف عنا جشاءك فان اكثرهم شبعا في الدنيا اطولهم جوعاً يوم القيامة). [1]

أوقات الطعام:

لم يغفل الاسلام عن أوقات الطعام إذ جعلها مقرونة بالعبادة بتوافق رائع فالمصلي يدلف الى صلاة الفجر قبل بزوغ نور الصباح ويتم صلاته ويعود الى بيته فيتناول طعام الفطور ثم يبكر الىٰ عملهِ.

ولم تستفد المجتمعات الاسلامية عموماً من هذه المسيرة وهيَ ان تجعل ساعات العمل تبدأ بعد الفجر بساعة مثلاً فنشاط الانسان علىٰ اشدّه وانتبهت دول الى ذلك فأحدثت التوقيت الصيفي. وما زال في الوقت متسع وخاصة في الصيف إذ توجد ثلاث ساعات من الفراغ بين صلاة الفجر وبداية العمل في الأقل.

فالذي يصحو مبكراً يتناول فطوره مبكراً وغذاءه وعشاءه مبكراً، وكذلك نومه وهذا هو البرنامج الافضل للتغذية في الدليل الطبي.

ولما كان النوم بعد الطعام يؤدي الىٰ التخمة وعسر الهضم وكوابيس

(١) رواه الترمذي وابن ماجة وابن أبي الدنيا والحاكم والطبراني.

المنام لذا كانت أوقات الصلاة حائلاً دون ذلك فصلاة العشاء بعد تناول العشاء عند المغرب بساعة في الأقل لمن تناول فطوره وغداءه حسب المواقيت الاسلامية، وصلاة العصر مهمة للسلامة في وقتها حتىٰ لا تستمر نومة القيلولة فيضطر المسلم الىٰ النهوض وحضور صلاة العصر لذا قال سبحانه وتعالى:

﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطىٰ﴾.[1]

ويقول اكثر المفسرين بأنها صلاة العصر.

والمجرّب عند كثير من الناس ان النوم وقت العصر يؤدي الىٰ الكآبة والضجر واحياناً الىٰ فقدان الذاكرة المؤقت فيلتبس عليه الوقت فلا يعرف نفسه ان كان في الليل أو في النهار.

وقد يكون سبب ذلك انصراف الدم الىٰ المعدة لاتمام عملية الهضم وقلة وصول الدم الىٰ الدماغ.

آداب الطعام:

١- غسل الايدي.

علّم الرسول (ﷺ) قومه وشعوب العالم كلها آداب الطعام استكمالاً لصورة الانسان السوي المتحضر وتناقلتها اجيال المسلمين من بعده تطبيقاً عملياً حتى اصبحت جزء من حياتهم وعادات اجتماعية لهم.

فقد علمهم ﷺ غسل الايدي قبل الطعام وبعده وجاء في الأثر: (اغسل يديك قبل الطعام وبعد).[2]

وان يباشر والطعام بايديهم قبل أن يمسحوها بشيء اخر للتخلص من بقايا الماء فيها حتى لا تتلوث ثانية من جراء المسح. فلربما غسل احدنا يده ثم مسحها بمنشفة جماعية ملوثة كما هو الحال في اكثر البيوت في مجتمعنا. فتعود يده ملوثة ثانية اكثر مما كانت...

وقبل سنين قلائل توصل الانسان الى صنع المنشّفة بالهواء الحار وبهذا حافظ المسلم على طعامه نظيفاً بلا تلوث من يده التي يعمل بها.

٢- الاكل باليمين: سبق الكلام عنها في موضوع النظافة.

---

(١) سورة البقرة /٢٣٨

(٢) اورد بعض الكتاب حديث عن الرسول ولم يصح عندنا سَنده.

٣- تصغير اللقمة:

وروي عن الرسول ﷺ انه كان:

(يصغر اللقمة ويجيد المضغ ولا يلتقم لقمة إلاّ بعد بلع ما سبقها)[١]

فتصغير اللقمة فوق انه ذوق رفيع ويساعد على المضغ الجيد. والمضغ الجيد قبل بلع اللقمة يؤدي الى امتزاج اللقمة بالكامل باللعاب فتتشبع بانزيمات اللعاب التي تحول النشويات الى سكريات كاول انزيم تلتقيه اللقمة في الجسم فيسهل عملية الهضم في المعدة وكان ﷺ لا يلتقم لقمة الا بعد بلع سابقتها فلا يتدافع الطعام في فمه فيبتلع هواء معه مما يؤدي الى التجشؤ احياناً.

٤- كل مما يليك:

ورد عنه ﷺ انه كان يأكل ومعهم غلام وكانت يده تطوف في القصعة يتتبع اثار الدسم فقال الرسول ﷺ:

(وكل مما يليك).[٢]

وما احوجنا الى هذا الخلق وخاصة في الدعوات والحفلات فمن الناس من يتهافتون على الطعام ويملؤون بطونهم بمختلف الانواع وكأن بهم مجاعة أو حلت المجاعة قريباً من دارهم..

٥- الطعام القليل:

علمنا الرسول ﷺ إلاّ نشبع.

وان لم نشبع فلا تخمة، وان صبرنا قليلاً ولم ناكل حتى نجوع فسناخذ حاجتنا من الطعام بشهية ولذة وسيكون وقت الطعام ممتعاً مفرحاً كفرحة الصائم عند الافطار لذا.. قال ﷺ:

(نحن قوم اذا اكلنا لا نشبع ولا ناكل حتى نجوع).[١]

وأهاب الرسول ﷺ بالمؤمن ان يتطلع الى ما هو اكثر جدوى وفائدة من الطعام من نشاطات الحياة الاخرى والا يحصر همه في طعامه وان يعرض نفسه للنفحات الألهية المتمثلة بالعلم الممتع الغزير واسرار الكون البديع وان تكون همته عالية لعمل الخير ومنح السعادة للاخرين. لذا قال ﷺ:

---

(١) هذا الوصف اورده بعض المؤلفين في الطب ولم نجد له اصل في كتب الحديث.

(٢) متفق عليه من حديث عمرو بن أبي سلمة.

(المؤمن يأكل بمعي واحد) رواه اصحاب السنن.

فلا يضيع زهرة العُمر بالاكل والشرب فقط، وإلّا يكون همّه بطنه. فيقل قدره واما الحديث الدائر على ألسنةِ الناس (الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا كل جسم ما اعتاد) فهذا من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب ولا يصح رفعه الى النبي ﷺ. وقد ذكر ذلك الشيخ ابن القيم رحمه الله في كتاب الطب النبوي.

٦- المشاركة في الطعام:

ولننعم النظر في كلام الرسول ﷺ وهو يقول:

(طعام الاثنين يكفي ثلاثة) متفق عليه.

فليكسر كل إنسان الشح في نفسه والحرص على الشبع وليعطِ الفرصة لاطعام انسان اخر.

ما اروع كلمة الاطعام في العرف الاسلامي اذ تتداعى كل المعاني الخيرة والنبيلة الى نفس المسلم وهو يطعم انساناً آخر بحاجة الى طعام يكاد يموت من شدة حاجته او أماً مرضعاً قد اهزلها الرضاع وقلة الطعام اوجاراً ذاوياً لا يجد ما يأكل.

وورد هذا اللفظ في الذكر الحكيم بصفة محببة رائعة بقوله سبحانه:

﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً﴾. [١]

﴿انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾. [٢]

من يفعل هذا من شعوب العالم المتحضر اليوم.

اي نوع من البشر هؤلاء؟

انهم اقرب الى درجة الملائكة في سمّوهم وعلو همتهم..

فهم يطعمون الطعام من غير مقابل حتى لعدوهم الاسير بين ايديهم لا يستأثرون بالطعام وحدهم كما يفعل اللئام الذين لا يحبون ان يشاركهم احد في طعامهم وصدقت يا رسول الله حين قلت:

(احب الطعام الى الله ما كثرت عليه الايدي). [٣]

---

(١) سورة الانسان /٨.

(٢) سورة الانسان /٩.

(٣) رواه ابو يعلىٰ وابن حبان والبيهقي والحديث حسن لغيره.

انه اطيب وامرأ وألذّ وابرك من ان يأكل الانسان وحده، واكثر فائدة فما زاد عن الحاجة يأكله اخوك ويساعدك على القناعة ويمنحك السعادة والرضى بأنك اطعمت جائعاً وفزت بحب الله . .

فقيمة السعادة والاحساس بها عندما تقرؤها على وجوه الاخرين . وما ذاق طعم السعادة من ضَحِك وحدهُ .

٧- هيئة الجلوس للطعام :

نهى رسول الله ﷺ أن يأكل الرجل وهو مستلقٍ على وجهه او متكيء خشية الاختناق وصعوبة البلع وعلمهم كيفية الجلوس بالهيئة التي تسهل عملية البلع ولا تضايق الاخرين على المائدة .

وكانت هيئة جلوسه ﷺ : (انه كان يجلس للاكل متوكأ على ركبتيهِ ويضع بطن قدمه اليسرىٰ على ظهر قدمهِ اليمنى) .(١)

ويصف ابن القيم هذه الهيئة بقوله :

(تواضعاً لربه عزّ وجَل وأدباً بين يديهِ واحتراماً للطعام وللمؤاكل فهذه الهيئة انفع الهيئات وافضلها لان الاعضاء تكون في وضعها الطبيعي .(٢)

٨- شرب الماء :

حرارة الجو وقلة الماء والحاجة اليه والتلهف والعطش، قد تدفع العطشان الى الغصص والاختناق أو الشرب بلا روية وتبصر ومن الضروري فحص الماء قبل الشرب فقد يكون عَلِق به ما يكدره .

قال ﷺ :

(اذا شرب احدكم فليمصه مصاً ولا تعبوه عباً فأنَّ الكبادَ من العبّ) .(٣)

العبّ هو تناول الماء جرعة واحدة او بجرع كبيرة. اما المص فيكون عادة بهدوء وروية وبكميات قليلة لانطباق الشفتين الجزئي الذي لا يسمح الا بمرور الماء ببطء، وتحتجز الشفتان ما علق بالماء من شوائب ان لم ترها وتتوضح طريقة العب بما كان يفعله سابقاً قسم من الناس عندما يشرب من القُلــة (الشــربة) . فيُبعِدُها عن فيه ويسكب الماء منها في فمه بتيار تسمع

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ص١٧٢

(٢) الطب النبوي لابن القيم ص١٧٢

(٣) اخرجه ابن عدي في الكامل والبيهقي في النسب من حديث انس (رض) بسند ضعيف.

له صوتاً مع ميلان رأسه للخلف مع الماءفهو لا يرىٰ ما يشرب. وقد يخالط الماء كثير من الشوائب بل والحشرات احياناً ويدخل مع الماء بطريقة العبّ هذه كثيرٌ من الهواء.

ودخول الماء الى المعدة بهذه الطريقة قد يؤدي احياناً الى تقلص المعدة وسريان الماء مباشرة الى الاثني عشر والامعاء الدقيقة مما يؤدي الى امتصاص هذه الكمية الكبيرة من الماء دفعة واحدة فيتخفف تركيز الدم بصورة مفاجئة مما يؤدي الى الدوار ويشعر بالحاجة الى الاستلقاء وفقدان القدرة على الوقوف.

كيف كان يشرب الرسول ﷺ الماء:

كان ﷺ يشرب الماء وهو جالس في الاغلب وكان يشرب الماء على ثلاث دفعات يتنفس بين كل دفعة واخرىٰ ويقول:

(انه اروىٰ وأمرأ وابرأ) اخرجه البخاري.

وقال ﷺ:

(لا تشربوا نفساً واحداً كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسمّوا اذا شربتم واحمدوا اذا فرغتم) رواه الترمذي في جامعهِ.

الطعام. وعظمة شخصية الرسول ﷺ:-

غيَّر الرسول ﷺ امة بكاملها واخرجها للناس امة متحضرة يطعم غنيها فقيرها ورسم من جديد خارطة العالم العقائدية والسياسية ولم يشبع من الطعام هو وأصحابه.

وتروي امنا السيدة عائشة (رض) انه كان يمر عليهم الشهر والشهران ولم يوقد في بيته ﷺ نار للطعام.

لننظر اليوم الى قليلي الهمة الأكولين المسرفين على موائد النهم والترف والسكر من زعماء العرب والمسلمين ماذا قدموا لامتهم غير الخيبة والتخلف والتعلق بفضلات الغرب ومنتجاته؟ هذا لاغنيائهم اما فقراء هذه الزعامات فينتظرون كرم الامريكان وامثالهم من دول الشرق والغرب ليعيش شعبه عليها موصوماً بعار المساعدات اذ لا يستطيع ان يعَيش نفسه منفذاً شروط المساعدات المذلة كافة.

فهلّا استفاد زعماء المسلمين من اقتدائهم بالرسول ﷺ فهم يعيشون

بترف باذخ حتى الذين يقودون شعوباً فقيرة وشعوبهم تتضور جوعاً.

وكثيراً ما يكون سوء توزيع الثروة واستئثار الفئات الغالبة والمتنفذة هو سبب كثير من ويلات الفقر في المجتمعات الاسلامية.

وتروي لنا كتب السيرة عن اول رئيس لدولة الاسلام محمد ﷺ (وكانت القصاع ترِد الى حجراته في ركن صحن الجامع فلا يأخذ الا القليل لنفسه وأهل بيته ويبعث بالباقي الى اهل الصفة).

وأهل الصفة هؤلاء فقراء جياع كانوا يجتمعون في جانب من مسجد الرسول ﷺ حيث لا مأوىٰ لهم.

ونستنتج من هذا حكم الاسبقيات في سد الحاجات.

فان الرسول ﷺ اعتبر سد حاجة اهل الصفة هؤلاء اسبقية اولى من الطعام والسكن.

فالاسبقية الاولى اذاً في التخطيط لاقتصاد الدولة هو توفير الطعام لكل الناس بثمن او دون ثمن لمن لا يملك.

والهدف ألا يموت انسان من الجوع.

الصـــوم:

شرع الله سبحانه الصوم عبادة من اجل تزكية النفس وتطهيرها وتربيتها والصوم عبادة خالصة لوجه الله الهدف الرئيس منها تقوىٰ الله سبحانه وفرض الله سبحانه الصوم على عباده بالآية:

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.[1]

وللصوم الأثر الكبير في راحة الجهاز الهضمي المتعب طيلة ايام السنة وفي الصوم حث على الاستفادة من مخزون الشحوم في أنسجة الجسم كافة وعضلاته فتتحول هذه الشحوم وتتفتت وتنتج لنا الطاقة اللازمة لأدامة الحياة بدل الطعام.

حيث يفقد الكبد والطحال والعضلات ما يتراوح بين ٣٠٪ - ٦٠٪ من المواد الفائضة المخزونة).[2]

---

(١) سورة البقرة /١٨٣

(٢) كتاب الطب الوقائي النبوي د. محمود الحاج قاسم ص٣٨ الموصل ١٩٨٨

ويشرح لنا ﷺ حكمة الصوم وفائدته فيقول: (الصيام جنة).[1]
والجنة هي الوقاية من الامراض.

وفي كثير من الحالات المرضية يكون الصوم الجزئي عن نوع من الاطعمة ليوم أو بعض اليوم او الكلي، جزء مهماً من العلاج.

كما نفعل في حالات الاسهال حيث نمنع المريض عن تناول الاطعمة الصلبة او الدسمة عدا السوائل والماء عدة ساعات لتتم راحة الجهاز الهضمي ويستعيد صحته ويرجع الى طبيعته.

وقد علمنا بالتجربة المتكررة وعلمها كل طبيب يعمل في البلاد الاسلامية التي يصوم غالبية اهلها مثل مدينة الموصل. ان عدد مراجعي المستشفيات والعيادات الخاصة يقل في شهر رمضان من كل عام عدا المفرطين في الافطار المكثرين من الطعام ممن لم يستوعبوا حكمة التشريع ولم يستطيعوا منع انفسهم عن الطعام عند الافطار وهذا مصداق قوله ﷺ: (صوموا تصحوا).[2]

والمشاهد اليوم لمأساة البشرية الكبرى المتمثلة بتخمة عالم الاغنياء الى درجة المرض من جراء الاكثار من الطعام والتفنن في انواعه وتناول احلاه وألينه حتى تقرحت امعاؤهم وظهرت في اوربا امرض جديدة في الجهاز الهضمي لم تظهر في عالم الفقراء فعزّتها دراساتهم الى تناول ليّن الطعام ومطبوخه باستمرار يقابل هذا الترف حرمان الفقراء من الطعام الى درجة الموت جوعاً ان الذي يعتدل في طعامه وشرابه ويضبط نفسه هو على غيرها اقدر تبرز هنا شخصيته المسلم المتزن غير المسرف على نفسه الذي لا يعيش لنفسه وحدها بل لامته ايضاً.

ولو جمعنا وجبة الغداء لمليار مسلم صائم ليوم واحد لأبعدت شبح الموت عن مليار انسان ليوم واحد في الاقل في افريقيا الجائعة مثلاً.

ان ما يقدمه العالم المتخم لملايين من الجياع هو النزز اليسير الذي لا يسد الرمق بل يملأ افلام التصوير التلفزيوني لطلب الدعاية والظهور بالمظهر الانساني لذا تحصل الوفيات جوعاً. وان رأينا هذا الامر صعباً على التحقيق

(١) رواه الامام احمد والبخاري عن أبي هريرة.
(٢) رواه الطبراني في الاوسط، وابو نعيم في (الطب النبوي) من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

والعالم تقوده الحضارة الغربية اليوم المتسمة بسرعة المواصلات وتنوعها وسهولتها لكنها موغلة في الشح والمصلحة الشخصية والانانية.
فقد افلحت الحضارة الاسلامية عبر التاريخ في تكّوين مجتمع الكفاية وسد الحاجة لملايين البشر الذين عاشوا ايام عزّها وشموخها في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز أذْ لم يبق محتاج للاستفادة من فرصة الزكاة خلال سنتين من حكم عمر، واخذه بالعدل الاسلامي في توزيع الثروة. ومنع اقاربه وحاشيته وعشيرته من الاستئثار ونهب ثروة الامة. وتكافل افراد المجتمع الصغير الذي هو الاسرة على العيش هو من سمات المجتمع الاسلامي وحده وهو حصانة مبدئية لهم لسد الحاجة. ولقد عاش الرسول ﷺ وجيل الصحابة الاطهار ولم يتعودوا الشبع واعتبر بعض الصحابة ظاهرة الشبع اول مخالفة لمنهج الرسالة بعد وفاة الرسول ﷺ.

تحديد أيام الصوم:

قال سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم اياماً معدودات فما كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر﴾**.(١)

جاء التشريع بتحديد فترة الصوم لتتم الفائدة المرجوة منه روحياً وصحياً واجتماعياً.

ولأن الله سبحانه خلقنا بشراً نأكل الطعام ولم يخلقنا ملائكة، فارادنا إلّا نعطل الحياة بمواصلة الصيام فتخور مِنّا القوىٰ ونُقصِرّ في اداء واجباتنا فتفسد الحياة.

لذا نرىٰ الرسول ﷺ ينهي اصحابه عن صيام الدهر بقوله: (لا صامَ من صام الدهر).(٢)

ونهاهم ايضاً عن مواصلة الصوم لعدة ايام فقد وهبه الله سبحانه وتعالىٰ قابلية فريدة. فكان ﷺ يصوم اليومين والثلاثة ولا يفطر إلّا على ماء ولما رأىٰ من الصحابة من يتبعونه نهاهم بقوله: (وايكم مثلي اني أبيتُ يُطعمني ربي ويَسقيني).(٣)

---

(١) سورة البقرة / ١٨٤
(٢) رواه البخاري عن ابن عمرو.
(٣) متفق عليه.

وقد غضب الرسول ﷺ عندما بلغه ان نفراً من المسلمين قرروا الرهبنه واعتزال النساء وصيام الدهر وقيام الليل كله.

فقال لهم ﷺ: (. اما والله اني اخشاكم لله واتقاكم له، لكني اصوم وافطر، وأصلي وارقد واتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1]

حكمة الافطار على التمر:

من العادات التي علمنا اياها الرسول ﷺ هي ان نأكل التمر عند الافطار ان وجدناه اولاً

فقال ﷺ:

(أذا أفطر احدكم فليفطر على تمر فان لم يجد فليفطر على ماء فانه طهور). [2]

والتمر يحتوي على المواد السكرية التي سرعان ما تمتص فتصل الى الدم بسرعة ويرتفع مستوىٰ السكر في الدم ويشعر به الصائم نشاطاً يدب في جسمه وقوة في التركيز والرؤية ويقلل نوعاً ما من شعور الصائم بالحاجة الى الطعام فتقل شهيته فيأكل ما يكفيه دون افراط.

وبصورة خاصة اذا اتبع الصائم الافطار على التمر بصلاة المغرب فذلك وقت كاف لامتصاص السكر ووصوله الى الدم مما يعمل على تقليل الشهية فلا يفرط في الاكل.

اما اذا بدأت فطورك باللحم والمأكولات المقلية الاخرىٰ التي تتكون من البروتينات والنشويات والدهنيات فهذه تحتاج الى تبسيط وهضم وتمثيل ريثما يتحول قسم منها الى سكر يمتص ويرتفع مستوىٰ السكر في الدم. فيرسل الدماغ اشارة للمعدة ويحصل الاحساس بالشبع ولربما استعرت شهية الطعام عندك حتى تحس بالامتلاء والتقيؤ والتهاب المعدة احياناً وكل هذا يؤدي الى التخمة وضيق التنفس وتعفن الطعام والتجشؤ مثلما يحصل عند بعض الصائمين اول يوم الصوم.

وان لم يجد الصائم تمراً فليفطر علىٰ الماء قبل الطعام او الماء مخلوطاً بشيء من اللبن الخفيف فذلك اكثر فائدة له.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه احمد وابو داؤد وابن ماجة والدارمي بسند صحيح.

ولكبار السن خاصة شرب الماء عند الأفطار قبل الطعام قد يحرك الامعاء ويقلل من حالة الامساك التي يشكو منها كبار السن عادة.

رخصة الافطار في ايام الصوم:

والله سبحانه قد شرع الصوم لصحة الانسان وفائدته، للفرد القادر عليه البالغ المعافى في جسمه وعقله لذا جاءت الرخصة بالآية الكريمة: -

﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدة من أيام أخر﴾. [1]

﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾. [2]

الفئة الاولى المتمتعة بالرخصة هم المرضى، فمن كان مريضاً اليوم ويرجو الشفاء غداً فلا بأس بافطاره على ان يعوض في ايام اخر.

والفئة الثانية: الذين يطيقونه بصعوبة ومشقة وتكلفة يؤثر في سلامة اجسادهم وقابليتهم، ووظائف اجهزة الجسم الحياتية. فلهم ان يفطروا علىٰ ان يدفعوا الفدية. وهي اطعام مسكين واحد كل يوم وفي هذهٔ الرحمة الواسعة للمجتمع فقد اطعمنا جائعاً مدة شهر وفاز آخر برضى الله سبحانه عنه وتمتّع بالرخصة.

هذا ما يؤكد ما قلنا من أعتبار الاسلام قضية الجوع واطعام الجائع في مقدمة الاهداف التي يسعى لتحقيقها.

فغاية الاسلام هي توفير الطعام للناس كما قلنا رغم تخرصات المتشدقين بتفاهات الشرق والغرب التي تفقر الشعوب ولا تطعم الجياع.

و كثيراً ما كان يدّعى اعداء الاسلام بان الاسلام يعتمد علىٰ الصدقات وانها فيها الاهانة للفقراء. وفي زحمة الصراع بين الجاهلية الحديثة والاسلام، استطاعت الجاهلية ان تغيب الاسلام عن برامج الحياة الاقتصادية ولو لفترة محدودة واخذت على عاتقها الحلَ..

فماذا قدمت للجياع؟

زادتهم فقراً وحسرة، وان كان الاسلام قد شرّع قطع يد السارق وعفا عن الجائعين فلم ينزل بهم حد السرقة كما أجتهد عمر بن الخطاب (رض) فان جاهلية اليوم قد شرعت قتل السارق وان دعاه الجوع الى السرقة!.

(١) سورة البقرة / ١٨٤

(٢) سورة البقرة / ١٨٤

ان الشعارات الكثيرة واللافتات البّراقة لا تشبع الجياع كما لم تستطع الشيوعية ان تشبع الجياع رغم مناداتهم (يافقراء العالم اتحدوا) فقد اتحد الفقراء واكل في الاخرِ طعامهم الاغنياء والمتنفدون واعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بل رأيناهم يغزون افقر شعب في العالم بدل ان يهبوا له الرغيف، ورشقوهم بألسنة النار والجراثيم وغازات الاعصاب وبكل الاسلحة المدمرة.

وقد حفظ الانسان كرامة الانسان ومنع المن والاذىٰ والكلام الذي ينتقص من قدر الفقراء ويجرحهم بقول القرآن الخالد:

﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذىٰ﴾.[1]

﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾.[2]

ويحدثنا الرسول (ﷺ) عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله: (. ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).[3]

ونعود الىٰ الرخصة في الصوم:

فهولاء الذين يطيقونه في الغالب:

١- كبار السن:

الذين ذوت منهم الاجساد وضعفت قابليتهم علىٰ الهضم والتمثيل ويحتاجون الىٰ وجبات صغيرة متقاربة لا تسبب لهم عسر الهضم ولا انحطاط القدرة اذا كان الوقت طويلاً بين وجبة وأخرىٰ.

٢- المرأة الحامل والمرضع:

ويصعب على الحامل والمرضع الصوم لحاجة الجنين أو الطفل الرضيع الى الطعام من مصدره الام فيرهقها الصيام وتتردىٰ صحتها وتصاب بنقص كبير في بعض المواد الضرورية للطفل، مثل الكالسيوم، ويضر الصيام بطفلها فيقل الحليب عند المرضع اثناء فترة الصوم لذا اباح لها الافطار ووقاية لها وتصوم في ايام اخر.

---

(١) سورة البقرة /٢٦٣

(٢) سورة البقرة /٢٦٤

(٣) رواه مالك والترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد، ورواه احمد والبخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة.

وارى ان تدفع بعض الامهات الصغيرات الفدية عن صومهن ان كان عندها الحمل متتابعاً فهي اما حامل او مرضع وتستمر الحالة هذه لسنين طويلة. وقد لا يمهلها قدرها ان تصوم كل هذه الاشهر فوق مشقة ذلك. فالافضل ان تدفع الفدية ان تمكنت وحكمها هنا يشبه حكم المريض المُزمن الذي يتأخر شفاؤه في القريب المنظور.

٣- المرضى والمصابون بامراض يتأخر البرء منها وتطول فترة علاجها كقرحة المعدة والاثني عشر، والتهاب المعدة المزمن وتقرحات القولون او مرضى القلب وضغط الدم الذي يضطرون الى تناول حبوب العلاج في اوقاتها او مرضى السكر وامراض الكلى وقلة كفاءتها وعطلها.

ومتروك تقدير ذلك لضمير المسلم قبل رأي الطبيب فمتى وجد القدرة في نفسه، صام ان لم يوجد مانع طبي من صيامه ينصحه به طبيبه. ولا نأخذ في الحسبان من يسعى ليجد طبيباً يُحِلُّ له الافطار باعتباره من الذين لا يطيقونه فهذا ليس له مقام في حساب الصائمين.

٤- المجاهدون في سبيل الله:

قد تُحتِم المعارك ولهيبها وجهدها وعناؤها إفطار المجاهدين من الصنوف كافة وخاصة المُشاة والطيارين الذين يحتاجون الى قابلية واستعداد جسدي عالٍ لاداء واجباتهم الجهادية، فيرخص لهم في الافطار.

وفي احدى غزوات الرسول ﷺ في رمضان كان من الصحابة الكرام مفطرون وآخرون صائمين. فكان الجهد الأكبر يقوم به المفطرون، فقال رسول الله ﷺ:

(ذهب المفطرون باليوم الآخر). متفق عليه من حديث انس.

لخدمتهم وتحمّل المشاق الكبيرة والجهد عنهم. فرخص الله للمجاهدين في الأفطار حتى لا تنحط قابلياتهم الجسدية.

العناية بالمرضى:

العناية الالهية بالانسان بدأت بقافلة الانبياء مكلّلة بتاج الانبياء محمد ﷺ ورسالته التي اراد الله لها الهيمنة على حياة الانسان واسعاده وتخفيف الآمه ومعاناته.

قال سبحانه:

﴿ليظهره على الدين كلِّه﴾ .[1]

فالانبياء والصالحون وأولياء الله وأحباؤه ورموز الخير من البشر في جنبات الارض، كل اولئك ليعرف الانسان طريق سعادته فلا يضل ولا يشقى وينسجم مع واقعه وتستقيم حياته في التعامل مع بقية الموجودات بأقل المعاناة .

ومن سمات العناية الالهية بالمريض ومراعاته في حالة ضعفه واضطراب وظائف جسمه وتأثير المحيط فيه وحاجته الى مساعدة غيره والاهتمام به .

نرى رحمة الله سبحانه تتجلى عبر الرسالة الاسلامية قرآناً وسنة حتى اسقط الله سبحانه التكاليف التعبدية او اجلّ بعضها لحين الشفاء من المرض .

ففي عبادة الصوم مثلاً، رخص الله سبحانه للصائم المريض ان يفطر لانه ربما يكون بحاجة الى طاقة زائدة لمواجهة المرض يعينه عليه تناول الطعام اويحتاج الى استعمال ادوية خلال ساعات النهار اوربما حالة مرضية تستوجب الاستزادة من تناول الماء .

قال سبحانه :

﴿فمن كان منكم مريضاً او على سفرٍ فعدةٌ من ايام اخر﴾ . سورة البقرة / ١٨٤

وفي فريضة الحج يجب على الحاج من الرجال ان يترك رأسه حاسراً بلا غطاء فترة الاحرام وللمريض الذي به اذىٰ في رأسه . الرخصة ولكل مريض لا يستطيع تحمل حر الشمس ووهجها على رأسه او الذي فيه اذىً في رأسه ان يغطي رأسه ويدفع الفدية او العبادة البديلة لرفع التحرج عنه وتركه في خيارات ثلاثة صيام أو صدقة أو نسك .

قال سبحانه :

﴿فمن كان مريضاً أو به أذىً من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ سورة البقرة /٩٦ .

التيمم : وعندما يعجز الانسان عن استعمال الماء للغسل أو الوضوء

(١) سورة الفتح /٢٨

بدواعي المرض ينتقل الى التيمم.

ومن رحمة الله سبحانه أنه لم يحدد المرض وأنما تركه لضمير المسلم فهو الذي يقدر حالته.

﴿وأن كنتم مرضى أو علىٰ سفراً أو جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا﴾ سورة النساء /٤٣

وورد في السنة جواز المسح على الجبيرة أو (اللفائف) للعضو المجروح أو المصاب بمرض يضر به أستعمال الماء.

وقد ذهب علماء الأسلام الى القول: بأن الضرورات تبيح المحظورات. من أجل الحفاظ على سُلامة الأنسان وعافيته ودفع الضرر عنه.

شروط اللياقة البدنية والخدمة العسكرية:

كانت الشريعة الاسلامية سباقة في وضع شروط اللياقة البدنية لحمل السلاح والاستعداد للجهاد والدفاع عن الاسلام عقيدة ووطناً: فقد اعفى الاسلام المسلم المريض ومن كان به عوق يمنعه من حمل السلاح وتكاليف فريضة الجهاد.

فقال سبحانه: **﴿ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج﴾** سورة الفتح /١٦

وقد مر بنا كيف رد الرسول ﷺ ذلك الشاب النحيف لصغر سنه ولما اختبر قوته واستعداده قبله.

فهؤلاء الضعفاء من الناس يستحقون فعلاً اعفاءهم من تكاليف الخدمة العسكرية الشاقة عليهم.

وترفرف علينا رحمة الله من علٍ تمنحنا الأمان والطمأنينة بقوله سبحانه:

﴿لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها﴾ سورة البقرة /٢٨٦

فهذه الآية الكريمة قليلة الكلمات واسعة المعنى شاملة الحكم. وتقدر سعة كل انسان وقابلية تحملّه بقدرها وحسب حالة الاجيال المتعاقبة علىٰ مسيرة الحياة لتخفف عن البشر بعض اعباء الحياة التي ينوء بحملها المريض والضعيف والشيخ الكبير والمرأة الهزيلة.

ومن السيرة العطرة للرسول ﷺ اذ جاءهُ الصحابي عمران بن الحصين يشكو مرضاً الَمَّ بهِ. قال عمران كانت بي بواسير.

فسألت النبي ﷺ في الصلاة قال ﷺ: (صلِّ قائماً فان لم تستطع فقاعداً فان لم تستطع فعلى جنب). [1]

زيارة المريض:

علمنا ﷺ زيارة المريض وأصولها وأشار الىٰ ان تكون قصيرة وان تتحدث معه بكلام يرفع من ثقته بالله ويزيد استعداده للشفاء ويجبر نفسه الكسيرة فيحس بقرب الامل بالشفاء وتحققه وينعم بالحنان يدثّره من اهله واحبابه.

قال (ﷺ):

(اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل، فان ذلك لا يرد شيئاً، وهو يطيب نفس المريض). [2]

وكان الرسول (ﷺ): يسأل المريض عن مرضه الذي يشكو منه ويضع يده على جبهته ويدعو له بقوله: (لا بأس عليك طهور ان شاء الله).

تقبيل المريض:

اعتاد كثير من الناس زيادةً في المحبة تقبيل المريض عند زيارته والاقرباء خاصة منهم النساء ونظام الوقاية في الاسلام متكامل لمن اراد الالتزام.

ولم نقرأ عن الرسول (ﷺ) انه قبل مريضاً عند زيارته له بل قد حدد التقبيل عادة اجتماعية عدا تقبيل الرجل لزوجته وولدهِ.

وقد سأل احد الصحابة الرسول (ﷺ) بقوله: الرجل يلقىٰ اخاه أينحني له؟ قال: لا قيلَ ايلتزمه ويقبله قال: لا قيل ايصافحه قال: نعم.

وان من القبل ما ينقل المرض من المصاب الى السليم ونهىٰ الرسول (ﷺ) واضح فلا مبرر لتعريض الأنسان نفسه لخطر الأصابة بالمرض. ويعتبر لعاب المريض وسيط لنقل المرض وعند التقبيل يتم نقل جرعة كبيرة من الجراثيم من المريض الى السليم او قد يتسلم المريض اصابة جديدة بمرض آخر يضعف مناعته وقلة مقاومته للمزيد من الجراثيم الوافدة.

(١) رواه البخاري

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد

التمريض في الاسلام:

كما علمنا الاسلام بحق التوكل على الله وبعد الأخذ بالأسباب، ألاّ نتوجس خيفة من الامراض بعد ان أخذنا باسباب الوقاية من لقاحات وحبوب وقاية وعزل للمرضى ان كانت الحالة تستوجب ذلك.

وألاّ نهمل انساناً يعاني الألم ويتوجع وان نقدم له يد المساعدة علىٰ مستوىٰ الفرد في اسرته او التمريض في المؤسسات الصحية والمستشفيات.

فتبسمك في وجه أخيك صدقة. وذرّة الخير لا ينساها الله سبحانه بل يحفظها وينميها لك فما بالك بمريض ينتظر منك المساعدة على الشفاء بحسن التمريض من نظافة وعناية ومداواة لجراحه وتشخيص لمرضه وتقديم العلاج اللازم له وفي غفلة المسلمين عن الأسلام وابتعادهم عن خيمة رحمته أنحط مستوى التمريض في المستشفيات في كثير من البلاد الأسلامية وتغيرت النظرة للأخت الممرضة ولم يُعتَنَ بتربية الممرضات في مدارس التمريض والعناية بهن والحفاظ عليهم ومتابعتهن.

فاضطرت بعض البلدان الأسلامية ان تستورد الممرضات للعناية بمرضاها اين بنات المسلمين ونساؤهم لماذا لا نُعِدهَن الأعداد الصحيح لهذه المهمّة لماذا لم نربط مهنة التمريض بالعقيدة ونختار ذوات الخلق والدين والاستقامة وتنشئهن النشأة الملائمة لمهنتهنَّ. ونضع لهن نظاماً ومظهراً وملابس وسلوكاً يحصر اهتمامهن بمهنتهن ويبعد عنهن كيد الشيطان واسهمه في تعاملهن وتصرفاتهن.

ثم نطرد كل مقصرة تتجهم في وجه المريض وتسمعه الكلام الخشن، وتستنكف عن مساعدته.

وقد ربط الاسلام المهنة بالعقيدة وعمل الخير فكانت خيمة رفيدة (ﷺ) في مسجد الرسول ﷺ تداوي الجرحى والمرضى وكانت الصحابيات الكريمات يصحبن الرسول ﷺ في غزواته ويداوين الجرحى.

اكراه المريض على الطعام:

يلح كثير من الاباء والامهات على اكراه المريض على الطعام بشتى الاساليب بدافع الحب والحنان.

وأن الاعراض عن الطعام اجد ظواهر المرض ومعلوم لدى الاطباء ان فقدان الشهية من اعراض المرض وقد يكون مصحوباً بارتفاع في درجة حرارة المريض احياناً. وأن طلب المريض للطعام هو علامة التحسن والتماثل للشفاء لذا قال ﷺ: (لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان الله عز وجل يطعمهم ويسقيهم). رواه الترمذي وابن ماجة.

كل مؤذٍ محظور في الشريعة الاسلامية

التدخين :

العافية :

ضرورات الحياة في الأسلام

النهي عن الكي

الكي في الطب الحديث

الكي المباح

لماذا نهى الرسول (ﷺ) عن الكي.

كل مؤذٍ محظور في الشريعة الاسلامية :

بدراستنا لما تقدم من اسباب الوقاية من الامراض التي قدمتها لنا الشريعة الاسلامية من خلال أوامرها ونواهيها رأينا اهتماماً كبيراً بصحة الانسان ووقايته ونستطيع ان نقول مطمئنين ان كل مؤذٍ لصحة الانسان وعافيته محظور في الشريعة الأسلامية وتختلف هذه المحظورات في درجة حرمتها. فمنها ما هو حرام تحريماً قطعياً لورود نصوص القرآن والسنة في تحريمه كالخمر والميتة ولحم الخنزير وبقية المحرمات التي يعرفها كل دارس للأسلام أما ما سكت عنه الاسلام اولم يكن وقت نزول الرسالة فقد وضحت الرسالة الالهية لشموليتها قواعد يستنبط منها علماء الشريعة الاحكام ومن هذه القواعد والثوابت قوله سبحانه :

﴿ولا تلقوا بايديكم الىٰ التهلكة﴾ .[1]

فلو أردنا ان نذكر كل ما يؤذي الانسان ويهلكه لاحتاج الأمر الىٰ جهد لا يتوقف وكتب كثيرة في هذه المؤذيات التي تودي بحياة الانسان. اذ تحتاج كل مادة مؤذية الىٰ كتاب لتحليلها وشرح اخطارها والوقاية منها. ولو نزلت الشريعة الاسلامية بكل هذه التفاصيل لعجز الأنسان عن الأحاطة بها والعلم بتفاصيلها.

لذا كانت هذه الآية وحديث الرسول (ﷺ) : (لا ضرر ولا ضرار)[2] عنواناً كبيراً ينطوي تحته كل ما يلحق الضرر بجسم الانسان وعقله وماله وشرفه ودينه. وتأدباً مع الله سبحانه الذي يحلل ويحرم وحده قال علماؤنا الأجلاء في كل شيء يصل الىٰ درجة الحرام لوضوح ضرره انه مكروه.

ومن هذه المواد الخطرة علىٰ صحة الانسان ومستقبله واسرته التدخين.

التدخين يسبب الموت المبكر :[3]

أثبتت البحوث والأحصائيات العلمية أن عدد الوفيات المبكرة يتراوح بين (١٠٠٠ - ٢٠٠٠) لكل مليون من البشر بسبب التدخين.

---

(١) سورة البقرة / ١٩٥

(٢) رواه الأمام احمد وابن ماجة.

(٣) عن نشرة جمعية مكافحة السرطان في الموصل ٢٨ / ت/ سنة ١٩٨٧

التدخين والسرطان:

يعد التدخين السبب في أصابة مليون شخص سنوياً بالسرطان بأنواعه المختلفة مثل سرطان الحنجرة والبلعوم والمريء والرئة والمثانة والكلية والبنكرياس وعنق الرحم.

التدخين وأمراض الجهاز التنفسي:

يسبب التدخين ٧٠٪ من أمراض الجهاز التنفسي والرئتين مثل التهاب القصبات الحاد والمزمن والربو وذات الرئة المتكرر عند أطفال المدخنين. والتدرن.

ويؤدي كذلك الىٰ الأصابة بأمراض القلب كالذبحة الصدرية وعدم كفاية الشرايين التاجية واحتشاء العضلة القلبية.

امراض الشرايين المحيطية:

نقص الدورة الدموية في الأطراف نتيجة أنقباض الأوعية الدموية والآم مبرحة في الساق والأصابع. والموت البطيء للأصابع.

امراض الشرايين الدماغية:

تأثر الوظائف العقلية مثل الخرف المبكر والشلل وفقدان النطق.

مضاعفات الحمل عند المدخنات:

الأجهاض والنزف ونزف المشيمة وتمزق الأغشية المبكر والولادة المبكرة ويقل وزن الوليد ٢٠٠غم في المعدّل مع احتمال اعلىٰ لوفاة الوليد عند الولادة ويقل انتاج حليب الأم المدخنة.[١]

أثبتت الدراسة العلمية التي أجراها كل من العالم مان أتيال سنة ١٩٧٥ وبيرال سنة ١٩٧٧ والعالم فيزي سنة ١٩٧٧ فقد وجدوا جميعاً أنّ خطر الموت بالجلطة القلبية يزداد عند النساء كبيرات السن اللواتي يستعملن حبوب منع الحمل والتدخين بنسبة ثلاثة أضعاف عن النساء اللواتي يستعملن الحبوب بدون تدخين. وأن خطر الموت بالجلطة وتضيق الشرايين عند المدخنات والمستعملات لحبوب منع الحمل هو عشرة أضعاف بالنسبة لغير المدخنات وغير المستعملات لحبوب منع الحمل. يمعنى أن كل امرأة لا تستعمل حبوب منع الحمل ولا تدخن تموت بالجلطة يموت بالمقابل

(١) المصدر نفسه اعلاه.

عشرة نساء من المدخنات والمستعملات لحبوب منع الحمل.[1]

ولم يعرف الشرق الأسلامي التدخين إلّا مع مجيء الأستعمار الغربي ينشر رذائله وخسته ومنتجاتهِ التدميرية ويمنع عنا كل ما يفيدنا من علم وتكنولوجيا وقد قدرت ارباح الشركات الامريكية للسيكائر والتبغ بخمسة الآف مليون دولار[2] تكفي لسد حاجة القارة الأفريقية الجائعة كلّها.

وقد اعتبرت الهيئات الطبية العلمية أن عادة التدخين تحولت الى أدمان يصعب التخلص منه فهو يأتي بالدرجة الثالثة بعد ادمان المخدرات والكحول.

فما احوجنا لقول الرسول (ﷺ): (لا ضرر ولا ضرار).[3]

وقد تبين أن ضرر التدخين اكثر من ضرر مخلفات احتراق المحرّكات كما جاء في التقرير الآتي:

The Increasing morbidity & mortality from bronditiy & selated heart disease is more Closely linked to increased cigarette smoking than air pollution from combustion of fuels.[4]

العافيـــة: -

ولقد أهتم الأسلام بالعافية وجعلها مطلباً ضرورياً يحرص الأنسان عليه لا يفرّط بها ويدعو الله أن يديم عافيته عليه.

جاء في مسند الأمام احمد أن النبي (ﷺ) قال للعباس:

(يا عباس يا عم رسول الله، سل الله العافية في الدنيا والآخرة) وقد وردَ في سنن النسائي عنه (ﷺ) قوله:

(سلوا لله العفوَ والعافية ،والمعافاة فما أوتيَ أحدٌ بعد يقين خيراً من معافاة).

ويعلق أبن القيم رحمه الله على هذا الحديث فيقول:

(وهذه الثلاثة تتضمن: أزالة الشرور الماضية بالعفو - ومن الشرور المرض - والحاضرة بالعافية والمستقبلة بالمعافاة فأنها تتضمن المداومة

(١) Adverse drug Inter Action P. 50

(٢) الطب الوقائي في الاسلام د. احمد شوقي الفنجري.

(٣)

(٤) Applied Pharma Cology - Anderew Wilson P. 561

والأستمرار على العافية.

وذكر الترمذي عنه (ﷺ): (ما سئل الله شيئاً أحب من العافية)

ليعلم هذا بعض المتواكلين الفاهمين خطأ بعض نصوص الاسلام ان العافية في الاسلام أمل يحث الناس على الحرص عليه ودعاء الله ادامته فمن الأولى الاخذ بالأسباب والتداوي وألّا يهمل المرء صحته ويدعها تتدهور رغم كثرة الناصحين له فانه مسؤول عنها امام الله سبحانه باعتبار الصحة والعافية من نعم الله على الانسان.

فكيف نعمد الىٰ هدر العافية بالتدخين أو المخدرات أو المنبهات او بكل شيء مستجد معلوم الضرر وان لم ينص عليه الشارع فقد روىٰ الترمذي من حديث أبي هريرة قال:

قال رسول الله (ﷺ):

(أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعم أن يُقال له الم نصح لك جسمك ونروِّك من الماء البارد).؟

ضرورات الحياة في الاسلام:

وقد جمع الرسول الكريم (ﷺ) ضرورات الحياة في كلام من نور بثلاث أمور هي:

١- العافية من الامراض والأسقام الجسمية والنفسية.

٢- الامن ويشمل الطمأنينة وعدم الخوف وتمام الحرية.

٣- توافر الطعام.

فقال (ﷺ) في حديث عبدالله بن محصن الأنصاري الذي يرويه الترمذي:

(من اصبح معافىً في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا).

وقد مَنّ الله سبحانه وتعالىٰ على قريش في مواضع كثيرة من القرآن بالأمن وتوافر الطعام الضروريين لحفظ الحياة.

﴿أوَلم يروا انّا جعلنا حَرماً آمِناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ (سورة العنكبوت /٦٧).

وقال سبحانه مذكراً قريشاً أيلافهم وتعودهم وهناءهم بما وفر لهم سبحانه ونسيانهم هذه النعم بقولِهِ: ﴿**لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾.

وقد تفوت فرصة الاستفادة من الصحة والشباب على كثير من الناس فيهدر شبابه في منعطفات الرذيلة ويبدد طاقات كثيرة كان الاولىٰ به ان يسخرها لما ينفعه في الدنيا ويسعده في الاخرة.

وكم سألني رجال ما يعيد لهم شيئاً من القدرة الجنسية التي فرطوا فيها في سني الشباب الأولى وهم لمّا يتجاوزوا الخامسة والثلاثين بعد لِيُعذروا من خيبتهم أمام زوجاتهم؟!

النهي عن الكي:

الكي في الطب العربي:-

كان العرب يكتوون عندما تفشل العلاجات كافة في اسعاف المريض من اي مرض كان فيعمدون الى الكي في اقرب مكان في الجسم يشتكون منه أو يتألمون، لذا قالوا آخر الدواء الكي. وكانوا يكتوون ايضاً تلافياً للمرض قبل وقوعه.

قال ابن قتيبة الكي جنسان: كي الصحيح لئلا يعتل وكي الجرح اذا نَفِلَ والعضو إذا قُطِعْ). [1]

الكي في الطب الحديث:

يستعمل في الطب الحديث (Cutary) في الحالات الآتية:

١- لايقاف النزيف وكي مناطق الالتهابات التي لا تستجيب للعلاج. [×]
لحرق الزوائد اللحمية في الجلد خاصة.

٢- لحرق بعض الاورام السرطانية بأشعة الليزر الحديثة الأستعمال.

عند استطلاعنا لهدي الرسول (ﷺ) في الكي نجد انه (ﷺ) نهى عن الكي بقوله: (وما احبُّ ان اكتوي) متفق عليه.

وفي لفظ آخر: (وانا انهى امتي عن الكي).

---

(١) كتاب الطب النبوي لابن القيم ص٥٠.

(×) (وكمثال كي عنق الرحم عند النساء في حالة الالتهاب المزمن الذي لا يستجيب للعلاج وفي عمليات البواسير، وفي العمليات الجراحية.

وفي جامع الترمذي وغيرهِ عن عمران بن حصين ان النبي (ﷺ): (نهى عن الكي) قال عمران فابتُلينا فاكتوينا فما افلحنا ولا أنجعنا). [1]

وثبت في الصحيح من حديث السبعين الفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب قالوا من هم يا رسول الله؟ قال:

(انهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون). [٣]

فهؤلاء الصنف من المؤمنين عالي الثقة بالله سبحانه أقوياء بإيمانهم فلا يسترقون قبل ان يصيبهم المرض ولا يكتوون ايضاً وقد قرن الرسول ﷺ الرقية والكي بالتطيّر بمعنى أن الكي والرقية غير المرغوب فيها هو ما يفعله ناس من الوسوسة والخوف من المرض والتشأؤم لذا نهاهم عنه الرسول ﷺ ولم ينههم عن التداوي. [٣]

الكي المباح:

وردت احاديث عن الرسول (ﷺ) يبيح الكي لقطع النزيف.

فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله:

(ان النبي (ﷺ) بعث الىٰ أبي بن كعب طبيباً فقطع له عرقاً وكواه عليه). [٤]

ولما رُمي سعد بن معاذ في اكحله حسمه النبي (ﷺ) ثم وُرِقت فحسمه ثانية (والحسم هو الكي).

وفي لفظ آخر:

(ان رجلاً من الانصار رمي في اكحله بمشقص فأمر النبي (ﷺ) فكوي.

نجد هنا ان الرسول (ﷺ) أباح الكي لقطع النزيف وكي الجروح في الاغلب.

نستخلص من هذا أن الرسول (ﷺ) نهاهم نهياً عاماً عن الكي وأباحه في حالة النزف والجراحة. وأما سكوته (ﷺ) عما فعل الصحابة فهذا لا يقلل من اهمية نهيه عنه. فقد جاء في صحيح البخاري من حديث انس: (انه

---

(١) نفس المصدر اعلاه.

(٢) اخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

(٣) كتاب الطب النبوي لابن القيم ص٥٠.

(٤) كتاب الطب النبوي لابن القيم ص٥٠.

كوي من ذات الجنب والنبي (ﷺ) حي .

وقد تقدم نهي الرسول (ﷺ) فعدم الالتزام لا يدل علىٰ اقرارهم عليه لوجود النص في النهي اما لو لم يوجد نص لقلنا انه (ﷺ) أقرّهم على ذلك مثلما حصل في موضوع تحديد النسل حيث قال رجال من الصحابة: (كنا نعزل والقرآن ينزل) فلم ينهنا.

بمعنى آخر أقرنا على ذلك وأباحهُ.

هنا الامر مختلف لورود النص بالنهي عن الكي عدا حالات النزف والجراحة، وهو ما يستعمل في الطب الحديث ايضاً ويقول ابن قتيبة في كي السليم الصحيح الجسم خوفاً من المرض (فهذا الذي قيل فيه - لم يتوكل من اكتوىٰ - لانه يريد أن يدفع القدر عن نفسه) بالشيء الظني الذي لم تتأكد فائدته. ويقول ابن قتيبة في الكي للتداوي من مختلف الأمراض: (اما إذا كان الكي للتداوي الذي يجوز ان ينجح ويجوز ألاّ ينجح فانه الىٰ الكراهة اقرب).[1]

لماذا نهى الرسول ﷺ عن الكي:

١- قد يحدث الكي على الجلد التقرحات الملتهبة والمتقيحة من جراء الحرق والتعرض للمحيط الملوث.

٢- يؤثر الحرق العميق في انسجة الجسم المختلفة والأعصاب التي تحت الجلد مثل تأثيرهُ في العصب المسؤول عن حركة القدم عندما يتم الحرق اسفل الركبة فقد يشعر المريض بخفة الألم ولكن يصاب بعدها بسقوط القدم.

٣- المعاناة من الآم الحرق وتشوهات الجلد خاصة عند النساء.

٤- يستعمل الاطباء اليوم المضادات الحيوية والادوية لتطهير موضع الحرق والمحافظة عليه من التلوث ولم يكن كلُّ هذا موجوداً سابقاً.

النهي عن التمارض:

نهى الرسول ﷺ عن ادعاء المرض او التظاهر به فقال (ﷺ): (لا تتمارضوا فتمرضوا ولا تحفروا قبوركم فتموتوا).[2]

---

(١) كتاب الطب النبوي لابن القيم ص٥٠.

(٢) حديث ضعيف روى عن ابن عباس مرفوعاً.

وكثيراً ما نجد هذا التمارض عند قسم من العاملين في المؤسسات الرسمية المختلفة بغية الحصول على أجازة من العمل.

ان هذا السلوك فوق كونه سلوكاً غير حضاري ولا يليق بالعقلاء من الناس فهو يؤدي الىٰ هدر في الطاقات الانتاجية وخسران لايام عمل تعود على الأمة كلها بالنفع والحاق الضرر بالمؤسسات التي يعملون فيها إذ انها في الغالب. تعطيهم اجورهم عن هذه الايام دون عمل قدموه لها. فتسلُّمُهم الاجور إعتداء على هذه المؤسسات وخسارة لها وفوق هذا كله فهم كثيراً ما يتمرضون فعلاً من جراء ادعائهم المرض وقد يموتون كذلك. واليكم هذه الحادثة التي كنت احد شهودها.

كان معنا في احد المعسكرات زميل طبيب وقد ضاق ذرعاً بحياة المعسكر فتمارض من اجل اخلائه الىٰ المستشفى وقد تم له ذلك وأرسل الىٰ احد مستشفيات المدينة القريبة ودخلها عدة أيام وحصل على اجازة مرضية يقضيها في المدينة ولكن سرعان ما عاد الى المستشفى نفسه ليدخله مريضاً فعلاً بالتهاب الكبد الفيروسي المعدي الخطير وبعد العلاج رجع الينا منهوك القوىٰ يخفي خجله بابتسامة قائلاً: صدق رسول الله حين قال: (ولا تمارضوا فتمرضوا فتموتوا).

الرياضة البدنية:

لاشك أن الرياضة البدنية ترفع من قابلية الجسم للمقاومة والتحمل للظروف الحياتية المختلفة وتزيد القابلية والمناعة ضد الأمراض وتزيد الرياضة من شعور صاحبها بالعافية والثقة بالنفس والمقدرة.

كما أنها تزيل السمنة وتمنع الترهل اذا أقترنت مع ضبط النفس في الطعام وتساعد الرياضة على حركة الأمعاء فتخفف من الأمساك الذي يعاني منه كبار السن.

والرياضة تنشط الدورة الدموية بشكل جيد وتعم الفائدة أجهزة الجسم كلّها، فينعم بالعافية.

العبادة والرياضة:

أن اكثر العبادات الأسلامية هي حركية الطابع تتطلب أداء حركة وعمل

شيء معين.

ابتداء من الصلاة بحركاتها المتناسقة والذهاب والأياب للمساجد وقبلها الوضوء وأنتهاء بالحج وما يصاحبه من حركة وتنقل وترحال وطواف حول البيت الحرام في كل طواف سبعة أشواط أضافة للسعي بين الصفا والمروة والهرولة بينهما احياناً

والملاحظ أنّ كبار السن يأنسون لهذهِ الرحلةِ المباركة ويتمنونها ويتهيئون لها رغم تعبهم أحياناً لما يجدون من تبدل وتغيير في طابع حياتهم، ونشاط يدب في أجساد طال خمولها. أضف الىٰ ذلك الشوق الذي يشدهم لرؤية معالم الأرض التي استقبلت الوحي أول مرّة ومنازل الرسول (ﷺ) ومساجدهِ وغزواته.

الرسول (ﷺ) يقبل المصارعة:-

قبل الرسول (ﷺ) الدعوة للمصارعة عندما خرج يوماً من بيت عائشة. فرأىٰ في طريقه رجلًا قوياً مشهوراً بالمصارعة وقوة الجسم ولم يجسر أحد على تحدّيه ومنازلته، وكان ركانة يرعى الغنم في احد الوديان بأتجاه بيت أم المؤمنين عائشة (رض).

وكان لركانة هذا من القوة والسطوة ما يهابه الرجال. وهو مشرك فلما رأى الرسول (ﷺ) ظنّ انها فرصته وأنّه سيقدر على تحديه وبعد محاورة مع الرسول (ﷺ) الذي كان يدعوه للأيمان. أتفق هذا مع الرسول (ﷺ) أن أستطاع أن يصرعه الرسول أن يؤمن به ويعطيه عشرة من الغنم.

فصرعه الرسول (ﷺ) ثلاث مرّات ولما أمتنع عن الأسلام استكباراً منه، ترك الرسول (ﷺ) غنمه أيضاً.

وهذا نبل محمد (ﷺ) وعظمته.

اذ لم تكن غايته (ﷺ) الغنم أو مجرد الفوز والنصر وأنما غايته الدعوة الى الايمان بالله وحده.

النظام الاسلامي للرياضة:

النظام السويدي عبارة عن تمرينات لمختلف أجزاء الجسم وعمر هذا النظام مائة وخمسون سنة تقريباً في حين أن نظام الصلاة بحركاته المتناسقة قد مضى عليه اكثر من ١٤٠٠ سنة.

والفرق بين حركة الجسم في الصلاة وحركته في نظام لنج السويدي هو أنّ حركة الجسم أثناء الصلاة أحْكم وأصلح لكل سن وجنس لذا نرىٰ أن الصلاة للصغار تُحبَّبْ لهم وأن لم تكن مفروضة عليهم ويقلِدّون آباءهم وأمهاتهم بها، كما هي للكبار والعجزة أيضاً ولكافة الأعمار.

أيّة حركة يستطيع العاجز أداءها في الصلاة مقبولة منه والفرض الذي لا يسقط عن المسلم العاقل إلاّ بالموت هي الصلاة.

ومن الممكن أيضاً أستبدال اللوح السويدي للرياضة بمدارسنا باللوح الأسلامي وهوحركات صلاة صامته سريعة متلاحقة يؤديها الأطفال في دروس الرياضة مثلاً والشباب والبنات.

حركات الوضوء:

لقد فرض علينا الاسلام الوضوء قبل الصلاة وما يرافقها من حركة وخلع واعادة لبس اكثر الملابس الخارجية لتنظيف الوجه والأطراف. تبدو قيمة هذه الحركات بالمقارنة مع الديانات الباقية وكيف يلفهم التقاعس والكسل كلما تقدم بهم العمر.

حركات الصلاة:

فاذا تركنا حركات الوضوء وانتقلنا الىٰ حركات الصلاة نجد أن حركات الجسم فيها تبدأ بالتكبير برفع اليدين وتحريك مفصلي الكتفين الىٰ الاعلىٰ ويحاكي النظام السويدي حركات الصلاة هذه ببعض تمارينه على أساس أنْ رفع الايدي الىٰ الاعلى يزيد من فتح الصدر.

وبتتبع حركات الصلاة كلها نجد لكل حركة فائدتها لاعضاء الجسم المختلفة فالسجود مثلاً حركة جامعة تشمل الفائدة لاكثر اجهزة الجسم فثني الركبتين وثني الجذع ووضع الجبهة علىٰ الارض في حركة السجود تعتبر من اكثر الحركات فائدة في عمل نوع من التدليك الذاتي للمعدة والجهاز الهضمي مما يساعد على الهضم وحركة الامعاء كما اسلفنا.

وهذا الوضع مفيد للسيدات لانه يبقي الرحم في مكانه الطبيعي ويمنع التواءه.[1]

والمسلم هو الانسان الاول الذي ينهض مع باكورة الصباح وفي عمق

(١) مجلة لواء الاسلام السنة الاولىٰ ص١٠٣ د. أحمد محمد مرزوق.

الفجر ليمارس الرياضة.

ومن الرياضة ايضاً المشي الىٰ المساجد يومياً والىٰ صلاة الجمعة والمشي في حوائج الناس ومساعدتهم وزيارة مرضاهم.

الرياضة والشباب:

قال (ﷺ): (علموا أولادكم الرماية ومروهم فليثبوا علىٰ الخيل وثباً).

(علِّموا أولادكم السباحة والرمي).[1]

هذا خطاب الرسول (ﷺ) للآباء بصورة عامة.

واحوج ما يكون اليه سكان المدن الكبيرة وطلبة المدارس الذين لا يمارسون اعمالاً جسمانية أو ذات مجهود. كالفلاحة وزراعة الأرض والحرف المهنية الأخرىٰ.

فعلى الهيئات العامة كالمدارس والنوادي ومنظمات الشباب والآباء تهيئة الفرصة لممارسة الرياضة.

وقد تعهدت الحكومات في الوقت الحاضر بالتدريب على السلاح لكل الشباب في عمر الجندية وهذا الوقت مناسب جداً، وخاصة لتوافر المدربين وساحات الرمي وتحوطات الأمان التي يُراعيها المدربون.

وتعلم استعمال السلاح والرماية قبل هذا السن فيه خطورة على سلامة الشباب واسرهم.

وكثيراً ما يؤدي وضع السلاح بيد المراهقين والصغار الى وقوع حوادث يروح ضحيتها الأبرياء من الأهل والاصدقاء.

قال ﷺ في حديث أبي موسى:

(اذا مرّ احدكم في مسجدنا وفي سوقنا ومعه نبلٌ فليمسك على نصالها - او قال فليقبض بكفه ان يصيب احداً من المسلمين منها شيء).

وعندما ابتعد المسلمون اليوم عن الاسلام غابت عنهم صورة المسلم النشيط، الحرك، المتمثل بالرسول ﷺ الذي يصفه ابو هريرة يقول: (ما رأيت احداً اسرع في مشيته من رسول الله كأن الأرض تطوى له وأنا لنجهد في السير ولا يبدو عليه الجهد) (رواه الترمذي).

---

(١) رواه البيهقي عن ابن عمر.

ويصف اخر مشية الرسول ﷺ بقوله:
(كأنه ينحدر من جبل).
والمنحدر من علو عادة صدره مندفع الى الاعلى والامام، وكذلك الرأس مع نقل الاقدام بالرفع والخفض.
قيام الليل:
فرض الله سبحانه قيام الليل على رسوله ﷺ وهو سنّةٌ للمسلمين من بعدهِ.
وكلما ازداد قياماً وكثرت صلاته وكثرت معها حركاته من قيام وَركوع وسجود وقعود. ازداد تقوى.
وقد تطول صلاة الليل ساعة او ساعتين او ثلاثاً ويصف القرآن الكريم صلاة الرعيل الاول من الصحابة ورجال العقيدة الكرام بقوله سبحانه:
﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالاسحار هم يستغفرون﴾. (1)
مارسوا الرياضة عبادة وتقوىٰ فصفت قلوبهم وسلمت معها الأجساد والصلاة تنشط الجسد وتطيب لها النفس، ولا يحس بذلك إلاّ من أدّاها فيشعر حينئذٍ بطيبها وحلاوتها اذا مارسها ويشعر بالكسل والضيق إذا تركها.
وإذا علمنا ان سعة الشعيرات الدموية في العضلات في حالة الراحة ١ر٠ سم٣ لكل ١٠٠غم من العضلات. وترتفع هذه النسبة من جريان الدم خلال التمرين او العمل الى ٥ر٥سم٣ في كل ١٠٠غم من العضلات.
ولما كان البناء العضلي يشكل ٤٠٪ من وزن الجسم لذا فأن الشعيرات الدموية في العضلات عند التمرين باستطاعتها ان تستوعب ٥ر١ لتر من الدم دونما تأثير في الضغط الدموي. (2)
يبدو لنا من هذا اهمية الحركة للأنسان والتي لم يهملها الاسلام فكانت الصلاة حركية.
قال رسول الله (ﷺ):
(يعقد الشيطان علىٰ قافية رأس احدكم اذا هو نام ثلاث عقد، يضرب علىٰ كل عقدة، عليك ليل طويل فارقد، وان هو استيقظ فيذكر الله انحلت

(١) سورة الذاريات ١٧ -١٨
(٢) Applied Pharmacology Anderew Wilson Eleventh Edition 1975 P. 122.

عقدة فان توضأ أنحلت عقدة ثانية فان صلىٰ انحلت عقده كلها، فاصبح نشيطاً طيب النفس وإلا اصبح خبيث النفس كسلان) رواه البخاري ومسلم.

وتعبير الرسول ﷺ دقيق اذ يقول نشيطاً طيب القلب والنائم عنها كسول ضيق الصدر.

الفروسية والجهاد:

حث الرسول ﷺ على تعلم الفروسية وركوب الخيل بقوله: (ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً).

وكان المسلمون كما امرهم. حتى قال من وصفهم: رهبان في الليل وفرسان في النهار.

ومسيرة الجهاد الاسلامي سجل حافل بالفروسية شجاعة واخلاقاً والشواهد حية فقد طرقت جحافل الفرسان المسلمين حدود الصين وجنوب فرنسا وورث صلاح الدين الأيوبي خُلق الفروسية هذا عن أسلافه المسلمين ليُعَلِّم الغرب الاعمى الحقود سماحة الاسلام ورحمته عندما كان الصليبيون يقتلون دون هدف سام ولا غاية نبيلة بل تدفعه نشوة النصر الىٰ الابادة والفتك. فيقتلون عند دخول القدس سبعين الفاً من اهلها بعد ان اعطوهم الأمان!!.

ويظفر بالقتلة المجرمين صلاح الدين فيعفو عنهم. اذ ان غايته الهداية والخير وكف الاذىٰ وأعادة الحق الىٰ أهله بعد ان انتصر عليهم وأذلّهم، وسبعون الف دم بريء يدعوه الى الثأر والأنتقام، وعقيدته وخلق الفروسية بالعفو عند المقدرة، حدا به للعفو عنهم وتركهم ينسحبون بنسائهم وأطفالهم ويعودون من حيث اتوا بسلام!... ومن يحفظ الله يحفظ الحياة للناس... ومن يعصِ الله يهون عليه القتل والبطش والتشريد:-

القدرة الجسمية واللياقة:-

أولى الرسول ﷺ القوة البدنية الاهتمام المطلوب لتأهيل الشباب للقتال واستعمال السلاح بكفاءة والدفاع عن انفسهم واسقط الاسلام فرضية الجهاد عن المريض ومن كان به عاهة مستديمة تعيقه عن الجهاد كالأعمى والأعرج. وكان (ﷺ) يرد الاطفال ويمنعهم من المشاركة لصغر ستهم.

وعندما رأى الرسول (ﷺ) فتىً صغيراً لم يبلغ ١٦ سنة، وهويهيء جنوده للمعركة قال له: ارجع فتدّرب وتعال في العام القابل. فقال له الفتى: قد أجزت ابن عمي لانه اكبر مني سنة ولكنه لو صارعني لصرعته.

فتبسم الرسول (ﷺ) وقال له: (دونك فصارعه).

فصرعه وضمه الرسول (ﷺ) الى الجيش.[١]

تشجيع الروح الرياضية في نفوس المسلمين:-[٢]

شجع الرسول (ﷺ) على المنافسة الرياضية وكان يحضر سباقات الخيل والجمال والمصارعة والرمي وكان يعطي الجوائز للسابق منهم.

وكان له ﷺ ناقة سريعة اسمها (العضباء) وكانت تسبق دائماً وخسرت العضباء السباق في احدى المسابقات فعز الامر على الصحابة. وتقبلها الرسول (ﷺ) دون غضب ولا كراهة وقال لهم:

(إن حقاً على الله تعالىٰ ألاّ يرفع شيئاً من امر الدنيا إلاّ وضعه).[٣]

ورأت أم المؤمنين عائشة مسلمين يمشون متراخين بفتور وهم في طريقهم الى المسجد فحسبتهم مرضى أو حلت بهم مصيبة فسألت من حولها: (ماذا ألمَّ بهؤلاء؟) فقال لها الناس: يا أم المؤمنين ما بهم مرض ولا معصية ولكنهم زُهّاد نُساك.

فغضبت وقالت لهم قولتها المشهورة:

(والله ما أنتم باكثر نسكاً ولا زهداً ولا تقوىٰ لله من عمر، وكان إذا مشى أسرع واذا تكلم اسمعَ وإذا ضرب أوجعَ).[٤]

الرقابة الصحية وتطورها في الاسلام:

بعد انتشار الاسلام ودخول امم جديدة فيه وهيمنته على رقعة واسعة من المجتمع البشري وشمول هذه الشعوب كلّها بحكم الاسلام وشريعته. كان لابد من هيئات ومنظمات تقود هذه العملية وتشرف اشرافاً مباشراً على تطبيق الشريعة الاسلامية في واقع الحياة اليومية وضمان مصالح الناس افراداً وجماعات وامتثالاً لأمر الله سبحانه بقوله:

---

(١) د. احمد شوقي الفنجري (الطب الوقائي في الاسلام).
(٢) المصدر نفسه اعلاه.
(٣) رواه الامام احمد والبخاري وأبو داؤد والنسائي عن انس.
(٤) د. احمد شوقي الفنجري في كتاب الطب الوقائي في الاسلام.

﴿ولتكن منكم امة يدعون الىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ آل عمران / ١٠٤

اذن واجب هذه الفئة أو المنظمة محدد بالآية ١٠٤ سورة آل عمران وهو الدعوة الىٰ الخير في كل شيء مطلقة على عموم الخير في امور الحياة كلها ومفرداتها.

ففي كل عمل وجهان خير اذا احسنته وشرٌ اذا اسأت في ادائه.

ثم تأمر بالمعروف لرد الأمر إلى الاستقامة.

وتنهى عن الخطأ المنكر في كل ممارسة من نشاطات الانسان.

فنشأت في الدولة الاسلامية وظيفة المحتسب.

من المحتسب: ؟

هو ما نسميه اليوم المفتش أو الرقيب في كل مهنة واختصاص وعمل يُزاوله الناس ومراقبة صحة ذلك العمل ومطابقتهِ لنزعة الخير والافضلية وحب الجمال والاتقان في كل شيء مع مراقبة الضبط واتباع اصول كل مهنة وعدم الغش فيها والاضرار بمصالح الناس.

وقد ذكر صاحب كتاب: (معالم القربة في احكام الحسبة).[1]

سبعين باباً في الحسبة أي المراقبة والتفتيش عن ذوي المهن والمصالح وكاد يغطي كل نشاطات الناس على اختلافها.

وان يضع لكل منها أصولها ويتم محاسبة المخالف لها.

وما يهمنا هو ما يتعلق بالطب الوقائي ودفع الضرر عن المجتمع فتقرأ في الباب الخامس والعشرين بعنوان:

(الحسبة على العطارين والشمّاعين)

ومما جاء فيه:

(اعلم إنّ هذا الباب من اهم الاشياء التي ينبغي للمحتسب الاعتناء بها والكشف عنها ويجب على المحتسب ألاّ يمكن احداً من بيع العقاقير وأصناف العطر إلاّ من له معرفة وخبرة وتجربة ومع ذلك يكون نفسه أميناً في دينه عنده خوف من الله تعالىٰ).

ونجد هنا التركيز علىٰ الامانة والخلق مع العلم والتجربة والذي نسميهِ

---

(١) الكتاب من تأليف ابن الاخوة محمد بن احمد القريني.

اليوم (الأختصاص) للحفاظ على صحة الناس وعدم بيعهم العقاقير التي تؤثر في صحتهم وتضيع عليهم اموالهم بما لا يفيدهم.

وجاء في الباب الخامس والأربعين:

- الحسبة علىٰ الأطباء والكحالين والجرائحيين والمجبرين - (والطبيب هو العارف بتركيب البدن ومزاج الاعضاء والأمراض الحادثة فيها وأسبابها وأعراضها وعلاماتها والأدوية النافعة فيها، فمن لم يكن كذلك فلا يجعل له مداواة المرضى ولا يجوز له الأقدام على علاج يخاطر فيه ولا يتعرض لما لا علم له فيه). [1]

ونجد ان العقلية الاسلامية مفتحة متطورة تأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت. والحقيقة ملكنا نحن المسلمين انىٰ نجدها فنحن أحق الناس بها. ومصداقاً لذلك يقرأ في الباب نفسه عن ابن الأخوة قوله:

(.   وينبغي للمحتسب (المراقب او المفتش) أن يأخذ عليهم (علىٰ الأطباء) عهد أبي قراط الذي اخذه على سائر الأطباء ويحلفهم إلّا يعطوا أحداً دواءء مضراً ولا يركبوا له سُمّاً ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يُسقط الأجنة ولا للرجال الذي يقطِع النسل وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم علىٰ المرضى.

ولا يفشوا الأسرار ولا يبتكوا (يهتكوا او يمزقوا) الأستار، ولا يتعرضوا لما يُنكر عليهم فيه). [2]

ومما تقدم نلمس عناية المسلمين بمهنة الطب ومحاسبة المخالفين للمهنة وآدابها.

ولمن أراد الاطلاع أن يقرأ كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة لأبن الأخوة. ففيه تفاصيل كثيرة نكتفي بهذا القدر منها. وهو كتاب ممتع ومفيد بكل أبوابه ويعكس لنا حرص المسلمين ودعاة الخير منهم على سلامة المجتمع كله ونظافته من الغش والخداع والأضرار بمصالح الناس وحياتهم.

فهل آن الآوان لشباب المسلمين أن ينفضوا الغبار الذي وضعه المستعمرون في أعينهم، ويقدموا الىٰ الناس حقائق الاسلام وجواهرِهِ بثوبها

(١) كتاب معالم القربة في احكام الحسبة لأبن الاخوة ص١٦٢
(٢) المصدر السابق نفسه ص١٦٧

الناصع من غير زيادة ولا نقصان؟.

وهل آن الآوان لجامعات العالم أن تسلط الأضواء على هذا المنهل العذب والمورد الزلال لينتفع به العالم كله؟

ذلك ما نرجوه.

والله الموفق لكل خير

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

PREVENTIVE MEDICINE BY THE PROPHET

The prophet Muhmmad has set certin preventive medical measures as part of his message to the whole humanity on the earth in order to ensure a healthy and peaceful.

These measures had come in the form of commamdement and as religious prohibitions of the offensive behaviours, certain foods and certain drinks which could endanger our health.

Before we have been born, Islam has taken care of us, So he asked us not to marry the very near relatives in order to get rid of the inherited disease. In addition, he has organised the sexual relationship between the wife and husband and such relation was prohibited during menstruation. Moreover, the homosexual relationship was strongly prohibited because such relatioship can lead to fatal diseases.

Cleanness of the body, clothes and common places, houses, mosques was very much recommended.

Measures such as isolation and carantine was first set in the history of medicine by the prphet Muhammed. He had also pionted out the problem of infectios diseases like plague and the steps to be taken when there is such an epidemic.

Prophet Muhammed was alos the first when he pointed to the problem of contamination and polution. So, he asked the people to cover the food, dishes and not to uriante in water sources.

Medicine was well- organised because the prophet estimated the role of medicine in our life. The prphet asked to use certain drugs in curing some cases of disease. These drugs wefe derived

from plants. The prophet also judged positively the status of physicians in the society and insisted that their knowledge comes through experience from those who claim that the kow ledge without experience and his commandment that those who practice medicine without knowledge and experience should be responsible for any harmful results.

The concept of the day of justice has clearly helped the psychological aspect of the human life, so their concept has made him more optimistic about his future here and the day aftare.

We have noticed that the psychogenic disease because of such believ is less among the believers as well the delenquency is very rare in Islamic societies.

All these points of the prevetive medical meaures have come in some of its parts as moral commandments and it is part of the Islamic religion.

BY

Omar Mahmood Abdullah

مراجع البحث العربية :

١ - القرآن الكريم .
٢ - كتب الحديث.
٣- اعداد مجلة لواء الأسلام السنة الأولى .
٤ - اعداد مجلة التربية الأسلامية التي تصدر في بغداد (مقالات الدكتور وجيه زين العابدين) .
٥- الطب النبوي لأبن القيم .
٦- الطب الوقائي في الاسلام للدكتور أحمد شوقي الفنجري .
٧- العدوى بين الطب وحديث المصطفى د. محمد علي البار.
٨- أعجاز الطب النبوي للسيد الجميلي .
٩- كتاب فقه السنة للسيد سابق .
١٠ - الطب الوقائي النبوي د. محموالحاج قاسم. الموصل /١٩٨٨
١١ - كتاب الحسبة في معالم القرية في احكام الحسب لأبن الأخوة .

المراجع الأجنبية

1- The Principles & Practice Of Medicine by Daridson.
2- Preventive Medicine & Public health by Maxcy - Rosenau.
3- Adverse drug Inter Action.

اِقرأ في هذا الكتاب

.... عَنِيَتْ الرسالة الأسلامية بالإنسان وعالجتْ مشكلاته وأعطت الأهمية البالغة لرفع الحرج ودفع المشقة عنه، وأكّدت على سلامة الإنسان ووقايته النفسية والجسمية من الأنحراف والأمراض، وذِكْرِ كل ما هو أساس وضروري لآستمرارية الحياة وسعادتها أيضاً.

* * * * * * *

.... وإنّا لنعتبر ما وَرَدَ في حديث الرسول (ﷺ) قوانينَ تصطلح عليها الحياة. والتزامها يعني وقايةَ الانسانِ من المرض ووقايةَ المجتمع البشري كلِّهِ من تعاسةِ الحياة وظلمتها.

العميد الصيدلي
عمر محمود عبدالله
ت. ٧٧١٧٥٣
٨١٤٤٦٣

الجمهورية العراقية
محافظة نينوى. الموصل
حي الطيران، محلة ٢١٩
زقاق رقم ٥ دار رقم ٢



رقم الايداعِ في المكتبة الوطنية ببغداد (١٦٦) لسنة

السعر